التاريخ الدبلوماسى

العلاقات السياسية بين القوى الكبرى



دكتور

ممدوح منصور

قسم العلوم السياسية

كلية التجارة - جامعة الأسكندرية

دكتور

أحمد وهبان

قسم العلوم السياسية

كلية التجارة - جامعة الأسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

الأستاذ/ ممدوح منصور

الإسكندرية



التاريخ الدبلوماسى

التاريخ الدبلوماسي

العلاقة السياسية بين القوى الكبرى

(١٨١٥ ـ ١٩٩١)

الدكتور
ممدوح منصور
قسم العلوم السياسية
كلية التجارة ـ جامعة الإسكندرية

الدكتور
أحمد وهبان
قسم العلوم السياسية
كلية التجارة ـ جامعة الإسكندرية

2002 / 2003

الدار الجامعية
٨٤ شارع زكريا غنيم ـ تانيس سابقاً
e-maill : m20ibrahim@yahoo.com
٥٩١٧٨٨٢ ✆



﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد
قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون ﴾

سورة غافر
الآية (٨٢)

الإهداء

إلـــــى :

أســـتاذنا الدكتور :

محمـــــد طـــه بـــدوى

(رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

تتعين الإشارة – بادئ ذى بدء – إلى أن ثمة تعددا فـــى فـروع المعارف التى تعنى بدراسة مجال العلاقات السياسية الدولية، غير أن هـذه الفروع تتباين من حيث طبيعتها تبعاً لتباين مناهجها، فثمة فـــروع تنــهج منهجاً مثالياً حال القانون الدولى، ذلك الفرع من فروع المعرفة الذى يعنى – إنطلاقاً من الطبيعة المثالية لمنهجـــه – بمـــا يجـــب أن تكـــون عليـــه العلاقات الدولية حتى تكون مثلى وفاضلة تسودها قيم العدالة والشـــرعية والمساواة والسلام، وهناك كذلك علم العلاقات الدولية الذى يعالج العلاقات بين الدول بمنهج علمى تجريبى، إذ يبدأ علماء العلاقات الدولية من الواقــع الدولى بالملاحظة والتجريب بغية الكشف عن حقائق ذلك الواقع الكامنـــة فى أغواره، إذن فعلم العلاقات الدولية – تبعاً لعلمية منهجه – يســـتهدف تفسير الواقع الدولى، فى معنى أنه يعنى بما هو كائن وليس بما يجـــب أن يكون، وبالتالى فهو يعتبر أظهر المعارف التى تعالج مجال العلاقات بيـــن الدول، وأكثرها أهمية.

أما فيما يتصل بالتاريخ الدبلوماسى فإنـــه أيضـــاً يعـــالج مجـــال العلاقات بين الدول، بيد أنه ينهج – فى ذلك – منـــهجاً تاريخيـــاً قوامـــه تسجيل الأحداث والوقائع دون أن يعنى بتفسيرها. وعلى الرغم من ذلـــك فإن التاريخ الدبلوماسى يمثل فرعاً من فروع المعرفة لا غنى لطالب علوم السياسة عن دراسته، ذلك بأن التاريخ يمثل لعالم السياســـة (والعلاقـــات الدولية) أداة عظيمة الشأن من أدوات الملاحظة والمقارنة، وبالتالى فـــإن

على عالم العلاقات الدولية – إن هو أراد تقديم تفسير للواقع الدولـى – أن يلجأ إلى التاريخ باعتباره تسجيلاً لذلك الواقع المراد تفسيره.

وارتباطاً بما تقدم يبدو جلياً أن دراسة التاريخ هى أمر جـد هـام بالنسبة لطالب الدراسات السياسية، باعتبارها ضرورة يقتضيـها إلمامـه بحقائق عالم السياسة بشقيه الوطنى والدولى على حد سواء. ولنا هنـا أن نشير بصدد تأكيد صدق مقولتنا هذه إلى تلك العبارة البالغة الدلالة علـى قصرها والتى وردت عن المؤرخ وعالم السياسـة البريطـانى " سـيلى" التى مؤداها : (إن التاريخ بدون علم السياسية كنبات بلا ثمر، بينما علـم السياسة بدون التاريخ كنبات بلا جذور)[1].

على صعيد آخر فإننا لسنا فى حاجة إلـى تـأكيد أهميـة قـراءة التاريخ بالنسبة لبنى البشر قاطبة، وحسبنا فى هذا الصدد أن نشـير إلـى دعوة الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم إلى ضرورة الاعتبـار بـالأمم السابقة حيث قال عز من قائل :

" قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كـان عاقبة المكذبين " آل عمران – ١٣٧".

---

(1) " History without Political Science has no fruit. Political Science without history has no root ".

ورد فى :

J.R. Seely, Introduction to political Science (Macmillan), London, : 1919), P. 4.

وفى نفس هذا المعنى يرى Jean Bodin أن :

" C'est P' histoire qui nous permet de rassembler les lois des anciens dispersees C a et la, pour en operer la synthese, en realite le meilleur du droit universel se cache bein dans l'hidtoire ".

ورد فى :

J.J. Chevallier , Les Grandes Oeuvers politiques (A. Colin, Paris, 1970): P. 36.

"ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين " (النور – ٣٤).

" يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم " (النساء – ٢٦).

ويتضح من تأمل هذه الآيات الكريمة السابقة أمران فى غاية الأهمية :

أولاً : إن الاعتبار بأحداث التاريخ السابقة هو السبيل إلى ترشيد اختياراتنا الحالية والمستقبلية (وهذا من شأن فن السياسة)، فإذا كان وعى الإنسان مرتبطاً بقدرته على الإفادة من تجاربه السابقة وأخطائه تجنباً لتكرار وقوعه فيها، وإذا كان التاريخ يعيد نفسه، فكذلك حال الأمم والشعوب النابهة فتقدمها ورفعتها مرهونان بقدرتها على استخلاص العبر والدروس من تاريخها والإفادة منها عند رسم سياساتها العامة داخلية كانت أم خارجية.

ثانياً : إن استقراء أحداث التاريخ السابقة هو أيضاً المنطلق إلى الكشف عن سنن الله الكونية أى عن القوانين والحقائق العلمية، وهذا هو حال علوم السياسة التجريبية (ومن بينها علم العلاقات الدولية) القائمة على استقراء الوقائع بالملاحظة والمقارنة بين الأحداث والوقائع المتباينة زماناً ومكاناً بهدف الكشف عن دلالاتها وخصائصها المشتركة أو سماتها العامة.

يبقى أن نشير إلى أننا سنتناول موضوع هذا الكتاب على قسمين نعنونهما على النحو التالى :

القسم الأول : العلاقات الدولية فى ظل النسق الدولى متعدد القوى القطبية (١٨١٥ -١٩٤٥).

ونعرض فى هذا القسم لأبرز الأحداث الدولية ذات الدلالة والتى وقعت فى إطار هذه الصورة التاريخية للنسق الدولى مع التركيز على الفترة من ١٨١٥ – ١٩٤٥ أى بدءاً من نهاية الحروب النابليونية وانعقاد مؤتمر فيينا، وانتهاء بالحرب العالمية الثانية.

وتجدر الإشارة إلى أن طبيعة العلاقات الدولية خلال هذه الفترة (من حيث اقتصارها على العلاقات بين عدد قليل من الدول الأوروبية أقطاب النسق المتعدد، ومن حيث وضوح الفارق بين علاقات الحرب والسلام خلالها، فضلاً عن محدودية أدوات أو وسائل التأثير الدولى) قد مكنت من معالجة هذه العلاقات على نحو متكامل ومتشابك فى إطار مفهوم النسق System.

ويتعين التنويه إلى أنه على الرغم من أن ذلك النسق قد تبلور منذ معاهدة وستفاليا (١٦٤٨) واستمر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، فإن دراستنا ستقتصر – فى هذا القسم – على الفترة التى تبدأ من أوائل القرن التاسع عشر حيث بدأت العلاقات الدولية بصورتها الراهنة تتبلور منذ ذلك الحين، ومع ذلك فقد تقتضى الأمور منا فى بعض الأحيان الغوص فى أغوار الفترة السابقة على القرن التاسع عشر بغية الوقوف على بعض الوقائع التى يتطلب فهم أحداث لاحقة الإلمام بها.

القسم الثانى : العلاقات الدولية فى ظل النسق الدولى ثنائى القوى القطبية (١٩٤٥-١٩٩١).

ونتناول فيه أبرز الأحداث الدولية التى شهدتها الفترة المشار إليها والتى تبدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية وتنتهى بانهيار الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر ١٩٩١، ذلك الانهيار الذى استتبع زوال الدول السوفيتية وتفكك كتلتها، وترك مقاليد الأمور فى الساحة الدولية لقطب أوحد هو الولايات المتحدة.

وبطبيعة الحال فإننا سنذيل كتابنا هذا بإشارة إلى خصائص صورة توزيع القوى فى العالم منذ تفكك الدولة السوفيتية وحتى يومنا هذا، تلك الصورة التى درج علماء العلاقات الدولية المعاصرون على الإشارة إليها بعبارة النظام العالمى الجديد، وما ارتبط بها من لفظة جديدة راحت تتداولها الألسنة ألا وهى لفظة " العولمة ".

وفى النهاية فإننا نسأل العلى القدير أن ينفع بكتابنا هذا بنى جلدتنا من الناطقين بالعربية، وأن يمثل هذا الكتاب إضافة إلى الصرح المعرفى العربى.

والله من وراء القصد

المؤلفان

القسم الأول

العلاقات السياسة الدولية

فى ظل النسق الدولى متعدد القوى القطبية

(١٨١٤-١٩٤٥)

الفصل الأول (*)

فى

الأوضاع السياسية فى أوروبا

خلال الفترة السابقة على مؤتمر فيينا

(١٨١٤)

(أنا الدولة، والدولة أنا)

لويس الرابع عشر

ملك فرنسا

(*) كتب هذا الفصل : د/ أحمد وهبان

الأوضاع السياسية فى أوروبا خلال الفترة السابقة على مؤتمر فينا (١٨١٤) :

لعقود طويلة - وحتى قبيل نهاية القرن الثامن عشر - ظل مبدأ " حق العروش فى تقرير مصائر الشعوب " يمثل واحداً من أظهر المبادئ التى تحكم دبلوماسية القارة الأوروبية، وفى ظل هذا المبدأ - والذى عرف أيضاً بمبدأ الشرعية - كانت السيادة تمثل خاصة من خصائص الملوك الشخصية، وكان مصير المدن والأقاليم - بسكانها - يتقرر تبعاً لمصير أصحاب العروش وإرادتهم[١]. وكانت الدولة تتمثل فى شخص الملك، فهى تعد ملكاً خالصاً له وتخضع لمشيئته خضوعاً مطلقاً لا يتقيد بأى قيد، حتى أن لويس الرابع عشر - ملك فرنسا - كان يقول : **" أنا الدولة "**.

لقد كان يحق للملوك - بمقتضى مبدأ الشرعية - أن يتصرفوا بالأقاليم الخاضعة لهم تصرفاً مطلقاً كما يتصرف الأفراد بالأراضى والعقارات المملوكة لهم، كما كان يحق للملوك أن يهدوا بعض المقاطعات الخاضعة لإمرتهم إلى ملوك آخرين، أو يبادلوا هذه المقاطعات بمقاطعات تابعة لممالك أخرى. كذلك فقد كانت أقاليم الممالك خاضعة لقوانين الإرث وأنظمة الصداق وغيرها من التقاليد الموروثة من القرون الوسطى، وعلى ذلك فكثيراً ما كانت الممالك تتوسع أو تتقلص أو تنضم إلى بعضها البعض أو تنفصل عن بعضها البعض حسب أهواء الملوك ورغباتهم، أو من جراء أية تغييرات تطرأ على أحوالهم الشخصية من

---

(١) محمد طه بدوى، ليلى أمين مرسى، النظرية العامة لعلاقات الدولية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢، ص ١٤٧.

زواج وتوارث ووفاة، وكل ذلك علاوة على ما كان يكتسبه الملـــوك مـــن حقوق من خلال ما يخوضونه من حروب أو ما يعقدونه من معاهدات [1].

وإبان الحقبة المذكورة كان الناس يعتقدون أن الملـــوك يحكمـــون البلاد بتفويض من الله، ويستمدون سلطانهم من مشـــيئته، وبالتـــالى فإنـــه يتعين على رعايا الدولة أن يطيعوا أوامر الملك كما يطيعون أوامـــر الله، وهكذا فقد انتشر هذا الاعتقاد بين الناس وتغلغل فى نفوسهم، وبات يشـــكل واحداً من المبادئ العامة التى يتولى رجال الدين تلقينـــها فـــى تعاليمـــهم وطقوسهم داخل الكنائس[2].

وكأثر لمبدأ حق العروش فى تقرير مصائر الشعوب - بمضمونـــه المتقدم - نجد أن ألمانيا على سبيل المثال كانت خلال العقد الأخـــير مـــن القرن الثامن عشر مقسمة إلى ما يربو على ٣٦٠ وحدة سياســـة مســـتقلة عن بعضها استقلالاً تاماً.[3]

وجملة القول فى شأن ما تقدم أن مبدأ " حق العروش فى تقريـــر مصائر الشعوب " قد ساد لعقود طويلة خلال الحقبة السابقة علـــى القـــرن التاسع عشر فى أوروبا، بيد أنه مع قيام الثورة الفرنسية عـــام ١٧٨٩ راح المجال ينفسح لعديد من مبادئ جديدة (مناقضة تماماً لمبدأ الشرعية القديـم) فيما يتصل بحقوق الشعوب والأمم.

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : أبو خلدون ساطع الحصرى، أبحاث مختارة فى القومية العربية، مركـز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٥، ص٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) أبو خلدون ساطع الحصرى، محاضرات فى نشوء الفكر القومية، مركز دراسات الوحدة العربيـة، بيروت ١٩٨٥، ص ٢٧.

الثورة الفرنسية ومبدأ : حق الشعوب فى تقرير مصائرها " :

لقد ارتبطت الثورة الفرنسية بفكرة الحقوق الطبيعية نقلاً عن فلاسفة العقد السياسى، وهى الفكرة التى بزغت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر فى فكر كل من جون لوك الإنجليزى، وجان جاك روسو الفرنسى. وكان من أظهر المبادئ التى ارتبطت بها الثورة الفرنسية - باعتباره واحداً من الحقوق الطبيعية - مبدأ : حق الشعوب فى تقرير مصائرها "، وذلك بطبيعة الحال كبديل لمبدأ " حق العروش فى تقرير مصائر الشعوب ". وقد صاحب هذا المبدأ الجديد - مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصائرها - ذيوع مبدأ آخر جديد هو مبدأ القوميات أو ما يعرف كذلك بالمبدأ القومى[1]، ومفاد هذا المبدأ : الاعتراف لأبناء الأمة الواحدة بالحق فى تنظيم كيانهم القومى وتحقيق شخصيتهم القومية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً على وجه الاستقلال عن غيرهم من الأمم[2]. فى معنى أن لا تجميع ولا تفتيت للشعوب بالإكراه، وحق كل أمة (وحدة قومية) فى أن : تتشكل فى دولة (وحدة سياسية)، وان لا تتفتت الأمة الواحدة بين عديد من دول، ولا تضم الدولة الواحدة عديداً من الأمم[3].

وجملة القول فى شأن ما تقدم أنه قد صاحب قيام الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ذيوع عديد من مبادئ جديدة تتصل بحقوق الشعوب والأمم، وقد تمثل أظهر هذه المبادئ فى مبدأى القوميات، وحق الشعوب فى تقرير

---

(1) Weigall al , David and Murphy, Michael, European history, Bppletts Educational, London, 1993. P. 31.

(٢) صوفى أبو طالب فى : محمد طه بدوى وآخرين، المجتمع العربى والقضية الفلسطينية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٣، ص ١٧١.

(٣) محمد طه بدوى، النظرية السياسية : النظرية العامة للمعرفة السياسية، المكتب المصرى الحديث، القاهرة ١٩٨٦، ص ٤٣.

مصائرها، ومن هنا فإننا نتفق مع الرأى القائل بأن الثورة الفرنسية هى التى علمت العالم معنى القومية[1]. ومهما يكن الأمر فإن ثمة تساؤلاً يطرح نفسه - فى ضوء ما تقدم - وهو : ماذا كان موقف العروش الأوروبية من المبادئ الثورية التى جاءت بها الثورة الفرنسية؟ ولسنا فى حاجة إلى القول بأن المبادئ التى جاءت بها الثورة الفرنسية - وعلى رأسها مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصائرها - كانت تمثل تهديداً عظيم الشأن للأوتوقراطيات (الملكيات) الأوروبية، ومن هنا فقد كان من الطبيعى أن تثير تلك المبادئ حنق ومخاوف العروش الأوروبية، تلك العروش التى كانت تستند - كما أسلفنا - فى حكمها إلى فكرة الشرعية (أى حق العروش فى تقرير مصائر الشعوب). وتأسيساً على ذلك فسرعان ما هبت العروش الأوروبية مكونة تحالفاً فى مواجهة فرنسا الثورية ضم كلاً من إنجلترا والنمسا وبروسيا (وهى القوى الكبرى وقتذاك) إلى جانب كل من إسبانيا وهولندا وسردينيا ونابولى والبرتغال، وقد تأسس هذا التحالف فى عام ١٧٩٢، حيث أعلن مؤسسوه عزمهم على محاربة فرنسا بغية الإطاحة بالنظام الجمهورى الثورى وإعادة أسرة البربون إلى العرش الفرنسى. وقد زاد الموقف بين فرنسا الثورية والأتوقراطيات المتحالفة تأججاً غداة إعلان النظام الفرنسى الثورى تأييده لكل أمة تطالب بحريتها، واستعداد فرنسا للتدخل إلى جانب الأمم التى تطلب المساعدة فى هذا الصدد. وقد صدر هذا الإعلان من جانب فرنسا فى ١٩ نوفمبر ١٧٩٢[2].

---

(1) Kohn , Hans, the age of nationalism, Harrper & brothers Publishers, New Youk, 1962. P. 3.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : عمر عبد العزيز عمر، محاضرات فى العلاقات الدولية: (أوروبا : ١٨١٥ – ١٩١٩)، دار الرشاد، الإسكندرية، بدون تاريخ. ص ١٨، ١٩.

ولم يكد يمضى طويل وقت على هذا الإعلان الفرنسى حتى شرعت قوات النمسا وبروسيا فى غزو فرنسا، غير أن جيوش الثورة سرعان ما دحرت الجيوش الغازية، كما دانت للفرنسيين السيطرة على أجزاء يعتد بها من أراضى الأوتوقراطيات الأوربية حال جل ولايات الأراضى المنخفضة (هولندا)، وسافوى الألمانية وغيرها. وفضلاً عن ذلك فقد انفرط عقد التحالف الأوربى الأتوقراطى نظراً لاختلاف أطرافه حول بعض المطالب الإقليمية فى بولندا، ولم يمض طويل وقت حتى راح العديد من هذه الأطراف دولة تلو الأخرى تخطب ود فرنسا الثورية، حيث وقعت بروسيا معاهدة صلح مع الفرنسيين فى عام ١٧٩٥، وخطت إسبانيا ذات الخطوة فى نفس العام، وفعلت النمسا نفس الشئ فى عام ١٧٩٧[١].

وهكذا فقد اجتاز الجمهوريون الفرنسيون بنجاح أول اختبار حقيقى جابه ثورتهم الوليدة، وكسبوا أول مراهنة على قوتهم، وخرجوا من حربهم مع الأتوقراطيات الأوربية وهم أشد بأساً من ذى قبل، وأمضى عزماً على الاستمرار فى نهجهم الرامى إلى تقديم يد العون إلى أية أمة تشعل فتيل الثورة على الأوتوقراطية طلباً لنيل الحق فى تقرير المصير.

نابليون بونابرت وفكرة الإمبراطورية الأوربية :

بحلول عام ١٧٩٩ اعتلى سدة الحكم فى الجمهورية الفرنسية الفتية أحد ضباط مدفعية جيش لويس السادس عشر ويدعى نابليون بونابرت، وما أن حدث ذلك حتى شرع نابليون فى تجييش جيوش عظيمة العدد والعتاد، ثم ما لبث أن انطلق بجحافله غازياً بلدان أوروبا واحداً تلو الآخر، مستهدفاً هدفاً قوامه بناء إمبراطورية أوروبية تخضع لسيطرته،

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : المرجع السابق.

وتأتمر بأمره، معتبراً نفسه وريث الإمبراطورية الرومانية وخليفة شرلمان[1]. ونظراً لطموحاته العريضة فإن نابليون بونابرت لم يأبه كثيراً بالمحالفات التى سعت الأوتوقراطيات الأوربية الكبرى إلى عقدها فى مواجهته، فبحلول عام ١٨٠٢ راحت الجيوش النابليونية تجتاح كل من هولندا وسويسرا ومملكة هانوفر. وفى ذات العام توج نابليون نفسه إمبراطوراً على فرنسا فى احتفال أقيم فى أبرشية نوتردام وفى حضرة البابا الذى جئ به إلى باريس ليجرى مراسم التنصيب [2]. وما أن حل على وجه البسيطة عام ١٨٠٨ حتى دانت لنابليون السيطرة على إمبراطورية تجاوز من حيث اتساعها إمبراطورية شرلمان، إذ نصب إخوته ملوكاً على إيطاليا، وهولندا، ووستفاليا، كما نصب صهره ملكاً على نابولى، وأزواج شقيقات زوجته حكاماً على بافاريا، وفيرتنبرج، وبادن، وفى ذات العام (١٨٠٨) أجلس أخاه جوزيف بونابرت على عرش إسبانيا [3].

وهكذا - وتبعاً لكل ما تقدم - فقد انحرف نابليون - فى سبيل بناء إمبراطوريته المنشودة - عن مبادئ الثورة الفرنسية، وعلى رأسها مبدأ القوميات، إلى حد أنه نصب ملوكاً على دول لا تربطهم بها أية رابطة حتى أنهم كانوا يجهلون لغات شعوبها، كما جمع فى الدولة الواحدة شعوباً تتنافر لغة وحضارة.

---

(١) أنظر فى هذا المعنى : هانزكوهين، عصر القومية، ترجمة عبد الرحمن صدقى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٧.

(٢)أنظر فى هذا المضمون : ل.ج. شينى، تاريخ العالم الغربى، ترجمة : مجد الدين حفنى ناصف، دار النهضة العربية، القاهرة – بدون تاريخ. ص ٣٠١.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٤، ٣٠٥.



نابليون بونابرت - إمبراطور فرنسا



وعلى الرغم مما تقدم فإن مبدأ القوميات لم يمت، إذ من المفارقات فى هذا المقام أن الغزو الفرنسى لأراضى أوربا ألهب شعور أبنائها فى التخلص من الاحتلال، وعمق الفكرة القومية فى نفوسهم فاشرأبت أعناقهم إلى نيل الحق فى تقرير المصير، وما يؤدى إليه من إقامة الدولة على أساس قومى[1].

وهكذا فقد ذاعت مبادئ الثورة الفرنسية واستشرت فى أصقاع أوروبا استشراء النار فى الهشيم، وكانت من القوة فى نفوس الأوروبيين بحيث لم يمحها أن الفرنسيين الذين نادوا بها هم أنفسهم الذين اجتاحوا دولاً أخرى، وأخضعوا شعوبها لنيرهم.

ومهما يكن من أمر الغزوات النابليونية فإن هذه الغزوات مثلت تهديداً عظيم الشأن للأوتوقراطيات الأوربية الكبرى المتمثلة فى كل من إنجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا، إذ قضت على مبدأ حكم العلاقات الأوربية لعشرات العقود، وكان بمثابة حجر الزاوية فى استقرار أوروبا قاطبة. وقد تمثل هذا المبدأ فى مبدأ " توازن القوى "، وهو المبدأ الذى صارت على هداه علاقات البلدان الأوربية فيما بينها منذ معاهدة وستفاليا لعام ١٦٤٨، تلك المعاهدة التى أنهت الحروب الدينية فى أوربا، ووضعت أسساً جديدة للعلاقات بين الدول الأوربية أزاحت مبادئ العصور الوسطى، وقضت على فكرة الطموح فى إنشاء إمبراطورية عالمية واحدة. كما أقرت معاهدة وستفاليا - بصورة ضمنية - مبدأ توازن القوى

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : صوفى أبو طالب، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

لكى تؤكد بصورة جلية على نفس المبدأ[1]. ويهدف مبدأ توازن القوى إلى الإبقاء على الوضع القائم لتوزيع القوى فى النسق الدولى من خلال الوقوف فى وجه زيادة قوة أية وحدة سياسية أو أية مجموعة من وحدات سياسية (دول) تهدد بقلب الوضع القائم[2].

جملة القول - إذاً - فى شأن ما تقدم أن نابليون - بغزوه لبلدان أوروبا واحداً تلو الآخر - قد ضرب عرض الحائط بمبدأ توازن القوى وبالتالى فقد أضحى استقرار القارة الأوربية قاطبة فى مهب الريح، وعلى ذلك فلم يكن أمام الأوتوقراطيات الأوربية الكبرى من سبيل - إن هى أردت لنفسها البقاء - سوى مواجهة المد النابليونى. وبالفعل فقد عقدت هذه الدول العديد من المحالفات لهذا الغرض، غير أن أهم هذه المحالفات وأمضاها أثراً كانت تلك المحالفة العظمى التى شكلتها الأوتوقراطيات الأربع الكبرى (النمسا - إنجلترا - بروسيا - روسيا) بمقتضى معاهدة " شومون " التى وقعت فى ٩ مارس ١٨١٤، والتى تعاهدت القوى الأربع بمقتضاها على السعى إلى إسقاط نابليون والحيلولة دون عودته هو وأسرته إلى عرش فرنسا[3].

وسرعان ما تحقق للمتحالفين ما أرادوا، إذ تمكنت جيوشهم من احتلال باريس فى ٣١ مارس ١٨١٤، وأجبر نابليون على التنازل عن حقه وحق أسرته فى العرش، وتم إبعاده إلى جزيرة إلبا، وأعاد الحلفاء أسرة البربون إلى حكم فرنسا، وأجلسوا لويس الثامن عشر على العرش،

---

(١) راجع فى هذا المضمون : أحمد سويلم العمرى، أصول العلاقات السياسية الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) محمد طه بدوى، ليلى أمين مرسى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٣.

(٣) بصدد محالفة شومون أنظر : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

ثم ما لبثت القوى الأربع المنتصرة أن دعت إلى إبرام معاهدة صلح مع فرنسا فكانت معاهدة باريس الأولى[1].

معاهدة باريس الأولى (٣٠ مايو ١٨١٤) :

تمثل أطراف هذه المعاهدة في فرنسا، والنمسا، وروسيا، وإنجلترا، وبروسيا، وقد راحت الدول الأربع المنتصرة - على نقيض المألوف في معاهدات الصلح - تعامل الدولة المنهزمة (فرنسا) معاملة لا تقف عند حد التكريم، وإنما تتعدى ذلك إلى الكرم، فلا تعويض حربي، ولا احتلال عسكرى، ولا اقتطاع أراضى من أراضيها الأصلية، بل على عكس مثيلاتها من معاهدات الصلح أقرت المعاهدة لفرنسا المنهزمة إقليما أوسع من إقليمها الذى كان لها عند نشوب الثورة [2]. ولقد كان مرد هذا التكريم إلى رغبة الدول المنتصرة فى دعم حكم لويس الثامن عشر، ذلك الأوتوقراطى العائد إلى عرش فرنسا لتوه. إن هذا التكريم - إذاً - كان بمثابة تأكيد من جانب الأوتوقراطيين المتعاهدين فى باريس على التمسك بمبدأ الشرعية (والنظم الأوتوقراطية) فى مواجهة مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها (والنظم الثورية الدستورية).

غير أنه مما تجدر الإشارة إليه أن معاهدة باريس الأولى تضمنت مادة سرية اتفقت بمقتضاها الدول الأربع المنتصرة على :

حرمان فرنسا من المشاركة فى تقرير صورة النسق الدولى،وكذا قواعد السلوك الدولى الرامية إلى تحقيق التوازن الأوربى، ودعم فكرة

---

(١) راجع فى هذا المعنى المرجع السابق ص ٢١.

(٢) محمد طه بدوى، محاضرات فى التاريخ الدبلوماسى ملقاة على طلبة شعبة الاقتصاد والعلوم السياسية بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية ١٩٦٣/ ١٩٦٤ (غير منشورة).

الشرعية (حق العروش فى تقرير مصائر الشعوب) فى مواجهة الأفكار الثورية (حق الشعوب فى تقرير مصائرها).

كما اتفق المتعاهدون - فى باريس - على عقد مؤتمر دولى فى فيينا[1]. فبدأ بذلك عصر المؤتمرات، أو سياسية المؤتمرات والتى سنعرض لها فى صفحات تالية (بإذن الله).

---

(١) راجع فى هذا الصدد : ممدوح محمود منصور، محاضرات فى مادة للتاريخ الدبلوماسى، ملقاة على طلبة السنة الثالثة، شعبة العلوم السياسية بكلية التجارة، جامعة الإسكندرية ١٩٩٥ (غير منشورة).

الفصل الثانى (*)

فى

مؤتمر فيينا والمحالفة الرباعية

(١٨١٤-١٨١٥)

(إن هذه المحالفة ليست إلا جملة من العبارات الجوفاء
التى هى أبعد ما تكون عن واقع عالم السياسة)
المستشار النمساوى مترنيخ
فى وصفه للمحالفة المقدسة

(*) كتب هذا الفصل : د/ أحمد وهبان.

مؤتمر فيينا (سبتمبر ١٨١٤ - يونيو ١٨١٥) :

اجتمع أوتقراطيو أوربا فى فيينا غداة نجاحهم فى دحـــر نـــابليون وتمكين أسرة البربون من العودة إلى اعتلاء عرش فرنسا وراحوا يخطون خريطة جديدة لأوروبا.

ولقد كان المؤتمرون الأوتواقرطيون فى فيينا علـــى قناعـــة بـــأن فرنسا تمثل بؤرة ثورية تنبعث منها الأفكار والمبادئ الهدامة حـــال مبـــدأ القوميات الذى يمثل تهديداً عظيم الشأن لعروشهم [(١)]. وعلى ذلك فقد باتت الفكرة المسيطرة عليهم هى الحيلولة دون عودة الثوار إلى حكـــم فرنســـا، والعمل على اجتثاث كل رأى حر من جذوره فوراً قبل أن يفـــرخ وينمـــو ويؤتى ثماره الثورية الخبيثة [(٢)].

وإنطلاقاً مما تقدم وضع المؤتمرون فى فيينا نصب أعينهم تحقيـــق هدفين رئيسيين يتمثلان فى :

١-إحاطة فرنسا بسياج من المناطق العازلة بغية الحيلولـــة دون انتشـــار المبادئ الثورية منها إلى سائر أصقاع أوروبا.

٢-إعادة تخطيط القارة الأوربية على أســـاس مبـــدأ الشـــرعية القديـــم، ومحاربة مبدأ القوميات، والحفاظ على توازن القوى القائم.

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : محمد طه بدوى، محاضرات فى التاريخ الدبلوماسى، مرجع سبق ذكره.

(٢) هــ. أ. ل. فيشر، تاريخ أوروبا فى العصر الحديث (١٧٨٩ – ١٩٥٠) ترجمة : أحمـــد نجيـــب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص١١٦.

وفى سبيل تحقيق هذين الهدفين لجأ أوتوقراطيو أوروبا الأربعة الكبار (النمسا وإنجلترا وروسيا وبروسيا) إلى وسيلتين من وسائل تحقيق توازن القوى والحفاظ على الأوضاع القائمة. وتتمثل هاتان الوسيلتان فى سياسة المناطق العازلة، وسياسة التعويضات، فبصدد السياسة الأولى اتفق المؤتمرون فى فيينا على إحاطة فرنسا بسياج من المناطق العازلة، ضم أقاليم كل من الأراضى الواطئة (بعد دمج كل من بلجيكا وهولندا جبراً عن شعبيهما فى مملكة واحدة)، وسردينيا، وجنوة، وسافوى[1].

أما فيما يتصل بسياسة التعويضات - وفى سبيل تحقيق توازن القوى فى أوروبا - فقد عمد الأوتوقراطيون الكبار إلى إعادة توزيع عوامل القوة الطبيعية (الأقاليم - السكان - الموارد) فيما بينهم على صورة تؤدى إلى تعويض بعض الدول عن شئ من المناطق التى فقدتها (بسبب الحروب النابليونية) بمناطق أخرى حتى يظل توازن القوى قائماً. وبمقتضى هذه السياسة اتفق المؤتمرون فى فيينا على [2]:

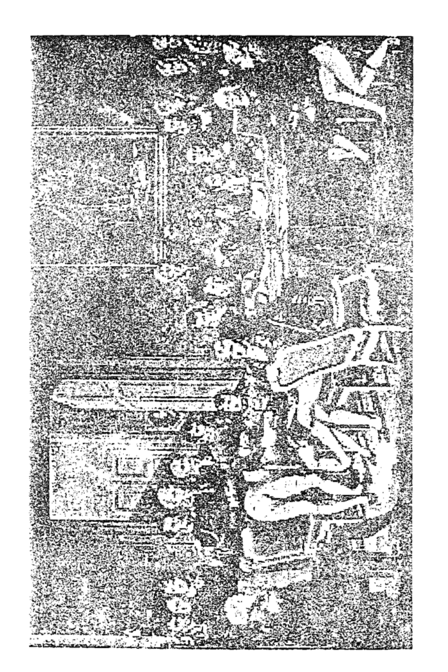
أ- تنازل بروسيا لروسيا عن ولاية وارسو.

ب- حصول بروسيا - فى المقابل - على نصف سكسونيا، ومقاطعة الراين الألمانية.

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٠.

(٢) راجع فى هذا المضمون : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، من ص ٢٨ إلى ص ٣١.



مؤتمر فيينا

جـ- أقامت النمسا ولاية بافاريا كدولة ألمانية قوية موالية لها في مواجهة النفوذ الروسى فى الولايات الألمانية، كما أقامت النمسا اتحاداً للولايات الألمانية التسع والثلاثين تحت زعامتها.

د- بالنسبة للولايات الإيطالية فقد قام رئيس وزراء النمسا مترنيخ بتجاهل المطالب القومية للإيطاليين حيث أجلس أحد أفراد أسرة البربون الفرنسية على عرش نابولى، كما احتلت النمسا لمبارديا والبندقية واسترد البابا ممتلكاته.

هـ- كوفئت السويد على انضمامها إلى جانب المتحالفين ضد نابليون بمنحها النرويج التى كانت تابعة للدانمرك.

وجملة القول فى شأن مؤتمر فيينا فإن المؤتمرين فيه راحوا يؤكدون على تمسكهم بالنظم الأوتوقراطية ومبدأ الشرعية العتيق الذى تستند إليه، ونبذهم للنظم الثورية الدستورية وما تطالب بإعماله من مبادئ، وعلى رأسها مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصائرها.

وهكذا فإن مقررات فيينا جاءت - فى جملتها - مخيبة لما كانت تتطلع إليه شعوب أوروبا من طموحات قومية، تلك الشعوب التى دقت طبول الحرب فى مواجهة الاحتلال النابليونى على أمل أن تنال الحق فى تقرير المصير غداة التخلص من نير ذلك الاحتلال. غير أن أوتوقراطيى أوروبا وقفوا - فى فيينا - بالمرصاد لتطلعات الشعوب الخاضعة لإمرتهم، وضربوا عرض الحائط بالآمال الكبار التى علقتها هذه الشعوب عليهم، وبدلاً من إقرار مبدأ حق تقرير المصير أكد المتعاهدون فى فيينا تمسكهم بمبدأ حق العروش فى تقرير مصائر الشعوب، وبالتالى إعادة الأمور فى

أوروبا إلى ما كانت عليه قبل قيام الثورة الفرنسية وتوزيع الشعوب بين ملوكها القدامى. وعلى الرغم مما تقدم فإن مبادئ الثورة الفرنسية - وعلى رأسها مبدأ القوميات - لم تخمد فى نفوس الشعوب الأوربية المنادية بإعمالها، إذ ظلت جذوة هذه المبادئ مستعرة لدى هذه الشعوب على النحو الذى سنعرض له لاحقاً.

عودة نابليون إلى فرنسا ومعركة واترلو:

فى أثناء انعقاد مؤتمر فيينا تمكن نابليون من التخلص من منفاه فى إلبا والنزوح إلى الأراضى الفرنسية، ثم ما برح أن كون جيشاً يعتد به وراح يغزو الأراضى البلجيكية. ويشير المؤرخون إلى أن اختيار نابليون لبلجيكا كى يبدأ بها غزوه كان اختياره موفقاً، إذ كان من شأنه أن نال استحسان الشعب الفرنسى الذى طالما حلم بالسيطرة على الأراضى البلجيكية بغية الوصول إلى المصب العظيم لنهر الراين [١].

وبطبيعة الحال فإن أوتوقراطيى أوروبا المؤتمرين فى فيينا لم يكونوا ليقفوا مكتوفى الأيدى أمام الزحف النابليونى الجديد، إذ سرعان ما فضوا مؤتمرهم وراحوا يجيشون جيوشاً عظيمة الشأن ضمت عناصر بريطانية وألمانية وبروسية وبلجيكية وهولندية تحت قيادة الإنجليزى ولينجتن. وفى يوم طال نهاره من أيام شهر يونيو عام ١٨١٥ - وعند واترلو البلجيكية - تمكنت جحافل ولينجتن من دحر آخر الجيوش النابليونية، وسرعان ما تم أسر الزعيم الفرنسى ونفيه إلى جزيرة سانت هيلانة [٢] لينتهى بذلك ما يعرف بحكم المائة يوم، وتعود أسرة

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : المرجع السابق، ص ١١٤.

البربون من جديد إلى اعتلاء عرش فرنسا. وبـــدأ أوتوقراطيـــو أوروبـــا يستعدون لعقد الصلح من جديد مع فرنسا، غير أن قيصر روسيا إســـكندر الأول راح يدعو - وقبل أن تعقد معاهدة الصلح مع فرنسا - إلى محالفـــة أوربية جديدة.

المحالفة المقدسة (٢٦ سبتمبر ١٨١٥) :

وقد وقع على هذه المحالفة - بناء على دعوة قيصــــر روســيا - أوتوقراطيو روسيا والنمسا وبروسيا،وهى محالفة مقدسة لأنها أرادت فـــى وثيقتها أن تطبق مبادئ الأخلاق المسيحية فى ميدان السياسة، وكما ســبق أن أشرنا فقد نبعت الفكرة الداعية إلى هذه المحالفة مـــن قيصـــر روســـيا مدفوعاً فى ذلك بما تسلط عليه وقتذاك من أفكار صوفية. والنــــاظر فـــى نصوص وثيقة المحالفة سرعان ما يدرك أنها لا تتضمن أفكاراً صالحــــة للتطبيق، فهى لا تعدو أن تكون مجرد عبارات جوفـــاء تـــدور حـــول أن الأمراء الثلاثة المتعاقدين سيظلون مرتبطين برباط الأخوة الحقة الـــذى لا انفصام له، وذلك وفقاً لما ينادى به الكتاب المقدس من أن يتعامل النــــاس جميعاً على أنهم أخوة [١].

وعلى سبيل المثال فقد جاء فى ديباجة هذه المحالفة : " ليس لـــهذه الوثيقة من غرض سوى أن تعلن للعالم أجمع أنه قد صح عزم الموقعيـــن عليها على أن يسترشدوا بمبادئ الديانة المقدســـة (المســيحية)، وهـــى مبادئ العدالة والمحبة المسيحية والسلام فيما يتعلق بإدارة شئون بلادهـــم، وكذا فيما يتصل بعلاقاتهم السياسية مع غيرهم من الحكومات "[٢].

---

(١) محمد طه بدوى، محمد طلعت الغنيمى، دراسات سياسية وقومية، دار المعـــارف، الإســكندرية، ١٩٦٣، ص ٣٠٠.

(٢) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.

وقد أثارت المحالفة المقدسة دهشة رجال السياسة ورجال الدين على السواء، وعلى سبيل المثال فقد وصفها مترنيخ بأنها : " طبل أجوف وفيض من عواطف التقى والورع التى تجيش فى صدر القيصر إسكندر " كما وصفها كاسلريه وزير خارجية إنجلترا بأنها "تمثل خليطاً من الصوفية والكلام الفارغ "[1].

وقد امتنعت إنجلترا عن التوقيع على وثيقة المحالفة المقدسة بدعوى أن الدستور يمنع الملك أو الوصى على العرش من ذلك، وفى المقابل فقد انضمت دول عديدة إلى المحالفة مراعاة لشعور اسكندر، كما انضمت إليها فرنسا فى محاولة للخروج من عزلتها[2].

معاهدة باريس الثانية (٢٠ نوفمبر ١٨١٥) :

وبمقتضى هذه المعاهدة تم إقرار الصلح بين الأوتوقراطيات الأربع المنتصرة فى واترلو (النمسا، إنجلترا، بروسيا، روسيا) من ناحية، وفرنسا المنهزمة من ناحية أخرى. وفى ظل معاهدة باريس الثانية عامل المنتصرون فرنسا معاملة أكثر صرامة من معاملتهم إياها فى ظل معاهدة باريس الأولى، حيث تم انقطاع أجزاء من إقليم فرنسا، إذ أجبر الفرنسيون على التخلى عن بعض الأقاليم لحساب كل من الأراضى المنخفضة وألمانيا، كما فرضت على فرنسا - بمقتضى المعاهدة - غرامة قدرها سبعمائة مليون فرنك، وأجبرت على إعادة الكنوز الفنية التى كانت الجيوش النابليونية قد استولت عليها إبان غزواتها، والتى كان

---

(١) المرجع السابق ذاته، ص ٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨، ٣٩.

المنتصرون قد وافقوا على بقائها في يد الفرنسيين بمقتضى معاهدة باريس الأولى[1].

كما نصت المعاهدة على قيام مائة ألف مقاتل من جيوش المنتصرين باحتلال الحصون الشمالية الشرقية لفرنسا لمدة خمس سنوات، وهى المدة التى تم الاتفاق على أن يتم تقسيط الديون الفرنسية للحلفاء خلالها[2].

وعلى الرغم من قسوة المعاملة التى لقيتها فرنسا بمقتضى معاهدة باريس الثانية فإن هذه المعاملة - فى جملتها - لم تكن تمثل اعتداءً جسيماً على كرامة الفرنسيين، لا سيما إذا ما علمنا أن بروسيا كانت ترغب فى انتزاع إقليمى الألزاس واللورين الغنيين بالفحم من فرنسا، غير أن إنجلترا رفضت هذا المطلب خوفاً من أن يؤدى تحقيقه إلى زعزعة حكم البربون وإضعاف هيبتهم على نحو يفقدهم ثقة الشعب الفرنسى، ويهيئ لثورته عليهم [3].

ومهما يكن الأمر فإن الأوتوقراطيات الأربع قد اتفقت فى ذات اليوم الذى عقدت فيه معاهدة باريس (٢٠ نوفمبر ١٨١٥) على إنشاء محالفة جديدة تجمع شملهم فى مواجهة أية تهديدات تصدر عن فرنسا فى المستقبل.

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : فيشر ، مرجع سبق ذكره، ص ١١٥.

(٢) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.

(٣) أنظر فى هذا المضمون : فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ١١٤، ١١٥.

المحالفة الرباعية (٢٠ نوفمبر ١٨١٥) :

وقد ضمت هذه المحالفة الأوتوقراطيات الأوربية الأربع الكبرى (إنجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا). وكان هدفها تدعيم الأوضاع الأوربية القائمة، وضمان تنفيذ نصوص معاهدة باريس الثانية، والحيلولة دون عودة أسرة بونابرت إلى الحكم فى فرنسا[١]، فضلاً عن الوقوف صفاً واحداً فى مواجهة أية تهديدات قد تصدر عن فرنسا مستقبلاً، حيث أخذت القوى الأربع على عاتقها أن تبادر كل منها بتقديم ستين ألف مقاتل لمساعدة أى طرف يتعرض لهجوم فى المستقبل[٢].

وقد رفضت إنجلترا مشروعاً تقدم به قيصر روسيا يدعو القوى الأربع إلى ممارسة رقابة على الشئون الداخلية للدول الأوروبية، والتدخل جماعياً للقضاء على أية حركة ثورية تطل برأسها داخل أية دولة منها. ويرتد رفض إنجلترا لسياسة التدخل فى الشئون الداخلية للدول إلى تعارض هذه السياسة مع مبادئ نظامها الملكى الدستورى البرلمانى[٣].

ولعل من أظهر ما اتفق عليه أطراف المحالفة الرباعية كان نص المادة السادسة من وثيقة المحالفة، والذى ورد فيه : " حتى يمكن دعم الروابط التى تجمع فى الوقت الحاضر الملوك الأربعة فى اتحاد وثيق، يوافق المتعاقدون على تجديد عقد اجتماعاتهم فى فترات معينة سواء كانت هذه الاجتماعات تحت إشرافهم شخصياً أو حضرها ممثلون عنهم،

---

(١) بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠١.

(٢) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.

(٣) بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية (القرن التاسع عشر : ١٨١٥ – ١٩١٤)، ترجمة جلال يحيى، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ٥٦.

وذلك بهدف تبادل الرأى فيما يتعلــــق بمصالحـــهم المشـــتركة، واتخـــاذ الإجراءات الكفيلة بتأمين سكينة الأمم ورخائها، وترسيخ استقرار الســـلام فى أوروبا[1].

وارتباطاً بهذه المادة ظهرت سياسة المؤتمرات، وما ارتبـــط بـــها من ظهور ما يعرف بالتضافر الأوربى على النحو الذى سنعرض له فـــى الصفحات التالية.

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.



الفصل الثالث (•)

فى

عصر المؤتمرات الأوروبية

(إن أية تغييرات تشريعية أو إدارية تتم داخل أية دولة
لا تكون إلا بيد ملكها، وملكها وحده)

من مقررات مؤتمر ليباخ

(يستطيع أحد أبله أو أحمق أن يحكم البلاد بواسطة الأحكام
العرفية ولكن السياسى الصحيح هو الذى يحكم البلاد
بالطرق الدستورية)

كافـور

أحد قادة الوحدة الإيطالية الكبار

(•) كتب هذا الفصل : د/ أحمد وهبان.

عصر المؤتمرات :

تمثل سياسة المؤتمرات إحدى الوسائل التى لجأت إليها القوى الأوروبية الكبرى خلال القرن التاسع عشر بغية تحقيق توازن القوى فيما بينها، فكما سبق أن أشرنا نصت المادة السادسة من معاهدة باريس الثانية (٢٠ نوفمبر ١٨١٥) على قيام القوى الأربع الكبرى المنتصرة على نابليون بعقد سلسلة من الاجتماعات الدورية بغية اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالإبقاء على الأوضاع التى أوجدتها مقررات فيينا وباريس الثانية، وخاصة فيما يتعلق بخريطة أوروبا الدبلوماسية.

إذ أكد المتحالفون فى باريس الثانية اعتزامهم المحافظة على تلك الخريطة بالقوة المادية مع الحيلولة دون عودة أسرة بونابرت إلى عرش فرنسا، وارتباطاً بما تقدم ظلت سياسة أوروبا قاطبة - لسنوات عديدة - ترسم من خلال مؤتمرات يعقدها الأربعة الكبار، الذين أضحوا بمثابة حكومة أو إدارة عليا تفرض سلطانها على القارة الأوروبية مستندة فى ذلك إلى القوة المادية، وبذلك فقد راحت أوروبا تعبر مرحلة من تاريخها الدبلوماسى هى مرحلة المؤتمرات[1].

وهكذا فقد ظهر ما يعرف بالتضافر الأوروبى، والذى فى ظله كانت للأوتوقراطيات الأوربية الكبرى اليد الطولى فيما يتصل بتقرير الشئون الأوروبية قاطبة، فراح ممثلو هذه الأوتوقراطيات يعقدون مؤتمرات دورية استهدفت البحث فى مصالحهم المشتركة، ومناقشة كافة الأمور المتصلة بالسلام الأوروبى.

وفيما يلى نعرض لأظهر المؤتمرات التى عقدت فى ظل التضافر الأوروبى :

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠١.

مؤتمر إكس لاشابيل [١] :

عقدت الأوتوقراطيات الأربع الكبرى (إنجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا) هذا المؤتمر في سبتمبر عام ١٨١٨، وقد حضره رئيس الوزراء الفرنسى الدوق دى ريشيليو ممثلاً لفرنسا، حيث تضمن جدول أعمال المؤتمر مسألة سحب قوات الاحتلال من الأراضى الفرنسية، وتجدر الإشارة إلى أن ريشيليو كان قد سعى جاهداً - خلال العاملين السابقين على مؤتمر إكس لاشابيل - إلى إقناع الأوتوقراطيين الأربعة الكبار بضرورة سحب قواتهم من فرنسا فى أقرب فرصة ممكنة، وعدم الانتظار إلى نهاية الخمس سنوات التى حدودها فى باريس الثانية كفترة احتلال. وقد تذرع ريشيليو - بصدد طلبه المتقدم - بأن من شأن طول فترة الاحتلال أن يضج الشعب الفرنسى، وتزداد لدى أفراده مشاعر العداء إزاء القوى الأربع الكبرى على نحو قد يهيئ لإيقاظ الروح الثورية فى نفوس الفرنسيين[٢].

وأمام حجج ريشيليو المتقدمة اضطر ولنجتن (قائد قوات الاحتلال) إلى إرسال محققين لدراسة حال الرأى العام الفرنسى، وسرعان ما أكدت هذه الدراسة صواب ادعاءات ريشيلو، الأمر الذى تمخض عن اقتناع الحلفاء بضرورة سحب قواتهم من فرنسا، وبالتالى فقد راحوا يعلنون – فى ربيع عام ١٨١٨ - استعدادهم لسحب هذه القوات شريطة أن يدفع الفرنسيون غرامة الحرب التى حددتها معاهدة الصلح بأكملها[٣].

---

(١) راجع بصدد هذا المؤتمر وسياسة المؤتمرات عموماً : محمد قاسم، حسين حسنى، تاريخ القرن التاسع عشر، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٤٨ ص: ٦٧ : ٧١.

(٢) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.

(٣)المرجع السابق.



الأمير ميترنيخ - المستشار النمساوى

على أية حال فقد وافقت الأوتوقراطيات الأربع الكبرى أثناء انعقاد مؤتمر إكس لاشابيل - وفى ١٩ أكتوبر ١٨١٨ - على جلاء قواتها التى تحتل فرنسا[١]. بيد أن ريشيليو لم يكتف بذلك وإنما راح يطالب ممثلى الأوتوقراطيات الأربع الكبرى بقبول فرنسا كعضو فى زمرة القوى الكبرى مؤكداً لهم أن من شأن ذلك إرضاء العزة القومية للفرنسيين، وتدعيم النظام الملكى الفرنسى[٢].

وعلى الرغم من اختلاف القوى الأربع حول مطلب ريشيليو - فى بداية الأمر - فقد وافقت هذه القوى - فى النهاية - على ذلك المطلب، وبالتالى فقد أضحت فرنسا واحدة من القوى الأوروبية المقررة لمصير النسق الأوروبى، وإن كان مترنيخ قد أقنع ممثلى إنجلترا وروسيا وبروسيا بعد اتفاق سرى بين القوى الأربع تعهدت بمقتضاه باستخدام جيوشها مشتركة ومتحدة ضد فرنسا فى حالة حدوث ثورة فرنسية ناجحة يترتب عليها تهديد لأمن الدول المجاورة. وقد عقد هذا الاتفاق فى أول نوفمبر عام ١٨١٨، وإن كانت إنجلترا قد وافقت على تنفيذه فى حالة واحدة فقط وهى اعتلاء أحد أفراد أسرة بونابرت عرش فرنسا[٣].

ومهما يكن الأمر فإنه بمقتضى مقررات إكس لاشابيل أضحت فرنسا عضواً فى هيئة الكبار، وصارت المحالفة الرباعية محالفة خماسية، وراح الحلفاء الخمسة يعلنون نيتهم الصادقة فى تمسكهم بمبدأ الاتحاد والتفاهم من أجل السلام العام فى أوروبا. وهكذا فإن انضمام فرنسا إلى عصبة لكبار أتم بناء صرح التضافر الأوروبى، غير أن هذا الانضمام

(١) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢.
(٢) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٣.
(٣) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣.

ذاته كان بمثابة المسمار الأول فى نعش ذلك التضافر، ذلك بأن تماسك المحالفة الرباعية كان مرده إلى خوف الأوتوقراطيات الأربع من الخطر الفرنسى، وبانضمام فرنسا إلى المحالفة تحرر الحلفاء من ذلك الخوف، وبالتالى فقد كان من الطبيعى أن تنخفض درجة تحمسهم للتحالف(١).

غير أنه فى الوقت الذى تضاءل فيه الخوف من انفجار الثورة فى فرنسا ازدادت المخاطر فى بقاع أخرى من القارة الأوروبية، ففى ألمانيا تمكنت حركة التحرر فى بافاريا من إجبار الملك على منح المملكة نظاماً دستورياً، كما ازداد انتشار مبادئ الحركة القومية فى الأوساط الجامعية، وفى إيطاليا ظهرت حركات ثورية قوية فى نابولى (يوليو ١٨٢٠)، وتورينو (مارس ١٨٢١). وقد استهدفت هذه الحركات إجبار الملوك والأمراء على الارتباط فى حكمهم بنظم دستورية، كما راح أعضاء جمعيات (الكاربونارى) التى ظهرت فى نابولى يعملون على نشر الإيمان بفكرة الوحدة الإيطالية داخل شتى أرجاء الأراضى التى يقطنها إيطاليون، كما دعا رئيس الثوار فُى بيدمونت إلى تحرير لومبارديا والبندقية من الحكم النمساوى(٢).

وفى إسبانيا سقط نظام فرديناند السابع المطلق فى يناير ١٨٢٠ على يد حركة ثورية تقودها مجموعة من الضباط، وفرض الثوار على الملك نظاماً دستورياً، فى حين فشل أنصار الملكية المطلقة فى حركتهم المضادة التى قاموا بها فى يوليو ١٨٢٢(٣).

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٢.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق.

على أية حال فإن الخمسة الكبار لم يكونوا ليقفوا مكتوفى الأيـــدى أمام تلك الثورات التى أخذت فى الاندلاع منذ عام ١٨٢٠، إذ سرعان مـــا دعا الكبار إلى عقد مؤتمر فى تروباو بهدف مناقشة المستجدات المشــــار إليها على الساحة الأوروبية.

مؤتمر تروباو :

كان قيصر روسيا قد اقترح على المؤتمرين فى إكــــس لاشـــابيل إنشاء تحالف أوروبى عام تخول بمقتضاه القوى الكبرى حق التدخل لقمــع أية ثورة تندلع فى مواجهة أى من العروش الأوروبيــــة، غــير أن هـــذا الاقتراح قوبل بالرفض من جانب القوى الأربع الأخرى ولا سيما إنجلترا، حيث كان كاسلريه يؤكد دوماً رفض بلاده لمبـــدأ التدخـــل فـــى الشــئون الداخلية للدول الأخرى.

ومع اندلاع الثورة فى إسبانيا وقيام النظام الدســـتورى بـــها فـــى يناير ١٨٢٠ أصاب الخوف القيصر الروسى، حيث خشى اســـكندر الأول من انتقال عدوى الثورة إلى بلاده لا سيما وأنها كانت تعيش فى ظـــــروف مماثلة لتلك التى كانت سائدة فى إسبانيا عشية الثورة. ومن هنا فقد هــــب القيصر مطالباً بعقد مؤتمر يضم سائر ملوك أوروبا لاستنكار المســـتجدات التى شهدها الصعيد الإسبانى، والمطالبة بالتدخل لإلغاء الدستور الإســـبانى ولو بقوة السلاح، غير أن كاسلريه أعلن - أيضاً هذه المرة - رفض بـــلاده لمبدأ التدخل بالقوة فى الشئون الداخلية للدول الأخرى قائلاً : أنه ما مــــن بلد ذى نظام حكم نيابى يوافق على التصرف وفقاً لذلك المبدأ، وأضـــــاف كاسلريه أنه يعتبر الثورة الإسبانية مسألة داخلية لا تشـــكل خطـــراً علـــى البلاد الأخرى، وبالتالى فإنه لا يرى مبرراً لتأييد إنجلترا أية محاولة لقمــع تلك الثورة بالقوة، كما أوضح كاسلريه لدبلوماسيى أوروبا أن إنجلترا تدين

بأسرتها المالكة الحالية ودستورها لثورة داخلية، وبالتالى فإنها لا تستطيع أن تنكر على البلاد الأخرى هذا الحق نفسه فى تغيير شكل حكوماتها [1].

أما بصدد الموقف النمساوى من مبدأ التدخل فإن مترنيخ كان فى بداية الأمر يرفض هذا المبدأ، غير أنه عاد ووافق على المبدأ غداة اندلاع الثورة فى نابولى فى يوليو ١٨٢٠، أما فرنسا فقد كانت ترفض مبدأ التدخل شأنها فى ذلك شأن إنجلترا، وعلى ذلك فقد تعددت اجتماعات ممثلى الأوتوقراطيات الثلاث الكبرى الأخرى (النمسا - روسيا - بروسيا) حيث أسفرت هذه الاجتماعات عن عقد بروتوكول تروباو، الذى تم التوقيع عليه فى ١٩ نوفمبر ١٨٢٠. وفى حين رفضت إنجلترا التوقيع على هذا البروتوكول انضمت إليه فرنسا خشية العزلة[2].

وهكذا فقد أقرت القوى الأربع الموقعة على بروتوكول تروباو (النمسا - روسيا - بروسيا - فرنسا) مبدأ التدخل لقمع الثورات وحماية العروش، كما اتفقت هذه القوى - بمقتضى البرتوكول ذاته - على استبعاد أية دولة طرف فى الحلف منه إذا ما اندلعت فيها ثورة أحدثت تغييراً فى نظامها السياسى الداخلى، كما أنه يحق للحلفاء التدخل لإعادة هذه الدولة إلى حظيرة التحالف بالوسائل الودية، فإن لم تفلح هذه الوسائل فى بلوغ هدفها لجأ الحلفاء إلى القوة[3].

---

(١) راجع فى هذا المضمون : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، من ص ٤٨ إلى ص ٥٠.
وكذلك : قاسم، حسلى، مرجع سبق ذكره، ص ٦٩، ٧٠.

(٢) المرجع السابق، عمر عبد العزيز ص ٥١.

(٣) بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٢، ٣٠٣.



الفيكونت كاسلرى

مؤتمر ليباخ :

كان المؤتمرون فى تروباو قد اتفقوا على عقد مؤتمر فى ليباخ بغية الاتفاق على الإجراءات الكفيلة بتنفيذ مقررات تروباو فيما يتصل بالمسألة الإيطالية، وبالفعل فقد عقد مؤتمر ليباخ بدءاً من يناير عام ١٨٢١ وحضره إمبراطور النمسا وقيصر روسيا ومترنيخ وفرديناند الأول ملك نابولى، حيث تم الاتفاق على إلغاء دستور نابولى، وأنيط بالنمسا مهمة تنفيذ هذا الإلغاء بالقوة العسكرية [١].

وهكذا فقد تحقق للنمسا ما كانت تصبو إليه، فتحت غطاء التكليف الأوروبى راح الجيش النمساوى يتدخل فى نابولى - مع نهاية فبراير ١٨٢١ - حيث تمكن من إخماد الثورة الدستورية، وإعادة سلطة فرديناند الأول المطلقة [٢].

وقبل أن يختتم المؤتمرون فى ليباخ أعمال مؤتمرهم استنجد بهم ملك سردينيا ضد رعاياه الثائرين، فسارعت النمسا بإرسال جيشها لإخماد الثورة فى بيدمونت، وإعادة النظام القديم إلى سردينيا [٣].

يبقى أن نشير إلى أن مؤتمر ليباخ قد انفض فى مايو ١٨٢١ حيث أصدر بياناً ختامياً جاء فيه : " إن الهدف من التحالف الأوروبى إنما هو تأييد المعاهدات القائمة، والمحافظة على السلام العام وتحقيق سعادة

(١) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٨٦.

(٣) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣.

الأمم، وأن التغييرات التشريعية والإدارية داخل الدول يجب أن تأتى من جانب أولئك الذين أعطاهم الله مسئولية الحكم فى هذه الدول "[1].

وهكذا يكون مؤتمر ليباخ قد أكد على مبدأين رئيسيين أعلن المؤتمرون تمسكهم بهما، ويتمثل هذان المبدآن فى :

١-مبدأ شرعية تدخل الكبار لإخماد الثورات الدستورية وحماية العروش داخل كافة الدول الأوروبية، وهو المبدأ الذى بمقتضاه سمح للنمسا بإخماد الحركات الثورية الدستورية فى الأراضى الإيطالية.

٢-مبدأ الحق الإلهى للعروش فى تقرير مصائر الشعوب، وهو المبدأ الذى ورد بارزاً فى البيان الختامى لمؤتمر ليباخ، والذى جاء فيه أن أية تغييرات تشريعية أو إدارية داخل أية دولة هى بيد ملكها، وملكها وحده.

ونظراً لارتباط المؤتمرين فى ليباخ بهذين المبدأين فقد أعلنت الحكومة الإنجليزية استنكارها لمقررات المؤتمر، وعدم اعترافها به، وتنصلها من تبعاته [2].

مؤتمر فيرونا :

وقد حضر هذا المؤتمر كل من إمبراطور النمسا وقيصر روسيا وملوك بروسيا وسردينيا ونابولى فضلاً عن مترنيخ، ووزير خارجية فرنسا، وممثلين لإنجلترا. ولقد انصب اهتمام المؤتمر على مناقشة المسألة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع السابق.

الإسبانية، ففى ٣٠ أكتوبر ١٨٢٢ قرر المؤتمر التدخل المسلح فى شئون إسبانيا برغم رفض إنجلترا لهذا العمل،وتأكيد ممثليها رفض بلدهما لمبدأ التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.

غير أن أعضاء المؤتمر فشلوا فى أن يتدخلوا جماعياً لإخماد الثورة الإسبانية[١]. وإذا بفرنسا تقرر أن تتدخل منفردة فى إسبانيا، ويرتد إقدام فرنسا على هذا الإجراء إلى اعتبارات تتعلق بسياستها الداخلية، ذلك بأن - الملكية الفرنسية العائدة إلى العرش كانت فى حاجة إلى انتصارات عسكرية لتحل صورتها فى أذهان الشعب الفرنسى محل صور الانتصارات النابليونية[٢].

على أية حال فقد كان انتصار الجيش الفرنسى فى إسبانيا أمراً ميسوراً، إذ سرعان ما تمت الإطاحة بالنظام الثورى، وإعادة الملك الإسبانى إلى عرشه [٣]. ولم يكتف الفرنسيون بذلك وإنما أعلنوا عزمهم على التدخل لإخماد الثورات فى المستعمرات الإسبانية فى العالم الجديد، غير أن إنجلترا وقفت لفرنسا بالمرصاد، وأعلن الإنجليز تصميمهم على استخدام القوة فى مواجهة الجيوش الفرنسية إن هى حاولت عبور الأطلنطى، والتدخل فى شئون أمريكا الجنوبية [٤].

والحق أن هذا الموقف الإنجليزى المتشدد من فرنسا بصدد المسألة الإسبانية إنما كان يرتد إلى سببين، **أولهما** إن الإنجليز كانوا

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٥، ٥٦.

(٢) بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٥٧.

يرفضون مبدأ التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى، وهو المبدأ الذى كان وزير الخارجية الإنجليزى الجديد كاننج أشــد مــن ســلفه المنتحــر كاسلريه تمسكاً به، أما السبب الثانى وراء الاستياء الإنجليزى من الموقف الفرنسى بصدد المسألة الإسبانية فيتمثل فى أن مســتعمرات إســبانيا فــى العالم الجديد كانت تربطها بإنجلترا علاقات تجارية عظيمة الشأن.

وبالإضافة إلى رفض إنجلترا فكرة تدخل فرنسا فى المســتعمرات الإسبانية كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أكدت - هـــى الأخــرى - رفضها التام لتدخل أية دولة أوربية فى شئون العالم الجديد، وقــد تمــت صياغة هذا الموقف الأمريكى بمقتضى مبدأ مونرو الذى ســنعرض لــه لاحقاً بإذن الله.

مؤتمر سان بطرسبرج :

فى أثناء انعقاد مؤتمر ليباخ – فـــى بدايــة عــام ١٨٢١ - قــام اليونانيون بثورة ضد الحكم العثمانى حيث طالبوا باستقلالهم عــن الدولــة العثمانية، وقد نظر مترنيخ إلى هذه الثورة على أنها تهديد للحكم الملكـــى، بغض النظر عن أن الملك القائم على هذا الحكم هو الســلطان العثمــانى المسلم، وكان مترنيخ يرى أن يقوم بعمل من شأنه تأييد موقف الســلطان العثمانى كى يحول بذلك دون تدخل روسيا (الأرثوذكسية) ضـــد الدولــة العثمانية (المسلمة) لصالح اليونان (الأرثوذكسية)[١].

(١) أنظر فى هذا المضمون : المرجع السابق ص ٥٤.

وعلى أية حال فإن انشغال الأوتوقراطيات الأوروبية الكبرى بالمسألتين الإيطالية والإسبانية قد حال دون مناقشة المسألة اليونانية خلال مؤتمرى ليباخ وفيرونا.

وبحلول عام ١٨٢٣ دعا قيصر روسيا القوى الكبرى إلى مؤتمر فى سان بطرسبرج لمناقشة المسألة اليونانية، وفى المؤتمر تضاربت وجهات النظر لكى ينفض المؤتمر من غير اتفاق بين الأعضاء فى هذا الصدد. وعلى هذه الصخرة تحطمت فكرة التضافر الأوروبى، فلقد راح القيصر - انطلاقاً من مصالح روسيا الذاتية - يتفاهم مع كل من إنجلترا وفرنسا على أساس استقلال اليونان، فى حين وقفت كل من النمسا وبروسيا موقفاً مناوئاً للموقف الروسى [١].

وهكذا فقد اتفق ثلاثة من الحلفاء القدامى على التدخل لحساب شعب متمرد على صاحب الحق الشرعى، وهم إذ ناصروه فإنما أيدوا مبدأ حق تقرير المصير خارجين بذلك على مبدأ الحلف الأول، وبذلك قضى الحلف نحبه إلى الأبد [٢].

وتأسيساً على ما تقدم فقد أثبتت التجربة أن خمس دول كبرى لم تستطع المثابرة على سياسة التضافر بعد أن تخلصت من الخطر المشترك. لقد تمسكت بتحالفها وحرصت عليه عندما كانت لها جميعاً مصالح فى ذلك، فلما زال الخطر المشترك راحت كل دولة منها تسترد حريتها فى العمل فى الميدان الدولى وفق ما تقتضيه مصالحها، حتى وإن تعارضت هذه المصالح مع مصالح غيرها من الدول الحليفة. لقد قام

---

(١) بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤.

التضافر الأوروبى على أساس تدعيم مبدأ الحقوق الشرعية، ومقاومة مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصائرها، ثم ما لبث المتحالفون أن تفرقوا شيعاً عندما زال الخطر المشترك كلٌ يسعى وراء مصالحه مؤيداً " الحق الشرعى " أو " حق تقرير المصير " حسب ما تقتضيه مصلحته[1].

إن فى ما تقدم ما يؤكد الحقيقة الخالدة التى قوامها :

" إن العلاقات الدوليةِ فى جملتها هى علاقات قوى لا يحكمها سوى قانون واحد هو قانون المصلحة القومية ".

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : المرجع السابق، ص ٣٠٤.

الفصل الرابع (*)

فى

عصر القوميات

(إن إيطاليا تريد منكم معشر أبنائها قليلاً من الشعر
والموسيقى والأناشيد الحماسية وكثيراً من العمل)

مانين

أحد دعاة الوحدة الإيطالية

(*) كتب هذا الفصل : د/ أحمد وهبان.

عصر القوميات :

لقد أراد المؤتمرون فى فيينا (١٨١٥) – كما سبق أن أشرنا – تأكيد سيادة أصحاب الحقوق القدامى وترسيخ مجد العروش (الحقوق الشرعية) وذلك بطبيعة الحال على حساب (حقوق الشعوب). بيد أن هذا المؤتمر لم يكد ينتهى حتى بات الإيمان راسخاً فى قلوب شعوب أوروبا جميعاً بوجود إقامة الرباط السياسى (الدولة) على أساس من الرباط الطبيعى (الأمة)، إنه مبدأ القوميات الذى يفضى بضرورة أن تأتى الوحدة السياسة (الدولة) متوجة للوحدة الطبيعية التى تربط أبناء الأمة الواحدة، وبالتالى فلابد من أن تكون الدولة قومية. وبطبيعة الحال فقد أصبح مؤدى هذا الإيمان الجديد أن أضحى أمراً بغيضاً لدى شعوب العصر أن ترى الأمة الواحدة أبناءها مبعثرين بين وحدات سياسية متفرقة، أو خاضعين لسلطان أجنبى، أو مكرهين على الاتحاد مع أبناء أمة أخرى تحت نير سلطان سياسى واحد [١].

ولقد ساعد على ترسيخ الفكرة القومية فى نفوس الشعوب الأوروبية وزكى الجهاد فى سبيلها اعتباران هما :[٢]

(١)سياسة الكبت التى حبكها المؤتمرون فى فيينا والتى كان مؤداها كبت الأفكار الحرة (حال فكرة القومية)، وقمع كل حركة فى سبيل تلك الأفكار لحساب مبدأ الحقوق الشرعية، فلقد تمخض هذا الكبت عن انفجار ملأ جو القرن التاسع عشر كله برذاذ فكرة القومية فراحت تنتشر كالنار فى الهشيم لتغطى شتى أصقاع القارة الأوربية، ولم يعد

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣، ١٠٤

أصحاب الحقوق الشرعية (الأوتوقراطيون) قادرين على قمع حركات المؤمنين بمبدأ القوميات، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر فى التمكين للحركات القومية.

(٢)إحساس بعض الأمم التى وقعت فريسة للغزو النابليونى – وعلى رأسها ألمانيا – بأن تفتتها السياسى هو الذى مكن هذا الغزو منها، ولكى يؤمن أبناء هذه الأمم بأنه لا سبيل إلى تفادى مثل هذا الغزو فى المستقبل إلا باتحاد قومى يجمع شتات الأمة، ويقوى من شوكتها سياسياً.

وتأسيساً على ما تقدم ففى أعقاب مؤتمر فيينا تكونت فى شتى أرجاء أوروبا جمعيات سرية تدعو إلى العنف والثورة فى سبيل تحقيق الوحدة السياسية القومية، وأدى ذلك إلى التفاف القوى القومية حول إحدى الدويلات القوية (كبروسيا فى ألمانيا وبيدمونت فى إيطاليا) واتخاذها مقراً ومنطلقاً للحركة القومية، وسرعان ما انضمت إلى هذه الدويلة بقية الدويلات استجابة للمشاعر القومية[١].

وجملة القول فى شأن ما تقدم أن فكرة القومية قد بلغت درجة من الرسوخ فى أذهان الشعوب – إبان القرن التاسع عشر – أضحت معها بمثابة زى القرن، ومن هنا جاء وصف القرن التاسع عشر بأنه قرن

---

(١) راجع بصدد هذه الحركات :

- صوفى أبو طالب، مرجع سبق ذكره، من ص ٢٠٣ إلى ص ٢٠٧. وكذا :
- Kohn, op. Cit.PP 9-12.
- وبخصوص عصر القوميات عموماً راجع تفصيلاً.
- أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر : دراسة فى الأقليات والجماعات والحركات العرقية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ١١ : ٦٣.

القوميات Century of Nationalism، حيث رسخت خلاله الفكرة القومية فى أوروبا مرتبطة بحق الشعوب فى تقرير مصيرها، وبالتالى جاءت بمثابة الثورة على الحقوق الشرعية القديمة (حقوق العروش) مستهدفة الوحدة السياسة بالنسبة لأبناء الأمة الواحدة من أجل القوة [١].

وكنتيجة لمبدأ القوميات – بمضمونه المتقدم – طرأ على أوضاع أوروبا السياسية – خلال القرن الذى أعقب مؤتمر فيينا لعام ١٨١٥ – من التطورات والانقلابات ما لم يسجل التاريخ مثيلاً له فى أى عهد من العهود الغابرة[٢].

فإبان الحقبة المذكورة ظهرت أغلب الدول القومية فى أوروبا، وإذا كانت هذه الدول قد نشأت كثمرة مباشرة لانتصارات حربية أو ثورات شعبية أو لاعتبارات متعلقة بالتوازن الأوروبى وحلف الدول الكبرى فإن ثمة حقيقية كبرى لا سبيل إلى إنكارها قوامها أن استقرار الوعى القومى ورسوخ الإيمان بالقومية كان بمثابة القلب النابض فى كل الحركات القومية، إذ تبعثت جميعها من هذا الإيمان عاملة على أن تستند الوحدة السياسية إلى وحدة طبيعية، فلا تفتيت لوحدة الأمة الواحدة لحساب سيادات سياسية مختلفة ولا سيطرة أجنبية ولا إكراه على اتحاد سياسى بين أبناء أمم مختلفة لا تصدق رغبتهم فيه [٣].

---

(١) محمد طه بدوى، طلعت الغنيمى، مرجع سبق ذكره، من ص ١٠٣ إلى ص ١٠٧.

(٢) أبو خلدون ساطع الحصرى، محاضرات فى نشوء الفكرة القومية، مرجع سبق ذكره، ص ٩.

(٣) راجع فى هذا الصدد :

- طه بدوى ، طلعت الغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٤، ١٠٥.
- صوفى أبو طالب، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٢، ١٧٣.

وارتباطاً بما تقدم فقد شهد القرن التاسع عشر ظهور العديد من الدول القومية الجديدة فى أوروبا، وكان أظهر هذه الدول دولة الوحدة الألمانية ودولة الوحدة الإيطالية، إنهما الوحدتان القوميتان اللتان كان لظهورهما أثر عظيم الشأن فى تاريخ أوروبا، بل وفى تاريخ العالم المعاصر قاطبة، ونظراً لذلك فإننا سنخص هاتين الوحدتين بعرض ينطوى على شئ من التفصيل، غير أننا سنعرج قبل ذلك على العالم الجديد بغية الوقوف على ما أحدثته الفكرة القومية فى جنباته من آثار، حيث أن رياح هذه الفكرة لم يقتصر هبوبها على الأصقاع الأوروبية، وإنما كان من شأنها أن عبرت المحيط الأطلنطى.

آثار الفكرة القومية على العالم الجديد غداة مؤتمر فينا :

مع بداية القرن التاسع عشر لم يكن بالعالم الجديد من شعوب مستقلة سوى شعب الولايات المتحدة، أما فيما يتصل بشعوب ذلك العالم الأخرى فقد كانت تخضع لاستعمار أوروبى، وفيما عدا البرازيل - التى كانت مستعمرة برتغالية - كانت الشعوب الأخرى تخضع لربقة المستعمر الإسبانى. غير أنه ما أن عبرت رياح القومية المحيط الأطلنطى - بحلول القرن التاسع عشر - حتى اشرأبت أعناق شعوب العالم الجديد الخاضعة لنير الاستعمار إلى الاستقلال، فراحت تدق طبول الحرب فى مواجهة المستعمر بغية التخلص من ربقته، وقد قاد نضال تلك الشعوب زعماء عديدون يأتى على رأسهم سيمون بوليفار ذلك الزعيم الحافز للنفوس، المذكى للهمم[1].

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٣.

وعلى الرغم من أن الثورة قد اندلعت في العالم الجديد منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر إلا أن نيران تلك الثورة تأججت واستشرت استشراء النار في الهشيم غداة مؤتمر فيينا، لا سيما مع اندلاع الثورة في إسبانيا ذاتها عام ١٨٢٠.

ومهما يكن الأمر فسرعان ما راحت المستعمرات الثائرة في العالم الجديد واحدة تلو الأخرى ترفع عن عنقها نير سيدتها الأوروبية، إذ تمكن كشرين من تحرير البرازيل من ربقة البرتغاليين عام ١٨١٥، وأعلن بوليفار استقلال كل من فنزويلا وكولومبيا بحلول عام ١٨١٩، أما الأرجنتين فقد تمكنت من نيل استقلالها عام ١٨١٦، وحققت بارجواى ذات الهدف عام ١٨١٧، أما المكسيك فقد نزعت عن عنقها أغلال الإسبان في عام ١٨٢١، وكانت شيلي قد حصلت على الاستقلال عام ١٨١٨، كما استقلت بوليفيا عام ١٨٢٥، وبيرو عام ١٨٢٦، في حين كانت كل من نيكارجوا وهندوراس وكوستاريكا وبنما قد حصلت على استقلالها عام ١٨٢١ (١).

الوحدات القومية الكبرى في أوروبا خلال القرن التاسع عشر :

١- الوحدة الألمانية (٢) :

كانت ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر - كما سبق أن أشرنا - في حالة شبيهة بإقطاعيات القرون الوسطى، ذلك بأنها كانت مقسمة إلى

---

(١) راجع في هذا الصدد على سبيل المثال بالإضافة على المرجع السابق :
عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ٥٤، وكذا : نبية الأصفهاني، عبد الرؤوف عز الدين، تعريف بجمهوريات أمريكا اللاتينية، مجلة السياسة الدولية. العدد ٨٣، يناير ١٩٨٦، من ص ١٣٥ إلى ص ١٤٩.

(٢) أنظر بصدد الوحدة الألمانية : Weigall & Murphy, Op. Cit. PP 81 – 82.
وكذا :نور الدين حاطوم، حركة الوحدة القومية الألمانية، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١.

عدد كبير من الدول والدويلات والمدن الحرة، وكان يعتلى سدة الحكم في بعضها رؤساء دينيون، في حين كان يحكم البعض الآخر رؤساء زمنيون، وكان بين هؤلاء الحكام من يحمل لقب ملك، ومنهم من كان أميراً، كما كان من بينهم دوقات وجراندوقات، وكان إلى جانب ذلك كله ثمة مدن حرة عديدة تتمتع بسيادة تامة فيما يتصل بإدارة كافة شئونها الداخلية وعلاقاتها الخارجية على السواء، وعلى الرغم من وجود ما يسمى بالإمبراطورية المقدسة إلا أن هذه الإمبراطورية كانت لا تتمتع بأية سلطة حقيقية، فكانت كل واحدة من الوحدات السياسية الكبيرة والصغيرة مستقلة في شئونها استقلالاً تاماً، حيث كان لكل واحدة منها حكومة خاصة وجيش خاص وقوانين خاصة، وباستثناء مملكة بروسيا كانت جميع الوحدات الألمانية – على كثرتها – شديدة الضعف من جميع الوجوه السياسية والعسكرية [1].

ومع اعتلاء نابليون سدة الحكم في فرنسا وسعيه إلى بناء إمبراطوريته كان من الطبيعي – في ظل ظروف التفكك التي كانت تعانيها ألمانيا – أن تتجه أطماعه إلى الأراضي الألمانية، وما أن دانت له السيطرة على هذه الأراضي حتى شرع في تمزيق أوصال الدول والدويلات الألمانية الجنوبية المتصلة بنهر الراين، حيث ألحق قسماً منها بفرنسا إلحاقاً مباشراً، وكون من قسم آخر مملكة جديدة أطلق عليها اسم مملكة وستفاليا ونصب أخاه جروم ملكاً عليها، ثم كون اتحاداً من بعض الدويلات الألمانية عرف باتحاد الراين وأعلن نفسه حامياً على هذا الاتحاد، وفي أعقاب ذلك قام نابليون بمهاجمة بروسيا ودحر جيوشها في موقعة " يينا " ثم زحف إلى برلين واستولى عليها، وفصل عن مملكة

---

(١) أبو خلدون ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨.

بروسيا أكثر من نصف أراضيها، وفرض عليها غرامة مالية باهظة ورقابة عسكرية قاسية، وفوق ما تقدم فقد جعل من ألمانيا الشمالية قاعدة للاستعدادات العسكرية التى كان يقوم بها لغزو روسيا، كما جند مئات الآلاف من الألمان فى الحروب الروسية [١].

ولقد كان لاكتساح نابليون للأراضى الألمانية أبلغ الأثر فى نفوس الألمان، إذ باتوا يدركون تمام الإدراك أن فقدان الوحدة القومية هو السبب فى ما أصاب بلادهم، ونظراً لذلك فقد امتلأ جو القرن التاسع عشر فى ألمانيا على وجه الخصوص بفلسفة القومية والعصبية الجنسية، وسيادة الجنس الألمانى، ورسالته السامية التى تقع على عاتقه نحو البشرية بأسرها [٢]. ولقد سرى هذا التيار القومى فى نفوس الألمان بسرعة كبيرة واستئثار – بوجه خاص – همم رجال الفكر والسياسة ودفعهم إلى العمل عملاً متواصلاً فى سبيل تخليص البلاد من ربقة فرنسا، وقد تمثل مركز هذه المساعى والحركات فى بروسيا التى اجتمع فيها كبار رجال الفكر والأدب والسياسة من جميع أنحاء ألمانيا وتضافروا على خلق روح جديدة فى البلاد [٣].

ولقد كان فيخت إمام دعاة القومية الألمانية وسمو الجنس الألمانى[٤] إذ عمد فيخت إلى نشر هذه الفكرة من خلال الخطب والمقالات وإلقاء الدروس والمحاضرات، ومن هنا فقد تمكن فيخت وغيره من

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠.

- Featherstone , HL, A Century of Nationalism, Thomas Nelson and sons LTS, London , 1939, P.P. 57 – 74.

(٢) محمد طه بدوى، طلعت الغليمى، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.

(٣) أبو خلدون ساطع الحصرى، محاضرات فى نشوء الفكرة القومية، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٤) كذلك كان هيجل من المبرزين من بعد فيخت فى هذه الناحية وذلك فى كتابه فلسفة التاريخ والذى نشر عام ١٨٣٧، أنظر فى هذا الصدد : محمد طه بدوى، طلعت الغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص١٠٢.

المفكرين من استثارة روح التضحية وتقوية نزعة الاتحاد فى النفوس، كما أخذ رجال السياسة يقدمون على إجراء إصلاحات إدارية واجتماعية لتهيئة السبيل أمام حركات الاستقلال والوحدة، وذلك فضلاً عما قام بـه رجـال الجيش من إعادة تنظيم الحياة العسكرية على أسس جديدة. وهكـذا فـإن الجهود التى بذلها رجال الفكر والسياسة والجيش فى بروسيا إثر كارثـة " يينا " كانت تستهدف هدفين أساسيين هما : تخليص البلاد الألمانيـة مـن النير الفرنسى من ناحية، وتوحيدها سياسياً وعسكرياً من ناحية أخـرى[1]. ولقد تكللت هذه الجهود – فـى ظـل مـؤازرة الجيـوش الأوروبيـة– بالنجاح فى دحر الجيوش النابليونية، الأمر الذى أوجد فى نفوس القومييـن الألمان أملاً قوياً فى تحقيق الوحدة الألمانية، بيد أن السياسة التـى سـار عليها المؤتمرون فى فيينا – كما سبق أن أشرنا – خيبت آمال القومييـن الألمان حيث قرر ساسة أوروبا تنظيم القارة الأوروبية من جديـد علـى أساس أن تعاد إلى الملوك حقوقهم الشرعية، وقد حـال ذلـك – بطبيعـة الحال – دون توحيد ألمانيا، حيث أبقى النظام الجديد الذى أقره المؤتمرون على تسع وثلاثين وحدة سياسية ألمانية بين مملكة، ودوقية، وجراندوقيـة، وإمارة مستقلة [2].

بيد أنه على الرغم من كافة الجـهود التـى بذلتـها الحكومـات الأوروبية – وعلى رأسها حكومة فرنسا – فى سبيل تعويق فكرة الوحـدة الألمانية فإن هذه الفكرة ظلت تتغلغل فى نفوس الألمان، وأخـذت – مـن خلال الصراع الثورى المسلح – تتحقق شيئاً فشيئاً متغلبـة علـى شـتى صنوف العوائق التى كانت تعترى سبيلها، وقد اكتسـبت فكـرة الوحـدة

---

(١) ساطع الحصرى، محاضرات ...... ، مرجع سبق ذكره، من ص ٣١ إلى ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق.

الألمانية قوة دفع هائلة مع تبنى بروسيا لها، حيث كانت هذه الفكـــرة قـــد لاقت اقتناعاً عميقاً من جانب المستشار البروسى بسمارك، فراح يتبناهـــا واضعاً إياها نصب عينيه.

وفى إطار سعيه إلى تحقيق هدفه المتقدم راح بسمارك يدخل فـــى معارك مع الدولة الألمانية الكبرى الأخرى المتمثلة فى النمسا، حيث كانت هذه الأخيرة تسيطر على الجانب الأكبر من الأراضـــى الألمانيـــة، وقـــد تمكن بسمارك خلال معاركه هذه من انتزاع قطاع عظيم المســـاحة مـــن الأراضى الألمانية بعد تخليصها من ربقة النمسا، غير أن هذه الفتوحـــات قد أثارت خوف فرنسا، تلك الدولة التى كانت تمثل العدو اللـــدود للوحـــدة الألمانية، نظراً للخلافات واسعة الهوة بين الفرنسيين والألمان حول إقليمى الألزاس واللورين، ومهما يكن الأمر فإن خلافاً حـــول بعـــض المطـــالب الإقليمية كان من وراء اندلاع حرب حامية الوطيس بين فرنسا وبروســـيا عام ١٨٧٠، وقد تمكنت جيوش بسمارك فى تلـــك الحـــرب مـــن دحـــر الجيوش الفرنسية، وإلحاق هزيمة نكراء بها، على نحو أدى إلـــى ســـقوط نابليون الثالث وقيام الجمهورية فى فرنسا، وعلى إثر انتصار بسمارك فـــى حرب السبعين وقع الجانبان الفرنسى والبروسى على معاهدة للصلح فـــى فرانكفورت، وقد نصت معاهدة فرانكفورت (١٨٧١) على ما يلى [١] :

أ- تخلى فرنسا عن إقليمى الألزاس واللورين لبروسيا.

ب- فرض غرامة مالية ضخمة على فرنسا.

جـ- خضوع فرنسا للاحتلال لمدة ثلاث سنوات يتم خلالـــها سداد الغرامة.

---

(١) راجع فى هذا المضمون : ممدوح منصور، مرجع سبق ذكره.

وفى يناير ١٨٧٢ تم الاحتفال بتنصيب فيلهلم الأول ملك بروسيا إمبراطوراً على ألمانيا الموحدة، وقد أقيم هذا الاحتفال فى قصر فرساى[١].

وهكذا فقد ألف الدين الجديد (القومية) بين ثلثمائة وستين دويلة ألمانية كانت لا تزال متمايزة حتى نهاية القرن الثامن عشر، وما أن حل عام ١٨٧١ حتى اندمج الخمس وعشرون وحدة – التى كان قد آلت إليها حال الثلثمائة والستين دويلة – فى دولة واحدة.

إن الدين الجديد (القومية) هو الذى دفع أمراء تلك الوحدات السياسية المتميزة إلى قبول زعامة بروسيا بعد أن رسخ الإيمان بالقومية فى قلوب أبناء الأمة الألمانية جميعاً، وإذا كانت شخصية بسمارك وانتصار بروسيا على فرنسا فى حرب السبعين قد هيأ السبيل للوحدة الألمانية فإن الدين الجديد هو الذى نفخ من روحه فى هذه الوحدة.

لقد كان من معجزات ذلك الدين فى القرن التاسع عشر أن تجمع أبناء الأمة الألمانية قاطبة فى اتحاد سياسى واحد بعد أن ظلوا لحقب طويلة مبعثرين بين ذلك الرماد من الوحدات السياسية، وتلكم هى غاية الدين الجديد[٢]. إنها الدولة القومية.

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٥.



كـــــــافور



٢- الوحدة الإيطالية [١] :

تجلت المعجزة الثانية من معجزات القومية إبان القرن التاسع عشر فى توحيد إيطاليا، ولقد كان الإيمان بالرباط المقدس فيما بين الإيطاليين – الذى كان قوامه وحدة اللغة والتاريخ – هو جوهر حركتى التحرير (من السيطرة الأجنبية) والتوحيد السياسى. وقد كان أبناء الأمة الإيطالية مبعثرين بين عدد كبير من وحدات سياسية متميزة يقع بعضها تحت سيطرة دول أجنبية، لذلك كان لابد لكى تتحقق غاية الدين الجديد (أى الوحدة) من حركتين تسيران جنباً إلى جنب، إنهما حركتا التحرير والتوحيد. وإذا كانت الظروف قد هيأت لهاتين الحركتين جهود زعماء قوميين ككافور وجاريبالدى ومعاونات حربية من الخارج بدوافع دبلوماسية كمساعدة فرنسا وبروسيا لاعتبارات متصلة بالتوازن الدولى آنذاك – فإن التخلص من السيطرة النمساوية وتوحيد الولايات الإيطالية كانا بحق ثمرة إيمان أبناء الأمة الإيطالية بالدين الجديد (أى القومية)، ذلك الإيمان الذى دعا الجمهوريين بزعامة جاريبالدى فى الجنوب إلى التخلى بنفس راضية عن مراكزهم للملكيين فى الشمال تمكيناً للوحدة، وهكذا فقد كان الإيمان بالدين الجديد (أى القومية) هو الدافع إلى الوحدة الإيطالية فى البداية ومتوج حركتها فى النهاية[٢].

يبقى أن نشير إلى أنه قد تم تتويج فيكتور إيمانويل (ملك سردينيا) ملكاً على إيطاليا الموحدة عام ١٨٦١[٣].

---

(١) انظر بصدد الوحدة الإيطالية : نور الدين حاطوم، حركة القومية الإيطالية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١، وكذلك لنفس المؤلف : تاريخ الحركات القومية، الجزء الأول، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٧.

(٢) انظر بصدد الوحدة الإيطالية كذلك :

- محمد طه بدوى، طلعت الغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٥، ١٠٦.
- وأيضاً : Featherstone, Op. Cit. PP. 49-57.

(٣) ممدوح منصور، مرجع سبق ذكره.

الفصل الخامس (*)

النسق البسماركي

وعصر جديد من التحالفات

(إحرص دائماً على أن تكون أحد ثلاثة

إذا كان توازن القوى قائماً على خمس قوى قطبية)

بسمارك

موحد ألمانيا

(*) كتب هذا الفصل : د/ أحمد وهبان.

النسق البسماركى وعصر جديد من التحالفات :

خرج المستشار الألمانى بسمارك من حرب السبعين تعلو هامته أكاليل النصر، ثم ما برح أن حقق لبنى جلدته ذلك الحلم الذى طالما راودهم، والهدف الذى اشرأبت أعناقهم دوماً إلى بلوغه، لقد كانت الوحدة الألمانية هى هذا الهدف وذلك الحلم، تلكم الوحدة التى تمخضت عن دولة فتية ما أن ظهرت إلى حيز الوجود حتى باتت تتمتع بالصدارة بين سائر القوى على طول القارة الأوروبية وعرضها[1]. غير أنه كان على بسمارك – غداة ذلك – أن يعمل بدأب لتأمين الدولة الألمانية الفتية من انتقام فرنسا المحتوم. ذلك بأن الفرنسيين قد خرجوا من حرب السبعين ومشاعر العداء إزاء الألمان تملأ نفوسهم أكثر من أى وقت مضى، حيث يجمع المؤرخون على أن قيام بسمارك بانتزاع الألزاس واللورين من قبضة الفرنسيين كان من شأنه أن عمق لديهم أسباب السخط، والبغضاء إزاء غرمائهم الألمان[2]، ومن هنا فقد كان بسمارك يعتبر فرنسا العدو الأول لألمانيا، وبالتالى كان يستشعر الخوف من الفرنسيين، ويتوقع إقدامهم على القيام بعمل عدائى فى مواجهة بلاده. ولقد ساعد على تزايد مخاوف بسمارك هذه نجاح فرنسا – غداة حرب السبعين – فى استعادة عافيتها الاقتصادية، وتمكنها من بناء جيش عظيم الشأن تألف من زهاء سبعمائة ألف من الجنود، فضلاً عن ذلك فإن العديد من الساسة الفرنسيين كانوا – وقتذاك – لا يترددون – من خلال خطبهم النارية – فى إظهار مشاعر العداء إزاء الألمان[3].

---

(١) أنظر فى هذا المعنى : بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكرهن ص ٣٠٥.

(٢) أنظر فى هذا المعنى : فيشر، مرجع سبق ذكرهن ص ٢٩٩.

(٣) أنظر فى هذا المضمون : المرجع السابق، ص ٣١٠.

وفى ظل ما تقدم ارتأى بسمارك أنه ليس من سبيل أمامه إن هو أراد احتواء خطر فرنسا سوى عزلها بحيث لا تجد لها حليفاً يشد من أزرها[1]. وفى سبيل تحقيق غايته هذه راح المستشار الألمانى خلال الفترة (١٨٧٠ - ١٨٩٠) يعقد العديد من المحالفات مع بعض القوى الأوروبية الكبرى، كما سعى بسمارك فى ذات الوقت إلى الإيقاع وإثارة الخلافات بين فرنسا وهذه القوى[2].

وقد تمثل أظهر المحالفات التى شهدها النسق البسماركى فيما يلى:

عصبة الأباطرة الثلاثة :

وقد ظهرت هذه العصبة إلى حيز الوجود بمقتضى وثيقتين وقعتا خلال شهرى مايو ويونيو عام ١٨٧٣ : حيث جاءت الوثيقة الأولى كتعبير عن اتفاقية ألمانية روسية تم التوقيع عليها فى ٦ مايو سنة ١٨٧٣، وقد جاء فى هذه الوثيقة أنه : إذا هاجمت أية دولة أوروبية أياً من الإمبراطوريتين (ألمانيا وروسيا) فإنه يتعين على الإمبراطورية الأخرى إمداد نظيرتها التى تتعرض للهجوم بجيش قوامه مائتى ألف رجل من القوات العاملة.

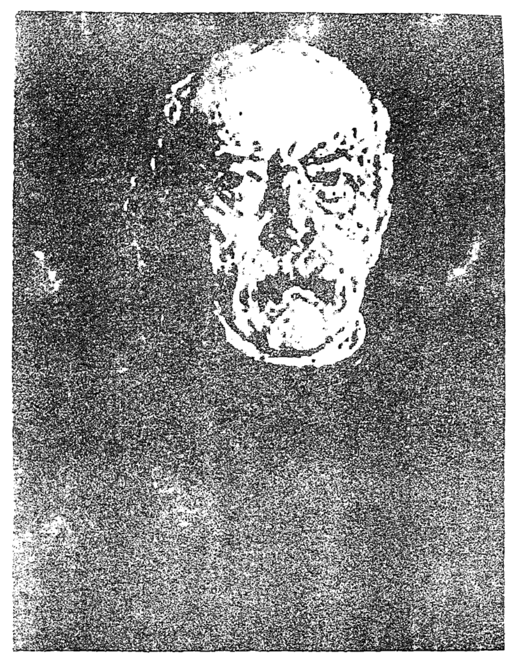
أما الوثيقة الثانية فقد أخرجت إلى حيز الوجود اتفاقية نمساوية روسية، وتم التوقيع عليها فى ٦ يونيو ١٨٧٣ من جانب إمبراطورى النمسا وروسيا، ثم ما لبث الإمبراطور الألمانى أن انضم إليها فى ٢٢ أكتوبر ١٨٧٣[3]، فكانت بذلك عصبة الأباطرة الثلاثة (ألمانيا - النمسا - روسيا).

---

(١) أنظر بصدد سياسية بسمارك تفصيلاً : قاسم وحسنى، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠، ١٣٨.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٥.

(٣) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢٦، ٥٢٧.



الأمير أوتو فون بسمارك - موحد ألمانيا ومستشارها



وكان مؤدى هذه العصبة التعاون من أجل تثبيت الخريطة الراهنة - وقتذاك - لأوروبا، والعمل على مناهضة الحركات الثورية فى طول القارة وعرضها على أساس أن فرنسا هى البؤرة التى تنبعث منها هذه الحركات، حيث استطاع بسمارك أن يقنع العاهلين الأوتوقراطيين الروسى والنمساوى بذلك، وبالتالى فقد كان مرمى العصبة هو عزل فرنسا والتكتل فى مواجهتها(١).

الثورة القومية فى البلقان وتصدع عصبة الأباطرة الثلاثة :

بحلول عام ١٨٧٥ اندلعت فى البوسنة والهرسك ثورة عارمة فى مواجهة الحكم التركى، وسرعان ما امتد لهيب الثورة إلى بلدان الجبل الأسود والصرب وبلغاريا لكى تستشرى الثورة فى البلقان استشراء النار فى الهشيم، إلا أن الأتراك كانوا وقتذاك من القوة بحيث تمكنوا من سحق الثورات البلقانية، بيد أن روسيا السلافية الأرثوذكسية لم تكن لتقف مكتوفة الأيدى إزاء سحق ثورة بنى نحلتها السلاف فى البلقان، إذ ارتأى الروس ضرورة التدخل وإعلان الحرب فى مواجهة تركيا نصرة لبنى نحلتهم من ناحية، ورغبة فى الحصول على مكاسب إقليمية من ناحية أخرى، لا سيما بعد الخسائر الفادحة التى كانوا قد تعرضوا لها من جراء معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، وهى المعاهدة التى وقعت على إثر هزيمة الروس أمام الجيوش البريطانية الفرنسية التركية المشتركة فى حرب القرم (٢).

مهما يكن الأمر فإن تدخل الروس إلى جانب الشعوب البلقانية فى ثورتها ضد الأتراك كان من شأنه أن يثير عداء النمساويين لهم، ذلك بأن النمسا

---

(١) بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٥.

(٢) أنظر بصدد هذه الحرب، فيشر، مرجع سبق ذكره، من ص ٢٢١ إلى ص ٢٢٥.

كانت لها مطامع فى بعض الأقاليم البلقانية المتاخمة لحدودها وعلى رأسها إقليمى البوسنة والهرسك. من جانب آخر فإن التدخل الروسى فى البلقان كان من شأنه أيضاً أن يثير غضب إنجلترا التى كانت ترغب فى الحفاظ على الدولة العثمانية خوفاً من أن يؤدى تفتتها وتقسيم أقاليمها فى آسيا وأوروبا إلى تعاظم قوة الدول المستفيدة من ذلك التقسيم بما يؤدى إلى تهديد توازن القوى داخل القارة الأوروبية، كذلك فقد كانت إنجلترا تخشى من استيلاء الروس على مضيقى البوسفور والدردنيل التركيين على نحو يهيئ لهم إرسال أساطيلهم إلى المياه الدافئة فى البحر المتوسط وقتما شاءوا، الأمر الذى كان من شأنه أن يكون بمقدور الروس تهديد طرق المواصلات البريطانية فى البحر المتوسط [1].

وعلى أية حال فقد تمكن الروس من إقناع النمساويين بالتوقيع - فى ١٥ يناير ١٨٧٧ - على اتفاقية سرية، تعهدت بمقتضاها النمسا بأن تقف على الحياد فى حالة قيام الحرب الروسية التركية، فضلاً عن السعى بالطرق الدبلوماسية إلى الحيلولة دون تدخل دولة ثالثة (أى إنجلترا) فى تلك الحرب، وفى مقابل ذلك تعهدت روسيا بمنح النمسا إقليمى البوسنة والهرسك[2].

وتأسيساً على ما تقدم راحت روسيا فى أبريل ١٨٧٧ تعلن الحرب على تركيا متذرعة بسعى الروس إلى إجبار السلطان العثمانى على تحسين أوضاع الشعوب المسيحية فى إمبراطوريته، وسرعان ما حققت الجيوش الروسية انتصارات متتالية على الجيوش التركية،

---

(١) راجع فى هذا المعنى على سبيل المثال : رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٩٧.

إذ بحلول عام ١٨٧٨ كان الروس قد عبروا البلقان وراحوا يزحفون نحو القسطنطينية، الأمر الذى دفع رئيس الوزراء البريطانى دزرائيلى إلى تهديد الروس بالتدخل المباشر فى مواجهتهم، وبالتالى فلم يكن أمام الروس من سبيل سوى قبول الهدنة التى كان قد عرضها السلطان العثمانى، وعلى إثر ذلك - وفى ٣ مارس ١٨٧٨ - وقعت روسيا مع الباب العالى العثمانى اتفاقية للصلح عرفت بمعاهدة سان ستيفانو، وقد نصت هذه المعاهدة على عديد من أمور أظهرها [١]:

أ - تضم روسيا ثلاث أقاليم من الجزء الآسيوى للإمبراطورية العثمانية فضلاً عن إقليم من الجزء الأوروبى.

ب- توسيع نطاق دولتى الصرب والجبل الأسود.

جـ- استقلال رومانيا.

د- وضع نظام استقلال للبوسنة والهرسك فى إطار الدولة العثمانية.

هـ- إقامة دولة بلغارية كبرى مستقلة عظيمة المساحة على أن تدار شئونها تحت قوامة روسيا، وتخضع لاحتلال روسى يمتد لعامين[٢].

ومهما يكن الأمر فإن روسيا قد حققت بمقتضى معاهدة سان استيفانو مكاسب إقليمية عظيمة الشأن الأمر الذى أثار مخاوف واستياء كل من إنجلترا والنمسا، إذ كانت إنجلترا ترفض أن ترى الدولة العثمانية منطقة نفوذ روسية بحتة، على نحو يهدد مركز الإنجليز فى الشرق قاطبة، أما النمسا فلم يكن يسعدها أن ترى نفوذاً روسياً متعاظماً

(١) راجع فى هذا المضمون : المرجع السابق، ص ٤٩٩.

(٢) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧٠.

فى البلقان يكون من شأنه تهديد حدود الإمبراطورية النمساوية ذاتها، ذلك فضلاً عن استياء النمسا من جراء عدم وفاء روسيا بتعهداتها القاضية بحصول النمسا على البوسنة والهرسك.

ونظراً لما تقدم فقد راحت إنجلترا- تساندها فى ذلك النمسا- تهدد روسيا بإعلان الحرب عليها إن لم يوافق الروس على عقد مؤتمر للنظر فى مقررات سان ستيفانو، ولم يكن أمام الروس سوى الإذعان، ففى شهر يونيو ١٨٧٨ عقد فى برلين مؤتمر عرضت من خلاله - على الدول العظمى معاهدة سان ستيفانو بحذافيرها، وفى هذا المؤتمر تمكنت الدول الكبرى من إجبار روسيا على التنازل عن معظم مكاسبها الإقليمية التى حصلت عليها بمقتضى معاهدة سان ستيفانو، ذلك فضلاً عن إعطاء النمسا حق إدارة البوسنة والهرسك، كما تم تقليص مساحة الدولة البلغارية. كذلك فقد ظفرت إنجلترا سراً بجزيرة قبرص حيث وافق الأتراك على بيعها لها كنوع من المكافأة على موقفها فى برلين، وهكذا فقد خرج الروس من مؤتمر برلين يجرون أذيال هزيمة سياسية ساحقة، وإلى جانب استياءهم من النمسا فقد أصيبوا بخيبة أمل من جراء موقف بسمارك منهم خلال مؤتمر برلين، إلى حد أنهم اتهموه بمحاولة إقامة تكتل أوروبى فى مواجهتهم[1].

وهكذا فعلى حين عاد ساسة إنجلترا من برلين إلى بلادهم يحملون " السلام مع الشرف " لم يكن بمقدور قيصر روسيا سوى أن يناجى نفسه فيما كانت تكون نتيجة مؤتمر برلين لو أن حليفيه إمبراطورى النمسا وألمانيا قدما له قسطاً وافياً من التأييد الدبلوماسى، ومنذ تلك اللحظة بدأ تحالف القياصرة الثلاثة يترنح ويتصدع.

---

(١) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٠٣.

مؤتمر برلين – ١٨٧٨

المحالفة الثنائية :

تمثل هذه المحالفة كذلك تعبيراً عن موقف بسمارك من فرنسا، فكما سبق أن أشرنا كان المستشار الألمانى يرى فى فرنسا عدو بلاده العنيد الخطر، الذى يأكل الغل قلبه، والذى يجب عدم الركون إليه قط، وينبغى إضعافه وإقصاؤه على الدوام من حظيرة أى تحالف أوروبى، وبالتالى فقد كانت سياسة بسمارك ترمى إلى عزل فرنسا وحرمانها من أن يكون لها أى صديق فى أوروبا [(١)].

وتأسيساً على ما تقدم وعلى إثر ترنح عصبة الأباطرة الثلاثة وتدهور العلاقات مع روسيا غداة مؤتمر برلين راح بسمارك يقنع الإمبراطور الألمانى بضرورة عقد محالفة مع النمسا، وقد تم التوقيع على هذه المحالفة فى ١٧ أكتوبر ١٨٧٩ ونص أهم بنودها على ما يلى :[(٢)]

أولاً : أن تبادر كل من الدولتين المتحالفتين (النمسا وألمانيا) إلى مساعدة الدولة الأخرى بكامل قواتها إذا ما هاجمتها روسيا.

ثانياً : فى حالة مهاجمة فرنسا أو إيطاليا لإحدى الحليفتين فإن الحليفة الثانية تلتزم جانب الحياد الودى، فإذا ما أيدت روسيا الدولة المهاجمة بادرت الدولة الحليفة الثانية المتعاقدة إلى مساعدة حليفتها بكامل قوتها.

وعلى ذلك فإن مؤدى المحالفة الثنائية (والتى كانت سرية) أنه إذا هاجمت روسيا النمسا فإن ألمانيا تساعد الأخيرة، وإذا هاجمت فرنسا

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٨، ٣٨٩.

(٢) راجع فى هذا الصدد : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢.

ألمانيا تقف النمسا على الحياد، أما إذا ساعدت روسيا فرنسا فـــإن علـــى النمسا أن تتدخل إلى جانب ألمانيا [١].

من جانب آخر وفى إطار سعيه لعزل فرنسا سعى بسمارك إلـــى الإيقاع وإثارة الخلافات بينها وبين غيرها من القوى الكبرى، فلكى يـــدب الخلاف بين فرنسا وإيطاليا شجع كلتيهما على تحقيق أطماعها فى تونـــس، وكذلك فعل بالنسبة لمصر إذ شجع إنجلترا على تحقيق أطماعها فيها كـــى تمسك فرنسا بتلابيبها، وبذلك يضمن بسمارك أن فرنسا لـــن تســـتطيع أن تعتمد على مساعدة أى من هاتين الدولتين إذا جد الجد وأرادت أن تـــهاجم ألمانيا[٢].

إحياء عصبة الأباطرة الثلاثة :

لم يكن بسمارك يأمل بحال من الأحوال فى أن تسود مشاعر الـــود المفقود العلاقات الألمانية الروسية، وذلك بطبيعة الحال خوفاً من التجـــاء روسيا إلى التحالف مع فرنسا عدو الألمان اللدود، وفى نفس الوقت كـــانت روسيا ترغب فى العودة إلى معسكر بسمارك بغية ضمان مســـاعدته - أو على الأقل حياده- فى حالة نشوب حرب روسية إنجليزية، وعلـــى ذلـــك فسرعان ما بدأت المفاوضات بين الجانبين الألمانى والروسى بغية إحيـــاء عصبة الأباطرة الثلاثة، وقد أسفرت هذه المفاوضات عن توقيع المعـــاهدة الجديدة للأباطرة الثلاثة فى ١٨ يونيو عام ١٨٨١[٣]، وقد تمثل أظهر مـــا جاء فى هذه المعاهدة فيما يلى :

---

(١) المرجع السابق.

(٢) بدوى ، الغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٥.

(٣) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٢.

أ- فى حالة دخول أحد أطراف المعاهدة السامية فى حرب مع دولة رابعة يلتزم الطرفان الآخران الحياد الودى[1].

وهكذا تعهدت روسيا بالتزام الحياد فى حالة اندلاع حرب فرنسية ألمانية حتى وإن كانت ألمانيا هى البادئة بالهجوم، فى حين تقف ألمانيا والنمسا على الحياد فى حالة قيام حرب روسية إنجليزية حتى إذا ما كانت روسيا هى التى تسببت فى الحرب[2].

ب- تحترم الدول المتعاقدة الثلاث حقوق النمسا فى مقاطعتى البوسنة والهرسك على النحو المنصوص عليه بمقتضى معاهدة برلين (١٨٧٨).

جـ- تسلم الدول الثلاث بمبدأ إغلاق المضايق التركية، مع ضرورة أن تحترم الدولة العثمانية هذا المبدأ أو تطبقه على كافة الدول دون استثناء (إشارة إلى إنجلترا)، وإلا فإن الأطراف الثلاثة يكونون فى حالة حرب مع الدولة العثمانية [3].

وهكذا بمقتضى معاهدة إحياء عصبة الأباطرة الثلاثة تم التوفيق بين مصالح روسيا والنمسا فى البلقان كما ضمن بسمارك عدم لجوء روسيا إلى صف فرنسا، وضمنت روسيا أمنها فى البحر الأسود [4]، وفضلاً عما تقدم فقد أكد بسمارك تمسكه بالمبدأ القائل : " إحرص دائماً

---

(١) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١١٤.

(٢) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٢.

(٣) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١١٤، ١١٥.

(٤) المرجع السابق.

على أن تكون واحداً من ثلاثة ما دام التوازن الدولى قائماً علـــى أســاس خمس قوى كبرى " [1].

المحالفة الثلاثية :

فى سبيل إحكام العزلة حول فرنسا انتهز بسمارك فرصة خــلاف دب بينها وبين إيطاليا حول تونس وراح يعمل على ضم الإيطاليين إلـــى معسكره، وسرعان ما استجاب الإيطاليون لبسمارك إذ كـــانوا يتطلعــون دوماً إلى التقارب مع ألمانيا الفتية بغية تدعيم المركـــز الدولـــى لدولتـــهم الضعيفة، وإظهارها بمظهر الدول العظمى[2].

وتأسيساً على ذلك فقد عمد بسمارك إلى ضم إيطاليا إلى المحالفـــة الثنائية (ألمانيا والنمسا) كى تصبح بذلك محالفة ثلاثية، إنها المحالفة التـــى وقعت فى ٢٠ مايو ١٨٨٢، والتى تمثل أظهر موادها فيما يلى[3]:

أ- فى حالة تعرض إيطاليا للهجوم من جـــانب فرنســا (دون أن تكون إيطاليا هى السبب فيه) فإن الطرفين الآخرين يلتزمـــان بتقديـــم يـــد العون والمساعدة بكل قواهما إلى إيطاليا، وفى المقابل تتحمل إيطاليا نفـس الالتزام فى حالة حدوث هجوم فرنسى على ألمانيا لا تكون ألمانيـــا هـــى المتسبب فيه.

ب- إذا ما هددت دولة عظمى غير موقعة على المعاهدة الحالية سلامة أى من الدول السامية المتعاهدة بحيث وجدت هذه الأخيرة نفســـها

---

(١) ممدوح منصور، مرجع سبق ذكره.

(٢) رنوفان،مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٣.

(٣) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١١٨، ١١٩.

مدفوعة إلى شن الحرب فإن الطرفين الآخرين يلتزمان الحياد الودى مـــع احتفاظ كل منهما بالحق فى المشاركة فى الحرب إذا ما رأت مـــا يـــبرر ذلك.

تجديد المحالفة الثلاثية :

بحلول عام ١٨٨٥ شهدت منطقة البلقان مرحلة جديدة من مراحـل التوتر نتيجة لإعلان إحدى الولايات البلقانية الانضمام إلى بلغاريا، الأمـــر الذى أثار استياء عدوها اللدود المتمثل فى الدولة الصربية، على نحـو أدى إلى اندلاع الحرب بين الدولتين، وعلى حين أخذ الروس صـــف البلغـــار راح النمساويون يساندون الصرب، الأمر الذى أدى إلى توتـــر العلاقـــات النمساوية الروسية وتجمع نذر الحرب بين الدولتيـــن الكبـــيرتين، وعلـــى الرغم من أن بسمارك قد نجح فى تهدئة الأجواء وإنهاء الحرب البلغاريـــة الصربية (بمقتضى صلح بوخارست ١٨٨٦) فإن الـــروس اعتـــبروا أن بسمارك قد اتخذ موقف المؤيد للنمسا، الأمر الذى أدى إلى انهيار عصبـــة الأباطرة الثلاثة[١].

وفى أعقاب ذلك كان على بسمارك أن يجدد المحالفة الثلاثية التـــى كان من المقرر أن تنتهى فى عام ١٨٨٧، وقد نجح المستشار البروســـى بعد عناء فى إقناع كل من إيطاليا والنمسا بتجديد المحالفـــة، فـــى مقـــابل موافقته على مطالبهما التى تم إقرارها بمقتضى وثيقتين جديدتين أضيفتـــا إلى المحالفة الأصلية.

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : فيشر ، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩١، ٣٩٢.

أما الوثيقة الأولى - والتى تمثل طرفاها فى ألمانيا وإيطاليا - فقد عرفت بإتفاقية البحر المتوسط، ونصت على أنه : " إذا قامت إيطاليا بمهاجمة فرنسا فى أوروبا نتيجة لامتداد النفوذ الفرنسى إلى طرابلس فإنه يتعين على ألمانيا أن تؤيد إيطاليا بالقوة المسلحة ".

أما الوثيقة الثانية فقد عرفت بإتفاقية البلقان،وتمثل طرفاها فى النمسا وإيطاليا وقد نصت هذه الاتفاقية على أنه فى حالة توسع النمسا فى البلقان يكون لإيطاليا الحق فى تعويض[١].

معاهدة الضمان (١٨٨٧) :

لم يكن بسمارك يرغب فى تدهور علاقاته مع روسيا إلى الحد الذى يدفع هذه الأخيرة إلى محاربة ألمانيا [٢]، كما كان بسمارك يخشى - غداة انهيار عصبة الأباطرة الثلاثة - من أن تتجه روسيا صوب فرنسا. ونظراً لذلك فقد وقع بسمارك مع روسيا فى ١٨ مايو ١٨٨٧ على معاهدة سرية عرفت بمعاهدة الضمان، وقد نصت هذه المعاهدة على بنود عديدة أظهرها[٣].

أ- إذا هوجمت إحدى الدولتين المتعاهدتين من قبل دولة ثالثة تلتزم الدولة الأخرى بالحياد الودى، ولا يكون هذا النص نافذاً فى حالة هجوم إحدى الدولتين المتعاهدتين على النمسا أو فرنسا.

---

(١) رنوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٧.

(٢) ممدوح منصور، مرجع سبق ذكره.

(٣) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٨.

ب- اعتراف ألمانيا بالحقوق التاريخية لروسيا فى البلقان ولا سيما فـــى بلغاريا.

جـ- تعهد الدولتين بالعمل من أجل الحفاظ على الوضـــع الراهــن فــى البلقان.

د- تتعهد الدولتان بفرض رغبتيهما على الدولـــة العثمانيـــة بضـــرورة إغلاق المضايق فى وجه أعدائهما.

وهكذا فقد نجح بسمارك فى إحكام العزلة حول فرنسا خلال الفترة (١٨٧٠ - ١٨٩٠) من خلال سلسلة من المحالفـــات اســتهدفت ذلــك، وبفضل هذه المحالفات كذلك أمكن للمستشار الألمانى أن يدعـــم الـكانـــة الدولية لألمانيا الفتية، وأن يشيد حاجزاً منيعاً فى وجه كل من تســول لــه نفسه النيل من الألمان، ولا سيما أولئك الفرنسيين الذين كانوا يـــتربصون بهم الدوائر. غير أنه مما تجدر الإشارة إليه أن شبكة المحالفات المنيعـــة التى نسجها بسمارك وحبكها وأدارها باقتدار لم يستمر نجاحها فى عـــزل فرنسا إلا خلال العهد البسماركى، فلم تكد تمضى على اســتقالة بســمارك (إثر خلاف نشب عام ١٨٩٠ مع الإمبراطور فيلـــهلم الثــانى) ثــلاث سنوات حتى كانت فرنسا قد نجحت فى الخروج من عزلتها علـــى النحــو الذى سنعرض له فى الصفحات التالية.

الفصل السادس (*)

صراع التحالفات وتنامي النعرة القومية

(١٨٩٠ - ١٩١٤)

(إن الرب قد أرسلنا لنأخذ بناصية الشعب الألماني العظيم صوب صدارة شعوب الأرض قاطبة)

فيلهلم الثاني

إمبراطور ألمانيا

(*) كتب هذا الفصل : د/ أحمد وهبان.



الأوضاع السياسية فى أوروبا ومصير سياسة التحالف غداة انتهاء العصر البسماركى (١٨٩٠ - ١٩١٤).

شهد عام ١٨٨٨ حدثاً جللاً كان له عظيم الأثر فى التاريخ الألمانى - بل وفى التاريخ الأوروبى قاطبة - خلال العقود التى تلت ذلك العام، ويتمثل هذا الحدث فى اعتلاء فيلهلم الثانى عرش ألمانيا على إثر وفاة أبيه الإمبراطور فريدريك الثالث(•) (من أسرة الهوهنزولرن الحاكمة) فى شهر يونيو ١٨٨٨. وما أن اعتلى فيلهلم الثانى سدة الحكم فى برلين حتى جعل هدفه الأول التخلص من بسمارك ذلك الثعلب العجوز الذى حقق للألمان حلم الوحدة ثم ما برح أن كانت له اليد الطولى فى توجيه دفة السياسة الخارجية للدولة الألمانية الفتية منذ ظهورها إلى حيز الوجود. غير أن فيلهلم الثانى كان يرفض أن يشاركه بسمارك السلطان، إذ كان الإمبراطور الجديد يعلن دوماً أنه " ليس ثمة سوى سيد واحد فى هذه المملكة هو أنا " [١].

أياً كان الأمر فإن أول خلاف يعتد به نشب بين فيلهلم الثانى وبسمارك نجم بصدد معاهدة الضمان مع روسيا، فعلى حين كان المستشار يرغب فى تجديدها ارتأى الإمبراطور إلغاءها خشية أن يكدر استمرارها صفو العلاقات مع الإمبراطورية النمساوية المجرية، تلك الإمبراطورية التى كانت تمثل بالنسبة لألمانيا حليفها الأول، فى الوقت الذى كانت تنظر فيه الإمبراطوريتان النمساوية والروسية كلتاهما للأخرى باعتبارها العدو اللدود.

(•) كان فريدريك الثالث قد ورث عرش ألمانيا عن أبيه فيلهلم الأول الذى توفى فى مارس ١٨٨٨.

(١) فيشر : مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٨.

وباتساع هوة الخلافات بين الإمبراطور فيلهلم الثـــانى وبســـمارك راح هذا الأخير يعلن استقالته فى عام ١٨٩٠، ولم يمض وقـــت طويـــل على ذلك حتى أبرمت معاهدة كانت الحيلولة دون عقدها هدفاً رئيسياً مـــن أهداف دبلوماسية بسمارك، إنها معاهدة التحالف الروسى الفرنسى والتـــى نعرض لها فيما يلى :

التحالف الفرنسى الروسى (١٨٩٤) :

بتخلى فيلهلم الثانى عن معاهدة الضمان الألمانية الروسية وجـــد الدب الروسى نفسه معزولاً، وقد تزايد شعور الروس بالعزلة فـــى ظـــل سعى الإنجليز - أعداء الروس اللدودين - إلـــى كســـب ود الإمـــبراطور الألمانى الشاب حفيد مليكتهم الملكة فيكتوريا. وفى ظـــل هـــذه الظـــروف اشرأبت أعناق الفرنسيين إلى مصافحة الدب الروســـى والتحـــالف معـــه، فوجدت كلتا الدولتين ضالتها فى الأخرى، إذ على حين سعى الفرنسيون - من خلال التحالف مع الروس - إلى كسر طوق العزلة الذى كان بسـمارك قد فرضه عليهم، كان الروس يسعون - من خلال التحالف مع الفرنســـيين إلى الخروج من حالة العزلة التى كانت روسيا عليها غداة إلغاء معـــاهدة الضمان مع ألمانيا، كما كان الروس فضلاً عما تقـــدم يتطلعـــون - وهـــم يتحالفون مع الفرنسيين- إلى أن يعينهم حلفاؤهم علـــى تمويـــل مشـــروع السكك الحديدية الروسى الضخم[1].

غير أنه مما تجدر الإشارة إليه أن الروس قد ترددوا فى البدايـــة فى مصافحة اليد الفرنسية الممدودة لهم بالتحالف والمساعدات المالية، ذلك

---

(١) بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٧.

بأن قيصر روسيا ومستشاريه كانوا ينظرون بعين الاحتقار إلى النظام الجمهورى الفرنسى، حيث كانوا يصفونه دوماً بأنه نظام ردئ وغبى.

غير أن مصالح روسيا عظيمة الشأن لدى الفرنسيين - على النحو المتقدم - دفعت القيصر وحكومته إلى التخلى عن احتقارهم لفرنسا الجمهورية[١]. وعلى ذلك فسرعان ما أمضيت بين الدولتين فى عام ١٨٩١ معالم اتفاقية استكملت أحكامها باتفاقية أخرى حربية سرية أبرمت فى ٤ يناير ١٨٩٤. وبمقتضى اتفاق التحالف الفرنسى الروسى تعاهدت الدولتان على أن تهب كلتاهما إلى نجدة الأخرى بجيش كبير إذا ما تعرضت إحداهما لهجوم ألمانى، كما أعد هذا الاتفاق العدة لإجراء مشاورات بين رئاستى أركان حرب الدولتين فى أوقات السلم، وللتعبئة العاجلة عند ظهور أول بادرة من بوادر تعبئة قوات أية دولة من دول المحالفة الثلاثية[٢].

كما نص الاتفاق الفرنسى الروسى على أن " القوات التى تستخدم ضد ألمانيا يجب أن تكون ١,٣ مليون مقاتل فرنسى، و٧٠٠ أو ٨٠٠ ألف مقاتل روسى. وينبغى أن تعمل هذه القوات إلى أقصى حد وبأوفر سرعة كى تجبر ألمانيا على أن تقاتل فى الشرق وفى الغرب فى آن واحد "[٣].

وهكذا فإن المحالفة الثلاثية المكونة من ألمانيا والنمسا وإيطاليا أضحت تواجه تحالفاً ثنائياً مكوناً من روسيا وفرنسا، وكان كل من المعسكرين متقلاً بالسلاح، كما كان كلاهما متأهباً لأن يمسك بخناق الآخر عند ظهور أول بادرة من بوادر العداء [٤].

---

(١) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ٥٤٧ ، ٥٤٨.

(٢) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٠.

(٤) نفس المرجع السابق.

موقف إنجلترا من الحلفين :

إزاء انقسام القوى الأوربية الكبرى إلى حلفين على النحو المتقدم وجدت إنجلترا نفسها مكرهة بدافع المصلحة على أن تختار من بين المعسكرين معسكراً تنضم إليه، وكان الإنجليز يعتقدون أنه نظراً لكون ألمانيا قد أضحت كبرى قوى القارة فإن التحالف معها هو أفضل السبيلين[1]. وقد عبر عن ذلك أحد الساسة الإنجليز بقوله " إن أقوى تحالف هو هذا الذى يعقد بيننا وبين الإمبراطورية الألمانية "[2].

على أية حالة فإن سعى إنجلترا إلى كسب ود ألمانيا لم يلق ترحيباً من جانب الألمان الذين كانت تسودهم وقتذاك مشاعر الود المفقود إزاء الإنجليز، حيث كان الألمان عموماً يرفضون المذهب الحر الذى يرتبط به النظام الإنجليزى، فكانوا يطلقون عليه السم الإنجليزى الذى أفسد الفضائل الأرستقراطية الإنجليزية، وبالتالى فقد كان الألمان يخشون أن يمتد ذلك السم إلى جسد دولتهم الفتية، وفضلاً عما تقدم فقد كانت مشاعر الحنق إزاء إنجلترا تملأ نفوس الألمان نظراً لموقفها المتعاطف مع كافة الدول التى حاربوها فى سبيل توحدهم، حيث تعاطف الإنجليز مع الدنماركيين فى الحرب البروسية الدنماركية ١٨٦٣، ومع النمساويين فى الحرب الروسية النمساوية (١٨٦٦)، ثم مع الفرنسيين فى حرب السبعين البروسية الفرنسية[3].

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : بدوى والغنيمى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٧.

(٢) فيشر، مرجع سابق، ص ٤٠٤.

(٣) المرجع السابق.

ومهما يكن الأمر فإن كافة المحاولات التى قامت بها إنجلترا فى نهاية القرن الماضى بهدف التحالف مع ألمانيا قد باءت بالفشل، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل سرعان ما تصاعد التنافس بين الدولتين فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، حيث راحت الدولتان تتنافسان فى المجال الاستعمارى كل يسعى إلى بسط رقعة نفوذه داخل أرجاء المعمورة. إذ ها هى ألمانيا تدخل حلبة الصراع من أجل المستعمرات، إن فيلهلم الثانى المعروف بنعرته وعنجهيته القومية لم يكن ليسعد وهو يرى إنجلترا تبتلع البقعة تلو الأخرى من أصقاع آسيا وأفريقيا، فى الوقت الذى يضيق فيه الأفق بالنسبة للألمان. لقد كان فيلهلم يرى وجوب حصول بلاده على نصيب دسم من المستعمرات ومناطق النفوذ، وهو لا يتردد فى خوض حومة الوغى للفوز بميدان واسع لرؤوس الأموال والإنتاج والتجارة الألمانية فى الخارج[1].

وهكذا فقد استندت السياسة الألمانية فى عهد فيلهلم الثانى إلى دعامتين هما[2].

١-المحافظة على تفوق ألمانيا السياسى داخل القارة وتزعم الألمان للمحادثات الدبلوماسية والمؤتمرات، تشد أزرها فى ذلك قوتها العسكرية عظيمة الشأن.

٢-الحصول على مغانم وامتيازات فى أراضى ما وراء البحار (آسيا وأفريقيا).

(١) العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٩.

ولم يقتصر التنافس الألمانى الإنجليزى على المجال الاستعمارى، وإنما شهدت كذلك - فترة حكم فيلهلم الثانى - سباقاً للتسلح بين الدولتين لا سيما فى مجال القوة البحرية. وفضلاً عن ذلك فقد ازدادت حدة التنافس التجارى بين الدولتين كل تسعى إلى أن تكون لها الصدارة فى مجال تصدير السلع إلى أسواق البلدان الأوروبية الأخرى. وفى إطار كل ما تقدم شهدت الفترة (١٨٩٠ - ١٩١٤) أحداثاً جساما كان لها عظيم الأثر فى تهيئة الأجواء لاندلاع الحرب العالمية الأولى، على النحو الذى سنعرض له فيما يلى :

حرب البوير :

يمثل البوير جماعة من الهولنديين كانوا قد استوطنوا منطقة جنوب أفريقيا منذ العهد الاستعمارى الهولندى، غير أن الإنجليز كانوا قد استطاعوا خلال العقود السابع والثامن والتاسع من القرن الماضى أن يبسطوا سيطرتهم على أغلب مناطق جنوب أفريقيا وعلى رأسها مستعمرة الرأس، بحيث لم يتبق للبوير سوى جمهوريتين كانوا قد أقاموهما فى عام ١٨٣٦ على نهر الفال وهما جمهوريتا الترتسفال وأورانج الحرة، غير أن الأطماع الإنجليزية سرعان ما امتدت إلى هاتين الجمهوريتين على إثر اكتشاف الماس فى الترنسفال فى عام ١٨٦٩، وكذا اكتشاف الذهب فى نفس الجمهورية عام ١٨٨٥[(١)].

وكان عام ١٨٩٥ قد شهد فى نهايته محاولة قام بها القائد الإنجليزى جيمسن للقضاء على جمهورية الترنفسال ووضع إقليمها تحت

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، من ص ٤٠٥ إلى ص ٤٠٧.

العلم البريطانى، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشـــل والخــذلان حيــث تصدى لها البوير بزعامة قائدهم الصلب كروجر[1].

وبحلول عام ١٨٩٩ - وفى إطار سعيها لضم جمهوريتى البوير - جيشت إنجلترا ٤٠٠ ألف رجل من قواتها راحوا يدخلون فى حرب ضـــد البوير لم يقدر لهم أن يظفروا بالنصر فيها إلا عام ١٩٠٢، غير أن قيـــام إنجلترا بضم الترنسفال وأورانج الحرة كان يمثل تهديداً للمصالح الماليـــة الألمانية فى تينك الجمهوريتين، إذ كانت رؤوس الأموال الألمانية تشـــكل ٢٠% من مجموع الاســـتثمارات الموجــودة فـــى مشـــروعات منـــاجم الترنفسال، حتى أن وزير الدولة للشئون الخارجية الألمانى كان قد أعلـــن فى سنة ١٨٩٥ أن بلاده لـــن تســمح بـــأن تصبــح الترنســفال فريســة لمشروعات حاكم مستعمرة الرأس البريطانية رودس، غـــير أن الإنجلـــيز فى سبيل إرضاء ألمانيا اتفقوا معها فى أغســـطس ١٨٩٨ علـــى اقتســام المستعمرات البرتغالية بحيث يحصل على الجزء الأكـــبر مـــن أنجـــولا، والجزء الشمالى من موزمبيق. وهكذا فقد أطلقت ألمانيا يد إنجلـــترا فـــى جنوب أفريقيا وإن كان اتفاق أغسطس ١٨٩٨ لم ينفذ[2]. وكـــان الـــدرس المستفاد من حرب البوير بالنسبة للألمان هو أنه لولا سيادة إنجلترا علـــى البحار وعظمة أسطولها ما كان بمقدور الإنجليز أن يحققوا النجـــاح تلـــو الآخر فى المجال الاستعمارى، ومن هنا فقد أيقن الألمان ضـــرورة دعـــم قوتهم البحرية.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٠٩.

(٢) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦١٥، ٦١٦.

التحالف البريطاني الياباني (١٩٠٢) :

كانت اليابان حتى منتصف العقد السادس من القرن الماضى غارقة فى جهالة العصور الوسطى، وكان يحكمها وقتئذ ١٦٨ ديميو (إقطاعى) ومن روائهم مواليهم المسلحون (الساموريون)، ولم يكن لليابان أسطول، أو مدفعية، أو أسلحة، أو طبقة تجار، أو نظام عام للتعليم، أو قوانين مدونة عامة، غير أنه على إثر قيام القائد البحرى الأمريكى " برى " بزيارته الشهيرة للجزر اليابانية عام ١٨٥٣ ثم عودته إليها فى عام ١٨٥٤ وحصول الأمريكيين على بعض الامتيازات فى موانئ اليابان راح القائد الأمريكى يفتح أعين اليابانيين على الحضارة الغربية، وبالتالى فمع نهاية القرن التاسع عشر كانت اليابان قد ألغت أنظمتها الإقطاعية، وأصبح لها حكومة مركزية، وأنشأت أسطولاً وجيشاً عصريين، وأقامت نظماً قانونية وتعليمية متطورة، وبالتالى فسرعان ما أضحت دولة عصرية قوية تحت حكم الميكادو متزو هيتو، كما أضحت أقوى دولة بحرية فى المحيط الهادى[1]. وفوق ما تقدم كان يسود الشعب اليابانى شعور شديد الحساسية بالشرف الوطنى وبالتفوق اليابانى، حيث كان اليابانيون يؤمنون بمذهب الشينتورى الذى قوامه أن الجزر اليابانية ذات أصول مقدسة، وأن الجنس اليابانى هو جنس ممتاز، وفى أكتوبر ١٨٩٠ أعطى مرسوم إمبراطورى للمدارس الابتدائية رسالة تعليم الأطفال الاعتزاز بالانتساب إلى الأمة اليابانية، والولاء الكامل للأسرة الحاكمة، والاحتقار للأجانب[2].

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠١، ٤٠٢.

(٢) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦١٢.

كذلك فإن المراسيم الإمبراطورية لعام ١٨٨٤ كانت قد حددت للجندى واجباته المتمثلة فى : اليقظة مع التفكير، والتقشف، والإخلاص التام لأوامر الرؤساء، واعتبار الموت أمراً هيناً[1].

وفى ضوء ما تقدم وما أن أقام اليابانيون دولتهم العصرية القوية حتى راحوا يسعون إلى الافتئات على بعض الأقاليم الصينية، حيث كانت الصين حتى نهاية القرن الماضى دولة ضعيفة متخلفة على ترامى أطرافها وتعاظم عدد سكانها،وكانت تحكمها أسرة المانشو التى لم تكن تتطلع إلى جعل الصين دولة عصرية حال اليابان. على أية حال فقد انتهزت اليابان - فى يوليو ١٨٩٤ - فرصة اضطرابات كوريا - الخاضعة للصين وقتذاك - وقامت بإنزال قواتها فى تلك المملكة الكورية، وبرغم أن سكان الصين كان يمثلون زهاء ثمانية أضعاف سكان اليابان فقد تمكنت الجيوش اليابانية من دحر الجيوش الصينية واحتلال كوريا، ومنشوريا الجنوبية، والنزول فى فرموزا، ثم الاتجاه صوب بكين، فاضطرت الحكومة الصينية إلى التوقيع على معاهدة سيمونوسيكى ١٨٩٥ التى بمقتضاها تخلت لليابان عن أقاليم صينية شاسعة أظهرها كوريا وفرموزا، وميناء بورت آرثر[2]، غير أن استيلاء اليابان على ميناء بورت آرثر أثار استياء كل من روسيا وألمانيا وفرنسا وهى الدول التى كانت لها مصالح تجارية فى الصين، ولذلك فقد وجهت هذه الدول إنذاراً لليابان بالانسحاب من جزيرة لياوتونج بالكامل بما فيها ميناء بورت آرثر. واضطرت اليابان إلى الانسحاب بالفعل من الجزيرة على حين

---

(١) المرجع السابق.

(٢) راجع فى هذا المضمون : المرجع السابق، ص ٦١٧، ٦١٨.

قامت عدوتها اللدود روسيا باحتلال بورت آرثر، الأمـــر الـــذى اعتـــبره الإنجليز تهديداً لمصالحهم فى الشرق الأقصى[1].

ومن هنا بدأ التقارب الإنجليزى اليابانى والذى أسفر عـــن توقيـــع معاهدة تحالف بين الدولتين فى يناير ١٩٠٢، وذلك فى مواجهة عدوهمـــا المشترك فى الشرق الأقصى المتمثل فى روسيا. ويتمثل أهم ما جاء فـــى الاتفاق الإنجليزى اليابانى فيما يلى[2] :

١-اعتراف إنجلترا بمصالح اليابان فى كوريا.

٢-اعتراف اليابان بمصالح إنجلترا فى الهند.

٣-اتفقت الدولتان على أنه إذا حدثت حرب بين إحداهما ودولة ثالثة فـــإن على الأخرى أن تلزم الحياد، أما إذا دخلت ضدها دولة رابعـــة فـــإن الدولة المتعاهدة الأخرى تبادر إلى مساعدة حليفتها.

وكان هذا التحالف يعنى عملاً أن إنجلترا تقف على الحيـــاد فـــى حالة حدوث حرب يابانية روسية، فإذا عاونت فرنسا روســـيا فـــى هـــذه الحرب وجب على إنجلترا التدخل إلى جانب اليابان، أما إذا نشبت حـــرب بين روسيا وإنجلترا فإن على اليابان التزام الحياد، فإذا ما تدخلت فرنســـا إلى جانب روسيا وجب على اليابان التدخل إلى جانب إنجلترا.

يبقى أن نشير إلى أنه بحلول عـــام ١٩٠٤ - وفـــى ٨ فـــبراير - قامت القوات اليابانية بالهجوم على الأسطول الروسى فى بـــورت آرثـــر،

---

(١) عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦.

(٢)المرجع السابق، ص ١٣٦، ١٣٧.

فاندلعت بذلك الحرب بين اليابان وروسيا، وهى الحرب التى دامت لفــترة تجاوز العام بقليل، حيث تمكن اليابانيون فى آخـــر معاركــها (معركـــة موكدن) فى ١١ مارس ١٩٠٥ من احتلال مواقع العـــدو، كمــا تمكــن الأسطول اليابانى من دحر الأسطول الروسى الذى جئ به من أوروبا إلــى مضيق كوريا، وأجبرت حكومة القيصر على طلب الصلح[١].

وفى ٢٥ أغسطس ١٩٠٥ تم إقرار الصلح بمقتضى معاهدة بـــور تسموت والتى فى ظلها حصلت اليابان على بورت آرثـــر، فضــلاً عــن مناطق أخرى فى جنوب منشوريا، وجنوب جزيرة سخالين، فضـــلاً عــن الاعتراف بحماية اليابان على كوريا[٢].

وكان هذا الانتصار اليابانى هو أول انتصار للصفر على البيــض، وبمقتضاه برزت اليابان كإحدى القوى الكبرى، وشرع الغربيون يتحدثــون عما أسموه " الخطر الأصفر " [٣] ، ذلك الخطر الذى بدل الأوضاع فـــى الشرق الأقصى قاطبة، إذ أصبحت اليابان بلا منازع هى سيدة آســيا ذات الأقدام الراسخة فى ربوعها.

سعى ألمانيا إلى بسط نفوذها فى آسيا :

كما سبق أن أشرنا كان فيلهلم الثانى يتطلع إلى حصـــول ألمانيــا على أكبر نصيب ممكن من الكعكة الاستعمارية، وفى هذا الإطار اتجــهت أطماع الإمبراطور الألمانى إلى الصين تلك الدولة التى كانت فـــى نهايـــة

(١) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٤٠، ٦٤١.

(٣) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠٢.

القرن الماضى - كما أسلفنا - إمبراطورية شديدة الضعف غارقة فى غياهب التخلف على الرغم من تعاظم كمها البشرى، وترامى أطراف إقليمها، كذلك فقد كانت الإمبراطورية الصينية - وقتذاك - مرتعاً خصباً للنفوذ التجارى الأوروبى، إذ كانت كل من القوى الأوروبية الكبرى تبسط نفوذها التجارى على رقعة من الإقليم الصينى، نظراً لما كانت تمثله الصين - بكمها البشرى الهائل وتعاظم مساحتها - من سوق عظيمة الشأن.

وفى ظل هذه الأوضاع حاول فيلهلم الثانى إقناع الدول الأوروبية الكبرى - وعلى رأسها إنجلترا - باقتسام الإقليم الصينى فيما بينها اقتساماً سياسياً فعلياً، بيد أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض من جانب كل من إنجلترا واليابان[1]. وفى النهاية وافقت القوى الكبرى على اقتراح تقدمت به الولايات المتحدة بصدد النفوذ فى الصين، وقد عرف هذا الاقتراح بسياسة الباب المفتوح، والتى كان قوامها إبقاء الدول الكبرى على مناطق نفوذها التجارى فى الصين مع تعهد كل من هذه الدول بفتح منطقة نفوذها أمام تجارة كافة الدول الأخرى على قدم المساواة[2].

غير أنه بحلول نهاية عام ١٨٩٩ ظهرت فى الصين حركة تمرد قوية راحت تثور فى وجه التغلغل الاقتصادى الأجنبى فى بلادها، وقد عرفت هذه الحركة بحركة البوكسر، وقد لقى البوكسر فى ثورتهم هذه تأييد حكومة المانشو، الأمر الذى هدد بعنف النفوذ الأوروبى فى الصين، ومن

---

(١) العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٢.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : والاس أيروين الصغير، أضواء على السياسة الأمريكية فى العالم، ترجمة : نور الدين الزرارى، نور الدين خليل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٥٩.

هنا فقد راحت الدول الأوروبية الكبرى تجيش جيوشاً عظيمة الشأن بغية مواجهة ثورة البوكسر.

وقد راح فيلهلم الثانى - انطلاقاً من عنجهيته القومية الطاغية ورغبته الاستعمارية الجامحة - يساهم بفاعلية فى الحملة التى قامت بها جيوش القوى الكبرى لكسر شوكة البوكسر، وقد عمد الإمبراطور الألمانى إلى مخاطبة قواته المتجهة إلى الصين عام ١٩٠٠ بعبارات ألهبت حماستها، ودوت فى آفاق الأرض مبرزة تعطشه الهائل إلى بسط نفوذ بلاده فى أرجاء البسيطة. إذ خطب فيلهلم الثانى فى هذه القوات قائلاً : " إنكم توشكون أن تقابلوا عدواً محتالاً قاسياً، قابلوه واهزموه ولا تمنحوه رحمة ولا صفحاً، لا تأخذوا أسرى، بل اقتلوا كل عدو يقع فى قبضتكم، اجعلوا اسم ألمانيا يدوى دوياً هائلاً فى صفحات التاريخ الصينى بعد ألف عام من الآن "[١]. وأضاف : " يجب ألا يجرؤ صينى بعد اليوم أن يرفع بصره فى ألمانى مطلقاً "[٢].

أياً كان الأمر فقد تمكنت جيوش القوى الكبرى عام ١٩٠٠ من القضاء على ثورة البوكسر، وأكدت الدول الكبرى التزامها بسياسة الباب المفتوح بصدد الصين، وهكذا ضمنت ألمانيا - شأنها فى ذلك شأن كافة القوى الكبرى - استمرار نفوذها فى الصين.

على صعيد آخر فإن الإمبراطور الألمانى كان قد سعى منذ أواخر القرن الماضى إلى مد نفوذ بلاده إلى منطقة آسيا الصغرى التابعة وقتذاك للدولة العثمانية، ومن هنا فقد راح فيلهلم الثانى يسعى إلى التقارب

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧٣.

(٢) العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٢.

مع السلطان العثمانى، وفى هذا الإطار رفض الإمبراطور الألمانى - على عكس أغلب القوى الأوروبية الأخرى - أن يساند اليونان فى حربها ضد تركيا عام ١٨٩٧، والتى سعى من خلالها اليونانيون إلى انتزاع جزيرة كريت من قبضة الأتراك، بيد أن هذا السعى قد باء بالفشل إذ تمكنت الجيوش التركية من دحر جيوش اليونان خلال فترة وجيزة، وبالتالى فقد تحقق لفيلهلم ما أراد إذ كان يرغب فى بقاء كريت فى قبضة الترك، وبذا يستطيع أن يستخدمها حين الحاجة فى مناوأة الاستعمار البريطانى فى البحر المتوسط، وفى كبح جماح الأطماع الروسية فى الدولة العثمانية، وفى مساومتهما فى الوقت المناسب[١].

وفى سبيل التقارب مع السلطان العثمانى والزحف نحو الشرق راح فيلهلم كذلك يؤكد تقاربه مع المسلمين، حيث قام - فى هذا الصدد - بزيارة إلى الآستانة وسوريا عام ١٨٩٨ بغية التودد إلى حليفه السلطان وتفقد أملاكه، وخلال هذه الزيارة حرص الإمبراطور الألمانى على تأكيد صداقته لسائر مسلمى البسيطة، إذ عمد فى إحدى خطبه إلى القول : " إن الثلاثمائة مليون مسلم المبعثرين على ظهر الأرض يجب أن يطمئنوا ويتأكدوا من أمر هام جلل، وهو أن إمبراطور ألمانيا سيظل دائماً أبداً صديقهم "[٢].

والحق أن هذه العبارات الجوفاء كان لها وقع السحر على السلطان العثمانى، بحيث استطاع فيلهلم - من خلالها - أن يقنع السلطان بحصول البنك الألمانى على عقد امتياز إنشاء شبكة سكك حديدية عظيمة الاتساع، إذ كانت ستغطى الجزء الأكبر من الأناضول وما بين النهرين،

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٣.

ولها خط رئيسى يصل البوسفور ببغداد ثم بالخليج الفارسى. وقد عـــرف هذا المشروع بمشروع خط سكك حديد بغداد، وهو المشروع الذى كـــانت المجموعات المالية الإنجليزية والألمانية والفرنسية تتكالب منذ عام ١٨٩٠ على اقتناص عقد امتياز بشأنه[١]، ثم ها هو فيلهلم الثانى - مع بداية القـرن العشرين ومن خلال تدعيم نفوذه لدى السلطان العثمانى - ينجح فى جعــل الألمان يحصلون على الصيد السمين الثمين الذى طالما تطلع خصومــــهم الإنجليز والفرنسيون إلى اقتناصه.

وهكذا فبحصول الألمان على عقد امتياز سكك حديد بغداد ترســخ نفوذهم الاقتصادى والسياسى فى آسيا الصغرى، فى الوقت الذى تـــهددت فيه مصالح كل من فرنسا وروسيا وإنجلترا، فبصدد فرنســا كــان تدعــم النفوذ الألمانى لدى السلطان العثمانى يمثل تهديداً لمصالحها المالية، حيـث كان الجزء الأكبر من سندات الدين العثمانى فى أيـــدى الفرنســيين،أمــا بالنسبة لروسيا فقد قلق الروس من التقارب الألمانى الــتركى وكــذا مــن إنشاء شبكة سكك حديد بغداد الضخمة، حيث كان من شأن ذلك التقـــارب تدعيم قوة السلطان العثمانى، كما كان من شأن تلك الشبكة أن يصبح فـــى مقدور السلطنة العثمانية أن تنقل قواتها المسلحة إلى كافة أرجاء أراضيها، وفيما يتصل بإنجلترا كان الإنجليز يخشون أن يهدد النفوذ الألمـــانى فـــى آسيا الوسطى المركز الاقتصادى المتفوق الذى كانوا يتمتعون به فى بـــلاد ما بين النهرين، ومن جانب آخر فقد كان الإنجليز يخشون من أن يـــؤدى بلوغ النفوذ الألمانى الخليج الفارسى إلى تهديد أمن الهند تلك المســـتعمرة الإنجليزية عظيمة الشأن،والتى كانت بمثابة درة التاج البريطانى[٢].

---

(١) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٣٤.

(٢) راجع فى المضمون : المرجع السابق ذاته.

ويمكن القول أن تعاظم النفوذ الألمانى فى آسيا الصغرى مع بداية القرن العشرين بما استتبعه من آثار سلبية على مصالح كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا على النحو المتقدم كان يمثل - دون شك - أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى التقارب بين الدول الثلاث وقتذاك.

الاتفاق الودى الإنجليزى الفرنسى (١٩٠٤) :

كانت إنجلترا قد احتلت مصر فى عام ١٨٨٢، ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام ١٩٠٤ كان هذا الاحتلال يمثل السبب الرئيسى للخلافات بين إنجلترا وفرنسا، ذلك بأن الفرنسيين كانوا يعتبرون مصر جزءاً من نصيبهم فى الكعكة الاستعمارية، إذا كان النفوذ الفرنسى فى مصر يتزايد منذ حملة نابليون عليها عام ١٧٩٨، تلك الحملة التى فتحت أعين المصريين على الحضارة الغربية. وعلى الرغم من خروج الجيش الفرنسى من مصر عام ١٨٠١ ظل نفوذ الفرنسيين فيها قائماً، لا سيما مع تولى محمد على مقاليد الحكم فى مصر عام ١٨٠٥. حيث كان هذا الحاكم -وأسرته من بعده - أكثر التصاقاً بفرنسا منه بالنسبة لإنجلترا، ففرنسا هى التى ساعدته فى إتمام مشروعاته العسكرية والاقتصادية والعلمية العملاقة، كما كان جل البعثات العلمية المصرية خلال عهد محمد على وأسرته حتى عام ١٨٨٢ يتجه إلى فرنسا، ذلك فضلاً عن أن قناة السويس - ذلك المشروع عظيم الشأن - كان أحد إنجازات المهندس الفرنسى ديليسبس[١].ونظراً لكل ما تقدم فقد كان من الطبيعى أن يعين الفرنسيون مصر ضمن نصيبهم من المغانم، غير أن غرماءهم الإنجليز - وفى سبيل سعيهم للسيطرة على قناة السويس - قاموا باحتلال مصر عان ١٨٨٢

(١) أنظر فى هذا المضمون : على سبيل المثال : فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤١٢، ٤١٣.

الأمر الذى أثار استياء الفرنسيين، وجعل التوتر يخيم على أجواء العلاقات الإنجليزية الفرنسية، لا سيما وأن الإنجليز سرعان ما قاموا - على إثر احتلال مصر - باحتلال السودان. وقد بلغ التوتر بين إنجلترا وفرنسا ذروته فى عام ١٨٩٨ عندما قام أحد القادة الفرنسيين ويدعى مارشان أثناء توغله فى قلب أفريقيا برفع العلم الفرنسى على فاشودة السودانية فى أعالى النيل، الأمر الذى كان من شأنه أن تصاعد التوتر بين الدولتين الأوربيتين على نحو كادت الحرب تندلع فى ظله بينهما، غير أن وزير الخارجية الفرنسى - وقتذاك - دلكاسيه تمكن من نزع فتيل الحرب إذ كان يأمل فى حدوث تقارب إنجليزى فرنسى فى مواجهة الأسد الألمانى الفتى[١].

على أية حال فإن تعاظم النفوذ الألمانى داخل الإمبراطورية العثمانية مع بداية القرن العشرين كان - كما سبق أن أشرنا - يمثل تهديداً بالغاً لمصالح كل من إنجلترا وفرنسا، الأمر الذى دفعهما إلى تجاوز خلافاتهما الاستعمارية، وعقد اتفاق يدخل العلاقات فيما بينهما عهداً جديداً قوامه التقارب والتفاهم، وهكذا أقدمت الدولتان فى ١٨ أبريل عام ١٩٠٤ على عقد ما يعرف بالاتفاق الودى. وقد تضمن هذا الاتفاق مواداً سرية وأخرى علنية، ويتمثل أظهر ما ورد فيه فيما يلى[٢] :

١-اعتراف فرنسا بمصالح إنجلترا فى مصر، واعتراف إنجلترا بمصالح فرنسا فى مراكش، مع اعتراف الدولتين بحق إسبانيا فى الساحل الشمالى الغربى لمراكش.

---

(١) راجع فى المضمون : المرجع السابق، ص ٤١٧، ٤١٨.

(٢) راجع فى هذا المضمون : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.

٢-تسوية بعض المشاكل الاستعمارية بين الدولتين فى سيام ومدغشقر وغرب أفريقيا.

وهكذا فبمقتضى الاتفاق الودى أطلقت فرنسا يد إنجلترا فى مصر، وفى المقابل أطلق الإنجليز العنان للفرنسيين فى مراكش، وكان حل الخلافات بين إنجلترا وفرنسا إيذاناً بدخول علاقاتهما عصر الوفاق.

المشكلة المراكشية (١٩٠٥) :

أثار الاتفاق الودى الإنجليزى الفرنسى مشاعر الاستياء والحنق فى نفس الإمبراطور الألمانى فليهلم الثانى، ويرتد ذلك إلى سببين هما :

١-ما أحدثه الاتفاق من تقارب بين إنجلترا وعدو الألمان اللدود المتمثل فى فرنسا على نحو قوى من شوكة الفرنسيين، ودعم مركزهم الدولى.

٢-حصول الفرنسيين على مراكش الأمر الذى أكسبهم مزايا اقتصادية وجغرافية عظيمة الشأن، فبصدد المكاسب الاقتصادية كانت مراكش بلاداً معروفة بتعاظم مواردها المعدنية، كما كانت عملية تحديث البلاد المراكشية تهيئ فرصاً لمشروعات هامة حال بناء السكك الحديدية، وإعداد الموانئ.

أما بالنسبة للمزايا الجغرافية لمراكش فترتد إلى كون هذه البلاد ذات سواحل طويلة على كل من البحر المتوسط والمحيط الأطلنطى، كما أنها تتحكم فى مضيق جبل طارق، وبالتالى فإن الدولة التى تستعمر

مراكش يكون بمقدورها التحكم فى طريق التجارة عبر المضيق من ناحية، ومراقبة المرور عبر رأس الرجال الصالح من ناحية أخرى[1].

ونظراً لكل ما تقدم راحت ألمانيا تعلن رفضها لاستيلاء فرنسا على مراكش، وفى مارس ١٩٠٥ قام فيلهلم الثانى بزيارة طنجة وأعلن لشريف مراكش أن ألمانيا تعتبر نفسها حامى استقلال مراكش، كما راح المستشار الألمانى بيلوف يعلن أن وضع مراكش تحت سلطة فرنسا وداخل نطاق نفوذها أمر مرفوض[2]. ولم يكتف الألمان بذلك بل هددوا الفرنسيين بشن الحرب عليهم إن هم لم يوافقوا على عقد مؤتمر دولى لبحث المسألة المراكشية، وقد انتهز الألمان - فى تهديدهم هذا - فرصة خروج روسيا - حليفة فرنسا - مضعضعة على إثر هزيمتها أمام اليابان فى موقعة موكدن،وخروج إنجلترا - المتوافقة مع فرنسا - مثقلة بالأعباء المالية من حرب البوير، ذلك فضلاً عن سوء تسلح فرنسا وضعف جيوشها[3].

وهكذا فقد وجد فيلهلم الثانى الأوضاع مهيأة لتوجيه ضربة للوفاق الإنجليزى الفرنسى لعله يستطيع لهذا الوفاق تصديعاً، وما أن هدد فيلهلم الفرنسيين بشن الحرب عليهم حتى أذعنوا لمطلبه ووافقوا على عقد مؤتمر دولى بشأن مراكش، وقد عقد هذا المؤتمر بالفعل مع بداية عام ١٩٠٦ فى الجزيرة بإسبانيا، حيث اتفق المؤتمرون فى النهاية على أن

---

(١) راجع فى هذا المضمون : ريلوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٣٦.

(٣) العمرى، ص ٣٣٤.

تبقى مراكش مستقلة ومفتوحة أمام تجارة كافة الدول، مع حصول كل من فرنسا وإسبانيا على حق تنظيم وقيادة الشرطة فى الموانئ المراكشية[١].

غير أنه مما تجدر الإشارة إليه أن كلا من إنجلترا وروسيا قد آزرتا فرنسا خلال مؤتمر الجزيرة، على نحو أدى إلى ترسيخ العلاقات بين الدول الثلاث، كما خلق التهديد الألمانى لفرنسا قبيل المؤتمر فى أذهان العسكريين الفرنسيين والإنجليز فكرة أنه يتعين أن يكون بعضهم لبعض ظهيراً، إذ راح الطرفان يتشاوران فى المسائل الحربية على نحو أكد أن الاتفاق الودى لم يكن مجرد تسوية لمنازعات استعمارية بل إنه كان تفاهما من شأنه أن يقودا إنجلترا إلى الاشتراك فى حرب أوروبية إلى جانب فرنسا[٢].

وهكذا فإن مؤتمر الجزيرة جاء بعكس ما كان فيلهلم الثانى يشتهى، فبدلاً من تصديع الوفاق الإنجليزى الفرنسى خرج هذا الوفاق من المؤتمر أقوى من ذى قبل، ليس هذا فحسب بل أدى المؤتمر كذلك إلى تقارب إنجليزى روسى على نحو هيأ لوفاق إنجليزى روسى على غرار الوفاق الإنجليزى الفرنسى.

الاتفاق الإنجليزى الروسى (١٩٠٧) :

وقع هذا الاتفاق فى ٣٠ أغسطس عام ١٩٠٧ وبمقتضاه اتفقت كل من إنجلترا وروسيا على تسوية الخلافات الاستعمارية فيما بينهما، حيث تم الاتفاق على تقسيم فارس (إيران) إلى ثلاث مناطق، أولاها منطقة نفوذ

---

(١) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٣٧.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٤.

روسى فى الشمال، والثانية منطقة نفوذ إنجليزى فى الجنـــوب، والثالثـة مستقلة فى الوسط، كذلك فبمقتضى ذلك الاتفاق اعترفت روسيا بمصـــالح إنجلترا فى الخليج العربى وفى التبت، وفى المقابل تعهدت إنجلترا بتسـهيل السبل لفتح المضايق أمام السفن الحربية الروسية، وفضلاً عما تقدم اتفقـت الدولتان على أن تصبح أفغانستان تحت حماية إنجلترا[1].

وما أن عقد هذا الاتفاق حتى اعتبره الألمان قرينة علــى وجـود مشروع مكيافيللى يدبره الملك الإنجليزى إدوارد السابع[•] ويســعى مــن خلاله إلى تطويق ألمانيا بحلقة من الأعداء[2].

ومهما يكن الأمر فإنه بتوقيع الاتفاق الإنجليزى الروســى لعـام ١٩٠٧ بات واضحاً أن ثمة معسكراً جديداً من الدول الكبرى قد ظهر إلــى حيز الوجود، إنه معسكر الوفاق الثلاثى الذى انطوت حظيرته على ثـلاث قوى أوروبية كبرى هى إنجلترا وفرنسا وروسيا، وعلى ذلك فقد أضحـت أوروبا منقسمة إلى معسكرين : يتمثل أولهما فى المحالفة الثلاثية (ألمانيـا - النمسا والمجر - إيطاليا). فى حين تمثل الآخر فــى الوفـاق الثلاثـى (إنجلترا - فرنسا - روسيا)، وشيئاً فشيئاً تصاعد التوتر بين المعســكرين نتيجة لحدوث أزمات عديدة شهدتها علاقاتهما خلال الأعوام الأخيرة مــن العقد الأول والأعوام الأولى من العقد الثانى من القــرن العشــرين علــى النحو الذى سنعرض له فى السطور التالية :

---

(١) أنظر فى هذا المضمون عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١٤١، ١٤٢.

(•) كان إدوارد السابع قد أعتلى عرش إنجلترا على أثر وفاة أمه الملكة فيكتوريا عام ١٩٠١.

(٢) فيشر. مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٧

أزمة ضم البوسنة والهرسك إلى الإمبراطورية النمساوية المجرية (١٩٠٨) :

كانت الإمبراطورية النمساوية المجرية[*] تعرف بالمملكة الثنائية إذ كانت تضم جماعتين عرقيتين مسيطرتين هما : الألمان وكان عددهم حوالى إثنى عشر مليونا، والمجريون وبلغ عددهم عشرة ملايين، وإلى جانب هاتين الجماعتين المسيطرتين انطوت إمبراطورية الهابسبرج[**] على عديد من جماعات عرقية غير مسيطرة، إذ كانت تضم ٨,٥ مليون تشيكى، و٥ ملايين بولندى، و٤ ملايين روتينى، و٥,٧ مليون صربى وكرواتى، و٣,٣ مليون رومانى، و١,٣ مليون سلوفينى، وكانت الأجناس الخاضعة لحكم المجريين تعانى من الاضطهاد والتمييز، حيث سعى المجريون إلى تمجير تلك الأجناس مستخدمين فى ذلك شتى وسائل القمع، وكان الكروات يمثلون أحد الأجناس المضطهدة من جانب المجريين، لذلك فقد ظهر فى كرواتيا حزب سرعان ما تزايد عدد أعضائه وتعاظم نفوذه راح يدعو إلى فصل الولاية الكرواتية عن المجر وضمها إلى اتحاد سلافى يضم البوسنة والهرسك ومملكة الصرب.[1] فى ذات الوقت كانت قد نشأت فى الجيش الصربى جماعة من الضباط عرفت بجمعية اليد السوداء، راحت فى عام ١٩٠٣ تطيح بأسرة أبرينوفتش المالكة الصربية الموالية للنمسا، وتجلس أسرة كاراجيو جيفتش على العرش الصربى، ثم ما برحت جمعية اليد السوداء أن راحت تدعو إلى اتحاد جميع السلاف

(*) أصبحت الإمبراطورية النمساوية مملكة ثنائية (نمساوية مجرية) بمقتضى تسوية تمت بين الجماعتين عام ١٨٦٧.

(**) الأسرة الحاكمة فى الإمبراطورية النمساوية المجرية.

(١) راجع فى هذا المضمون : فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤٣ إلى ص ٤٤٥.

الجنوبيين (اليوجوسلاف) تحت حكم التاج الصربى الذى كان ألعوبة فـــى يدها[1]. ونظراً لدعوتها هذه كانت جمعية اليد السوداء تمثل تـــهديداً بالغـــاً لإمبراطورية الهابسبرج، لذلك فقد بلغت العلاقـــات بيـــن الإمبراطوريـــة النمساوية المجرية وصربيا ذروة تدهورها خلال العقد الأول مـــن القـــرن العشرين، بحيث صار الإمبراطور النمساوى فرنســـيس جوزيـــف دائـــم التفكير فى ضرورة تأديب الصربيين، بحيث يتعلم هذا الشـــعب الحديـــث النعمة المؤلف من القتلة والسفاحين والمتآمرين الأوغـــاد درســـاً قاســـياً، ويوضع كل صربى حقير تعس فى موضعه الصحيح، كذلك فقـــد حـــض العسكريون النمساويون ساستهم المرة تلو الأخرى علـــى القيـــام بحـــرب وقائية فى مواجهة صربيا[2].

وفى ظل هذه الأجواء المفعمة بمشاعر العداء بيـــن النمســـاويين والصرب راحت إمبراطورية الهابسبرج تعلن - فى ٥ أكتوبـــر ١٩٠٨ - ضم البوسنة والهرسك، تينك الولايتان اللتان كانت النمسا قد حصلت علـــى حق إدارتهما فقط بمقتضى معاهدة برلين ١٨٧٨[3]. وقد كان لهذا الضـــم من جانب النمسا وقع الصدمة على كل من صربيـــا وروســـيا، فبصـــدد صربيا كان ضم البوسنة والهرسك يمثل ضربة قاسمة للحركـــة القوميـــة الصربية المنادية باتحاد اليوجوسلاف فى دولة تجمع شتاتهم. أما بصـــــدد روسيا فقد كان ضم البوسنة والهرسك إلى النمسا يعنى تهديداً عظيم الشأن للمصالح الروسية فى البلقان، ذلك فضلاً عن ارتباط الروس بالصرب مـــن خلال روابط الأصل والدين، حيث كلا الفريقين سلافى أرثوذكسى.

---

(١) راجع فى هذا المضمون : المرجع السابق ، ص ٤٧٧.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : المرجع السابق، ص ٤٤٧، ٤٤٨

(٣) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٦٠.

ونظراً لما تقدم فقد راح الروس يعبئون قواهم لمواجهة النمسا بعد أن تحول توازن القوى فى البلقان تحولاً حاسماً ضد الدول السلافية من جراء ذلك العمل النمساوى العنيف والمباغت، غير أن فيلهلم الثانى طفق يقف إلى جانب فرنسيس جوزيف يؤيده ويشد من أزره، إذ راح الإمبراطور الألمانى يؤكد لقيصر روسيا أنه إذا كانت روسيا تنوى التدخل ضد النمسا فإن على الروس أن يعدوا العدة لمجابهة ألمانيا كذلك، وقد كان هذا التهديد كافياً لأن يتراجع الروس، غير أن الشعور بالذل كان يملأ نفوسهم، وبالتالى فقد تزايدت مشاعر السخط لديهم إزاء الألمان، وراح بعض الساسة الروس يقسم فى سان بطرسبرج (*) بأنه إذا ما قامت أزمة مماثلة فى البلقان فإنهم لن يجعلوا روسيا تطأطئ الرأس مرة أخرى أمام إرادة الإمبراطور الألمانى، فى ذات الوقت راح فيلهلم الثانى يرفع عقيرته فى فيينا مزهواً بأنه وقف فى كامل عدده وعدته إلى جانب صديقه إمبراطور النمسا (١).

أزمة أغادير (١٩١١) :

شرعت الحكومة الفرنسية - بحلول ربيع ١٩١١ - فى احتلال مراكش واستعمارها، فأعدت لذلك حملة عسكرية استهدفت التوغل فى الأراضى المراكشية وصولاً إلى العاصمة فاس، وفى ذات الوقت جيشت الحكومة الإسبانية جيشاً راح يتغلغل فى المناطق الشمالية من مراكش. وإزاء ذلك بات الألمان على اقتناع بأن ثمة مؤامرة غايتها اقتسام مراكش بدون إشراك ألمانيا فى الغنيمة، وراحوا يعلنون أن فرنسا - بسعيها

(*) العاصمة الروسية وقتذاك.

(١)أنظر فى هذا المضمون : فيشر : مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٩.

لاحتلال مراكش - لم تلتزم بمقررات مؤتمر الجزيرة (١٩٠٦) الذى تعهد الفرنسيون بموجبه بالحفاظ على سيادة الأراضى المراكشية واستقلالها [١]. ولم يكتف الألمان بذلك وإنما راحوا يلوحون باستخدام القوة فى مواجهة فرنسا، فأرسلوا إحدى سفنهم الحربية كى ترسو فى ميناء أغادير المراكشى، لكى يكسو التوتر أجواء العلاقات الألمانية الفرنسية، وتتجمع نذر الحرب بين الدولتين، وراحت الحكومة الإنجليزية تظهر استعدادها للتدخل إلى جانب فرنسا فى حالة نشوب حرب فرنسية ألمانية [٢]، إذ عمد وزير المالية الإنجليزى فى خطاب له ألقاه فى خريف عام ١٩١١ إلى تهديد الحكومة الألمانية بأنه إذا كان لا مناص من إقحام الحرب على فرنسا بسبب الخلاف حول مراكش فإن إنجلترا لن تقف ساكنة[٣].

وفى ظل هذه الظروف اتفقت الأطراف المعنية بمشكلة مراكش على عقد مؤتمر دولى فى أغادير لبحث المشكلة، وقد انعقد هذا المؤتمر بالفعل فى ٤ نوفمبر ١٩١١ حيث تم الاتفاق على اعتراف ألمانيا بالحماية الفرنسية على مراكش، كما وافق الألمان على عدم التدخل فى المفاوضات الفرنسية الإسبانية بشأن الأراضى المراكشية، وفى المقابل وافقت فرنسا على فتح بعض الموانئ المراكشية المغلقة ومنها أغادير فى وجه التجارة، كما تعهدت فرنسا بضمان المساواة فى الحقوق التجارية لكافة الشعوب فى مراكش، وفضلاً عما تقدم تنازلت فرنسا لألمانيا عن مائة ألف ميل مربع من الأراضى الخصبة فى شمال الكونجو الفرنسى[٤].

---

(١) العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٥٥.

(٣) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥١.

(٤) العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤١، ٢٤٢.

كذلك فقد حصلت ألمانيا - بمقتضى اتفاقية أغادير - على شـريط من الأرض فى جنوب مستعمرة غينيا الإسبانية، وهو الشريط الذى صـار بمقتضاه للمستعمرات الألمانية مطل على المحيط الأطلنطى[1].

جملة القول فى شأن أزمة أغادير أنه على الرغم من أنها انتـهت دون اندلاع الحرب بين ألمانيا وفرنسا فإن تلك الأزمة كـان لـها عظيـم الأثر فى تنامى ميراث العداء بين الدولتين، على نحو أسهم إلى حد كبـير فى زيادة توتر علاقاتهما، وبالتالى توتر العلاقات بين معسـكر المحالفـة الثلاثية ومعسكر الوفاق الثلاثى، الأمر الذى أدى إلى تصاعد سباق التسلح بين دول المعسكرين لا سيما إنجلترا وألمانيا، ذلك السباق الذى كان قد بـدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر.

سباق التسلح فى أوروبا خـلال الفـترة السـابقة علـى الحـرب العالمية الأولى:

كانت إنجلترا - فى أواخر القرن التاسع عشر - هى سيدة البحـار بحق، إذ كانت تمتلك أسطولاً عظيم الشأن هيـأ لـها بنـاء إمبراطوريـة مترامية الأطراف. وقد أدرك الإمبراطور الألمانى فيلهلم الثانى أن تعـاظم المكانة الدولية لبلاده وامتداد نفوذها فى أرجاء المعمورة لن يتأتيا إلا مـن خلال بناء أسطول ألمانى يكون - مـن حيـث قوتـه - نـدا للأسـطول الإنجليزى.

(١) رينوفان ، مرجع سبق ذكره، ص ٦٥٥.

وقد أكد فيلهلم ذلك فى خطبة له ألقاها أمام الجمعية الاستعمارية الألمانية عام ١٨٩٦، إذ راح يعلن : " إن مستقبل ألمانيا هو على البحار"[١].

وعلى ذلك فسرعان ما أوكل الإمبراطور الألمانى أمر بناء القوة البحرية المنشودة إلى ضابط شاب قوى الشكيمة عالى الهمة من ضباط الأسطول الألمانى وهو فون تيربتز[٢]، ذلك الرجل الذى بدأ مهمته فى عام ١٨٩٨ وفى وقت كانت ألمانيا تمتلك فيه ٢٢ سفينة حربية فى مقابل ١٤٧ سفينة حربية كانت لبريطانيا، وبمقتضى قانونين صدرا فى عام ١٨٩٨، ١٩٠٠ قرر الألمان زيادة عدد سفنهم الحربية إلى خمسين سفينة، ثم تتابعت القوانين بزيادة عدد السفن بحيث أصبحت ألمانيا فى عام ١٩١٢ تمتلك أسطولاً يمثل عدد سفنه ثلثى عدد سفن الأسطول الإنجليزى[٣] غير أنه مما تجدر الإشارة إليه أن الإنجليز لم يقفوا مكتوفى الأيدى وهم يرون الأسطول الألمانى الفتى يهدد سيادتهم على البحار، إذ راحوا يدخلون فى سباق مع الألمان بصدد بناء السفن المدرعة الثقيلة، كما حاولت إنجلترا - من جانب آخر - إقناع ألمانيا بوضع حد لتسلحها البحرى فى مقابل قيام الإنجليز بنفس العمل، غير أن فيلهلم الثانى راح يرد على الاقتراح الانجليزى بكل صراحة وصرامة قائلاً أنه يؤثر الحرب على الموافقة على هذا الاقتراح[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٩٢.

(٢) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤١١.

(٣) رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٩٢.

(٤) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٥، ٤٣٦.

وهكذا فقد راحت حمى التسلح البحرى تستفحل لدى كل من الإنجليز والألمان، لكى يتصاعد بذلك سباق التسلح بين الجانبين، وتخيم غيوم التوتر على أجواء علاقاتهما.

يبقى أن نشير إلى أن سباق التسلح فى أوروبا - قبيل الحرب العالمية الأولى - لم يقتصر على المجال البحرى، وإنما امتد كذلك إلى صعيد القوات البرية. فبمقتضى قانون أقره الرايشتاج الألمانى فى عام ١٩١٣ تقرر زيادة عدد أفراد الجيش الألمانى من ٦٢١ ألف رجل إلى ٧٦١ ألفا ثم إلى ٨٢٠ ألف رجل عام ١٩١٤، وسرعان ما راحت فرنسا ترد على القانون الألمانى بقانون مشابه زاد بمقتضاه عدد الجيش الفرنسى العامل إلى ٧٥٠ ألف رجل، وفى ذات العام قررت روسيا أيضاً زيادة عدد الجيش الروسى تدريجياً على مدى أربع سنوات كى يصل إلى ١٨٠٠ ألف رجل فى عام ١٩١٧، فى حين أن عدد الجيش الروسى بلغ عام ١٩١٣ زهاء ١٢٠٠ ألف فقط.

جملة القول فى شأن ما تقدم أن أوروبا شهدت خلال السنوات القليلة السابقة على الحرب العالمية الأولى سباقاً للتسلح كان من شأنه أن جعل التوتر يسود العلاقات بين معسكر المحالفة الثلاثية ومعسكر الوفاق الثلاثى، إذ كانت كافة الدول تتوقع أن تقحم الحرب نفسها عليها فى أى وقت، أو على حد قول أحد المؤرخين الفرنسيين حين وصف الأجواء الأوروبية خلال تلك الفترة قائلاً : " أصبحت شكوك الشعوب إزاء بعضها كبيرة إلى حد أن كل شعب كان يرفض ويستبعد كل اعتقاد فى إخلاص

جاره، ويعتبر تصريحاته عن السلام مجرد مناورة لتخدير أعصابه قبل مفاجأته بالهجوم عليه "[1].

المنافسة التجارية بين إنجلترا وألمانيا :

شهدت السنوات القليلة السابقة على الحرب العالمية الأولى منافسة حامية الوطيس بين المصدرين الإنجليز والألمان كل يسعى إلى أن تكون له الغلبة فيما يتصل بتصدير السلع إلى الأسواق الأوروبية. وعلى حين كانت للمصدرين الإنجليز اليد الطولى فى معظم أسواق أوروبا مع نهاية القرن التاسع عشر أضحى التفوق فى جانب خصومهم الألمان مع حلول العقد الثانى من القرن العشرين، ففى عام ١٩١٣ أصبح حجم الصادرات الألمانية إلى فرنسا يعادل حجم الصادرات الإنجليزية إليها، كما تفوق حجم الصادرات الألمانية إلى كل من بلجيكا وهولندا وإيطاليا وروسيا على نظيره الإنجليزى، كذلك فقد احتفظ الألمان بتفوقهم على غرمائهم الإنجليز فى أسواق كل من رومانيا، والصرب، وبلغاريا[2].

ومهما يكن الأمر فإن هذه المنافسة التجارية الشرسة بين إنجلترا وألمانيا قد أضافت إلى الأسباب العديدة لتوتر علاقتهما سبباً جديداً.

الحروب البلقانية (١٩١٢ - ١٩١٣) :

شهدت منطقة البلقان فى فبراير ١٩١٢ تكوين ما يعرف بعصبة الدول البلقانية، وقد ضمت هذه العصبة كلا من اليونان وصربيا وبلغاريا، وفى ١٨ أكتوبر ١٩١٢ راحت العصبة البلقانية تعلن الحرب على الدولة

(١) العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤٨.

(٢) راجع فى هذا المضمون : رينوفان،مرجع سبق ذكره، من ص ٧٦٤ إلى ص ٧٦٦.

العثمانية متذرعة بالرغبة فى تخليص مسيحيى البلقان الخاضعين للسلطان العثمانى من ربقته، وقد جيشت العصبة البلقانية فى حربها هذه ما يربو على ستمائة ألف مقاتل تمكنوا من انتزاع سائر أراضى تركيا أوروبا ما عدا القسطنطينية، وهكذا فقد كان نصراً مؤزراً حليف البلقانيين وعلى رأسهم الصرب، إذ خرجت صربيا من الحرب وقد ارتفع مقامها، وسمت منزلتها، واتسعت رقعة أرضها، وأذكيت آمالها، الأمر الذى أثار استياء وقلق النمسا[1]، حيث كانت إمبراطورية الهابسبرج - كما قدمنا - تعتبر صربيا عدوا لدوداً لها، إذ كانت هذه الأخيرة تسعى إلى إنشاء دولة يوغسلافية تضمها إلى كل من كرواتيا والبوسنة والهرسك، وهى الولايات التى كانت تمثل جزءاً من الإمبراطورية النمساوية المجرية، وكان انفصال الكروات وصرب البوسنة والهرسك عن تلك الإمبراطورية يعنى سعى باقى الأجناس المشكلة لها إلى الانفصال عنها على نحو قد يؤدى إلى تفككها وزوالها من الوجود، وعلى ذلك فقد كانت أسرة الهابسبرج تنظر إلى الدعوة الصربية إلى إنشاء دولة يوغسلافية على أنها تمثل تهديداً لوجود الإمبراطورية النمساوية المجرية ذاته.

ونظراً لما تقدم ففى المؤتمر الذى عقد فى لندن غداة الحرب البلقانية العثمانية والذى استهدف وضع خريطة جديدة للبلقان أصرت النمسا على أن تحرم صربيا من أى منفذ مباشر على البحر الأدرياتى، وبالتالى فقد رفض النمساويون ضم ألبانيا إلى صربيا، غير أن روسيا راحت تساند صربيا فى مواجهة النمسا، لكى تتوتر العلاقات النمساوية الروسية على نحو جعل الحرب من الدولتين قاب قوسين أو أدنى، إلا أن ألمانيا استخدمت نفوذها لتلطيف مطالب النمسا، فى حين استخدم الإنجليز

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، من ص ٤٥٠ إلى ص ٤٥٢.

نفوذهم لتلطيف مطالب روسيا، واتفق المؤتمرون فى لندن مع بداية عـــام ١٩١٣ على أن تصبح ألبانيا دولة مستقلة بحيث يحكمها أمير ألمانى[١].

غير أنه أثناء انعقاد مؤتمر لندن قامت جماعة تركيا الفتاة بزعامـة أنور بك بثورة فى القسطنطينية، وراح الثوار يشعلون الحرب من جديـــد فى مواجهة العصبة البلقانية، إلا أن النصر أيضاً هذه المرة كـــان حليــف البلقانيين فاستولوا على أراضى جديدة، وفى ٣٠ مايو ١٩١٣ تــم توقيــع الصلح بمقتضى معاهدة لندن بحيث اقتصرت أملاك تركيا فى أوروبا على القسطنطينية وشبه جزيرة جاليبولى[٢].

ولم يكد المداد يجف على معاهدة لندن حتى اندلـــع القتـــال بيـــن البلقانيين أنفسهم، إذ اختلفوا حول تقسيم المناطق التى حصلوا عليها مـــن حربهم ضد الدولة العثمانية ولا سيما مقدونيا، حيث كان البلغاريون يــرون أن حلفاءهم قد غبنوهم على الرغم من دورهم الرئيسى فى الحرب ضــــد الجيوش العثمانية، وعلى ذلك فسرعان ما راحت بلغاريا تعلـــن الحـــرب على كل من اليونان وصربيا، كما انضمت رومانيا إلى صف الأخـــيرتين، وقد كان النصر فى هذه الحرب إلى جانب الدول الثلاث التى تمكنت فـــى وجيز وقت من سحق الجيوش البلغارية. وعلى إثر هذه الحرب تــم عقــد صلح بوخارست فى ١٠ أغسطس عام ١٩١٣، وبمقتضى هـــذا الصلــح تزايدت مكاسب كل صربيا واليونان (وكذا رومانيا) من وراء الحـــروب البلقانية[٣].

---

(١) راجع فى هذا الصدد : المرجع السابق، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٣.

(٣) راجع فى هذا المضمون : رينوفان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٦٤.

وهكذا فقد خرجت صربيا من الحروب البلقانية وهى القوة الأولى فى البلقان بلا منازع، فغمرت قلوب الصرب نشوة النصر، وعمرت أفئدتهم ثقة بشد روسيا لأزرهم، وأخذوا يتطلعون إلى ضم ذوى قرباهم فى البوسنة والهرسك إليهم، على طريق إقامة صربيا الكبرى، الأمر الذى كان من شأنه أن تعاظم خوف النمساويين، وتزايد قلقهم بشأن مستقبل إمبراطوريتهم، وبالتالى فقد راحوا ينظرون بعين السخط إزاء أعدائهم اللدودين المتمثلين فى الصرب، وأخذت رئاسة أركان الحرب النمساوية تحض حكومتها المرة تلو المرة على تلقين ذلك الشعب الحقير درساً قاسياً قبل أن تصبح دولته قوة عظيمة البأس، ومن جانب آخر فإن الحروب البلقانية كان من شأنها أن أضعفت تركيا التى كان فيلهلم الثانى يعتبرها أحد حلفائه[1].

وجملة القول فى شأن الحروب البلقانية (١٩١٢-١٩١٣) أن هذه الحروب بما ترتب عليها من نتائج كان من شأنها أن تصاعدت حدة التوتر بين الإمبراطورية النمساوية المجرية من ناحية والصرب ومعهم الروس من ناحية أخرى، لقد كانت هذه الحروب بمثابة لبنة كبيرة أضيفت إلى صرح العداء الذى كان يسود العلاقات بين دول المحالفة الثلاثية ودول الوفاق الثلاثى خلال الأعوام القليلة السابقة على الحرب العالمية الأولى، ذلك الصرح الذى تمثلت لبناته فى :

١-الصراع الاستعمارى المتأجج بين دول المحالفة الثلاثين ودول الوفاق الثلاثى، والذى تسبب فى أزمة مراكش، وأزمة أغادير، ومن قبلهما أزمة حرب البوير، والصراع على النفوذ فى آسيا الصغرى.

---

(١)راجع فى هذا المضمون : فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥٤، ٤٥٥.

٢-سباق التسلح الرهيب الذى دخلت فيه الدول الأوروبية لا سيما إنجلترا وألمانيا، فضلاً عن تصاعد حدة المنافسة التجارية بين هاتين الدولتين العظيمتين وقتذاك.

٣-الصراع حول النفوذ فى البلقان وما نتج عنه من توتر فى علاقات المعسكرين الأوربيين نتج عن أزمة البوسنة والهرسك (١٩٠٨) ، والحروب البلقانية (١٩١٢-١٩١٣).

٤-النعرة القومية الطاغية التى استشرت فى نفوس الأوروبيين قبيل الحرب العالمية الأولى استشراء النار فى الهشيم، وقد كان الإمبراطور الألمانى فيلهلم الثانى من أشد الساسة الأوربيين تحمساً للعزة القومية، وأكثرهم عملاً فى سبيل إعلائها، ولما كانت ألمانيا هى كبرى القوى الأوروبية قاطبة وقتذاك فقد كان من الطبيعى أن تؤثر سياسات فيلهلم شديدة التمسك بأهداب العنجهية القومية تأثيراً عظيم الشأن على مناخ العلاقات بين القوى الأوروبية، بحيث أصبح الصراع والتوتر هما السمتين الغالبتين على ذلك المناخ.

لقد كان كل ما تقدم أسباباً حقيقية لاندلاع الحرب العالمية الأولى تلك الحرب التى كان الأوربيون يتوقعون حدوثها فى أية لحظة منذ السنوات الأخيرة من العقد الأول من القرن العشرين، وأخيراً فقد جاء الحدث الذى أشعل فتيل تلك الحرب.

الفصل السابع (*)

الحرب العالمية الأولى ومولد أوروبا جديدة

(١٩١٤ – ١٩٢٣)

(إن دخولنا الحرب لا يعني فحسب أن ألمانيا ستهزم،
وإنما يعني كذلك أن هزيمة الألمان ستكون ساحقة)

وودرو ويلسون

الرئيس الأمريكي إبان الحرب العالمية الأولى

(*) كتب هذا الفصل : د/ أحمد وهبان.



قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) :

في ٢٨ يونيو عام ١٩١٤ وأثناء وجود ولي العهد النمساوى الأرشيدوق فرديناند فرانسيس وزوجته في سراييفو قام طالب بوسني يدعى جفريلو برنسيب بإطلاق النار عليهما فأرداهما قتيلين، الأمر الذى أثار عاصفة هوجاء من الاستياء والغضب داخل إمبراطورية الهابسبرج، وعلى الرغم من أن الجريمة وقعت في البوسنة والهرسك التابعة لإمبراطوريتهم راح النمساويون يؤكدون أن هذه الجريمة هى من تدبير جمعية اليد السوداء المسيطرة على مقاليد الأمور فى صربيا [١].

وفى طوفان الغضب راحت إمبراطورية الهابسبرج توجه إنذاراً صارماً إلى صربيا انطوى على شروط قاسية بحيث كان قبول الصرب لها يعنى سلب استقلال دولتهم، وقد رد الصرب على الإنذار النمساوى بإعلان موافقتهم على بعض شروطه دون بعضها الآخر، غير أن النمسا عادت فى ٢٣ يوليو ١٩١٤ ووجهت إنذاراً نهائياً إلى حكومة الصرب تطالبها فيه بقبول الإنذار بكامل شروطه خلال ثمان وأربعين ساعة، فرد الصرب على ذلك بالموافقة على جل ما جاء بالإنذار النمساوى، وليس على كل ما جاء فيه، مما حدا بالنمسا إلى قطع علاقاتها مع صربيا فى ٢٥ يوليو، ثم ما برحت أن أعلنت الحرب عليها فى ٢٨ يوليو ١٩١٤[٢]. وسرعان ما راحت روسيا تعبئ قواتها فى مواجهة النمسا والمجر بدءاً من ٢٩ يوليو، فى حين راحت ألمانيا تنذر الروس بدخول الحرب فى مواجهتهم إن هم هاجموا النمسا، غير أن روسيا لم ترد على الإنذار

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٤، ١٥٥.

الألمانى، كما راحت فرنسا تعلن اعتزامها دخول الحـــرب إلـى جـانب روسيا، فى حين دخلت ألمانيا الحرب كظهير لحليفتها النمسا، حيث راحت الجيوش الألمانية تقتحم بلجيكا فى سبيل تطويق فرنسا التى أعلنت ألمانيــا عليها الحرب فى ٣ أغسطس.

وهنا لم يكن أمام الإنجليز من سبيل سوى التدخل فى مواجهة ذلك العملاق الألمانى الجبار الذى كان فى سبيله إلى السيطرة علـى مقـدرات أوروبا قاطبة، ففى ٤ أغسطس راحت إنجلترا تعلن الحرب علـى ألمانيـا فردت ألمانيا بإعلان الحرب عليها[١]. وفى ٢٩ أكتوبـر ١٩١٤ أعلنـت تركيا انضمامها إلى صف ألمانيا فى الحرب، وفى البداية أحرز الألمـان وحلفاؤهم انتصارات متتالية، فبحلول صيـف ١٩١٥، كـانت الجيـوش الألمانية قد احتلت بلجيكا وشمال شرق فرنسا بحيث أصبحت قاب قوسـين أو أدنى من باريس، كما كانت هذه الجيوش قد تمكنت كذلك من احتـلال بولندا[٢]، وبزغ نجم القادة العسكريين الألمان وعلى رأسهم لودنـدروف. فى حين كانت تركيا قد شرعت فى مهاجمة الجيوش الروسية فى القوقـاز مع نهاية عام ١٩١٤، فاستنجد الروس بقائد الجيوش الإنجليزية كتشـنر، الذى سرعان ما قام بحملة لاقتحام الدردنيل فى ١٨ مارس عـام ١٩١٥. غير أن هذه الحملة قد باءت بالفشل، وتكبد البريطـانيون مـن جرائـها خسائر فى الأنفس قدرت بمائة وعشرين ألفا من القتلى والجرحى[٣].

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : رينوفان ، مرجع سبق ذكره، ص ٧٩٨.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : بيير رينوفان، تاريخ العلاقـات الدوليـة، أزمـات القـرن العشـرين (١٩١٤-١٩٤٥)، ترجمة جلال يحيى، دار المعارف،الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ٢١.

(٣) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٠٦.

أما بالنسبة لإيطاليا فعلى الرغم من علاقاتها الوثيقة مع ألمانيـــا إلا أنها أعلنت حيادها فى بداية الحرب ثم سرعان ما دخلـــت الحـــرب فـــى صفوف دول الوفاق بدءاً من ٢٤ مايو ١٩١٥، وذلك طمعاً فى ضم بـــاقى الأراضى التى يقطنها إيطاليون فى الإمبراطورية النمساوية المجرية إلـــى الأراضى الإيطالية(١).

وبحلول عـــام ١٩١٦ حدثـــت معـــارك شرســـة بيـــن القـــوات الألمانية،والجيوش الأنجلوفرنسية، وكانت أعنف هذه المعـــارك معركتـــا فردان وأسوم، واللتان شهدتا ظهور الدبابة فى ساحة الوغى لأول مـــــرة، وقد كانت هذه المعارك من الفظاعة بحيث تمخضت معركة ألسوم وحدهـــا عن مصرع خمسمائة ألف من الألمان، وأربعمائة وعشرة آلاف إنجليزى، ومائة وتسعين ألف فرنسى(٢).

كما شهد عام ١٩١٦ وفى ٢٧ أغسطس دخول رومانيا الحـــــرب فى صف دول الوفاق، فى حين دخلت بلغاريا الحرب فى صـــف ألمانيـــا وحليفاتها منذ عام ١٩١٥. ومهما يكن الأمر فإن الحرب العالمية الأولـــى ظلت دائرة الرحى حتى عام ١٩١٧ دون أن يحقـــق أى مـــن أطرافـــها انتصاراً حاسماً على عدوه، غير أن ذلك العام شهد حدثين كان لهما عظيـم الأثر على مجرى الحرب، ويتمثل هذان الحدثان فى :

أولاً : دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب دول الوفاق.

ثانياً : اندلاع الثورة البلشفية فى روسيا وانسحاب الروس من الحرب.

---

(١) رينوفان (١٩١٤-١٩٤٥) ، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.

(٢) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥١٣.

وفيما يلى نعرض لكل من هذين الحدثين بشئ من التفصيل.

أولاً : دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب دول الوفاق (١٩١٧):

كانت الولايات المتحدة - خلال الحقبة السابقة على الحرب العالمية الأولى - تقيم سياستها الخارجية على ثلاثة مبادئ رئيسية مناقضة تماماً للمبادئ التى كانت تحكم السياسات الأوروبية وقتذاك، وتتمثل هذه المبادئ فى :

١-مبدأ العزلة.

٢-مبدأ الحياد وتجنب الأحلاف.

٣-مبدأ أخلاقية أهداف السياسة الخارجية.

وفيما يلى نعرض بإيجاز لكل من هذه المبادئ :

١- مبدأ العزلة :

ويرتد هذا المبدأ إلى الرئيس جيمس مونرو، لذلك فهو يعرف " بمبدأ مونرو "، وقد أعلن مونرو عن مبدأه هذا أمام الكونجرس فى ١٣ ديسمبر عام ١٨٢٣، حيث قال : " إن كل محاولة تقوم بها دولة أوروبية لفرض نهجها السياسى على نصف الكرة الأمريكى تشكل خطراً كبيراً على سلم وأمن الولايات المتحدة ". ثم راح مونرو يقدم ثلاثة خطوط

أصبحت فيما بعد بمثابة الإطار الذى حكم السياسة الخارجية الأمريكية تجاه أوروبا لعقود طويلة، وتتمثل هذه الخطوط فيما يلى[1] :

أ- إن القارة الأمريكية لا يصح أن تصبح فى المستقبل مجالاً لاستعمار أوروبى جديد.

ب- إن الولايات المتحدة لا تنوى أن تتدخل فى الشئون السياسية للدول الأوروبية.

جـ- لا تقبل الولايات المتحدة تدخل الدول الأوروبية فى شئون القارة الأمريكية، " فأمريكا للأمريكيين ".

وانطلاقاً من مبدأ مونرو هذا عملت الولايات المتحدة على تحقيق أمنها، وصيانة استقلالها القومى، والحفاظ على قيمها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وأمانيها القومية من خلال تضييق اهتمامها بالمشكلات والقضايا الدولية إلى أدنى درجة ممكنة، مع الاحتفاظ - فى نفس الوقت - بقدر ضئيل من المعاملات الدبلوماسية والتجارية مع عدد محدود من الوحدات السياسية[2].

---

(١) راجع فى هذا الصدد :

- بطرس بطرس غالى / محمود خيرى عيسى، المدخل فى علم السياسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٣٨٠.
- محمد فتحى الطوبجى، أزمة السياسة الأمريكية، سلسلة كتب سياسية، كتاب رقم (٦٥) ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٨، ص١٤.
- أحمد وهبان، العلاقات الأمريكية الأوروبية بين التحالف والمصلحة، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٢، ١٣.

(٢) السيد عليوة، إدارة الصراعات الدولية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨، ص ٦٧، ٦٨.

وقد ساعد الولايات المتحدة على اتباع هذه السياسة عدد من العوامل أظهرها ضخامة مواردها الاقتصادية، وموقعها الجغرافى النائى عن صراعات القوى الأوروبية، وبالتالى فلم تكن الولايات المتحدة بحاجة إلى الدول الأوروبية، كما لم تكن تستشعر الخوف منها.

٢- مبدأ الحياد وتجنب الأحلاف :

وقد أرسى هذا المبدأ الرئيس جورج واشنطن، حيث قدمه فى خطبة الوداع التى ألقاها عام ١٧٧٦، إذ قال : " إن سياستنا الحقيقية هى تجنب كل محالفة دائمة مع أية حكومة أجنبية أياً كان نوعها، ولكن إذا اقتضى الأمر مثل هذه المحالفة فيتعين أن تكون قصيرة الأمد ما أمكن ولتحقيق هدف محدد، فإذا ما تحقق ذلك الهدف وجب على الولايات المتحدة أن تعود إلى سيرتها الأولى "(١).

وارتباطاً بمبدأ تجنب الأحلاف هذا ظلت الولايات المتحدة طيلة حقبة ما قبل الحرب العالمية الأولى تتجنب الدخول فى أية محالفة دولية.

٣- مبدأ أخلاقية أهداف السياسة الخارجية :

فخلال الحقبة المذكورة كانت تصورات الأمريكيين - من مفكرين وساسة وعامة - لأهداف السياسة الخارجية تنطوى على قدر كبير من الأخلاقية والمثالية(٢). وقد عبر عن ذلك أحد الدبلوماسيين الأمريكيين البارزين فى الخمسينيات وهو جورج كينان بقوله : " لقد

---

(١) غالى وعيسى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٠.

(٢) أحمد وهبان ، مرجع سبق ذكره، ص ١٥.

كرس الأمريكيون أنفسهم - خلال حقبة ما قبل الحرب العالمية الثانية - لنشر الحلم الأمريكى بواقع عالمى سعيد ينعم بالتقدم والرفاهية والسلام، لقد كانوا يرون أن بالإمكان حل كافة المشكلات العالمية استناداً إلى مبادئ اتفاقية أو قانونية "[1].

ونظراً لما تقدم فقد كان الأمريكيون يحرصون على تقديم تبريرات أخلاقية لكافة تصرفاتهم فى البيئة الدولية، كذلك ففى الوقت الذى كان الأوروبيون يمزقون أحشاء بعضهم البعض فى بداية أيام الحرب العالمية الأولى راح الرئيس الأمريكى - آنذاك - وودرو ويلسون - فى ٨ سبتمبر عام ١٩١٤ - يوصى بنى شعبه بتخصيص يوم تقام فيه الصلوات لكى يعيد الله الوفاق بين الرجال والأمم [2].

وارتباطاً بمبادئها المتقدمة راحت الولايات المتحدة تعلن حيادها عندما اشتعل فتيل الحرب العالمية الأولى، غير أن أسباباً ثلاثة جعلت الأمريكيين يتخلون عن مبدأى العزلة وتجنب الأحلاف ويدخلون الحرب فى صف دول الوفاق بدءاً من أبريل عام ١٩١٧.

وتتمثل هذه الأسباب فى :

أ- شروع ألمانيا - منذ عام ١٩١٥ - فى شن حرب غواصات شعواء فى مواجهة السفن التجارية وسفن الركاب التابعة لدول الوفاق، وذلك بهدف فرض حصار اقتصادى على هذه الدول. ولم يكتف

---

(١) أنظر فى هذا الصدد :

- Kennan, George. F, American diplomacy : 1900 – 1950 , university of Chicago press, 1951. P. 64.

(٢) رينوفان، (١٩١٤-١٩٤٥)، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩.

الألمان بذلك وإنما راحوا بدءاً من عام ١٩١٧ يعلنون الولايات المتحدة بأن غواصاتهم سوف تدمر أية سفينة تمر فى بحر الشمال أو بحر المانش، أو بحر أيرلندا، أو الحوض الغربى من البحر المتوسط، وبذلك فقد امتدت حرب الغواصات لتشمل كذلك سفن الدول المحايدة، وفى إطار هذه الحرب أغرقت الغواصات الألمانية عشرات من السفن التجارية وسفن الركاب كان بعضها تابعاً لدول الوفاق، والبعض الآخر مملوكاً للمحايدين،وقد قتل على ظهر هذه السفن العشرات من المدنيين الأمريكيين كان أغلبهم على السفينة البريطانية لوزيتانيا التى أغرقت عام ١٩١٥، والسفينة الأمريكية فيجيلنتيا التى أغرقت فى ١٩ مارس عام ١٩١٧، وهى السفينة التى أعلن ويلسون على إثر إغراق الألمان لها دخول الولايات المتحدة الحرب. كما تجدر الإشارة إلى أن حرب الغواصات الألمانية قد تسببت فى شل عمليات تصدير السلع الأمريكية إلى كل من فرنسا وبريطانيا، الأمر الذى تسبب فى تخمة اقتصادية فى الموانئ الأمريكية، التى ضاقت بالبضائع نظراً لعدم قيام السفن بنقلها إلى وجهتها [١].

ب- أما السبب الثانى من وراء دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى فى صف دول الوفاق فقد تمثل فيما يعرف بقضية برقية زيمرمان[٢]، ومفاد هذه القضية أن زيمرمان مساعد وزير الخارجية الألمانى أرسل برقية إلى ممثل ألمانيا فى المكسيك كى يسلمها إلى

---

(١) أنظر بصدد حرب الغواصات، المرجع السابق، من ص ٧٨ إلى ص ٨١، وكذا :
- إداورد هدى بيوريج، وودرو ويلسون وسياسة توازن القوى، ترجمة عبد القادر يوسف، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤.

(٢) أنظر بصدد هذه القضية، عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٩.

حكومة الأخيرة، يدعوها من خلالها إلى الدخول فى تحـــالف مـــع ألمانيا إذا دخل الألمان حرباً ضد الولايات المتحـــدة، وذلـــك فـــى مقابل وعد ألمانى بحصول المكسيك على كاليفورنيا ونيومكســـيكو اللتين كانت الولايات المتحدة قد انتزعتهما من المكســـيكيين عـــام ١٨٤٨. وقد تمكنت المخابرات البريطانية من الاستيلاء على تلـــك البرقية وتسليمها إلى الولايات المتحدة، حيث راح ويلســـون يعلنـــها للرأى العام الأمريكى الذى أثاره ذلك التصرف الألمانى أيما أثاره.

جـ- أما السبب الثالث من وراء دخول الولايات المتحدة الحرب العالميـة الأولى إلى جانب دول الوفاق فيتمثل فى أن البنوك الأمريكية كـانت لها ديون كبيرة لدى كل من بريطانيا وفرنسا اللتين اســـتدانتا هـذه الديون لتمويل عملياتهما الحربية. وعلى ذلك فقد دخلـت الولايـات المتحدة الحرب إلى جانب تينك الدولتين ضماناً لأموالـــها وحفاظـاً على مصالحها [١]، وكل ذلك فضلاً عن الرابطة الخاصة التى كانت تربط الأمريكيين ببريطانيا تلك الدولة التى كانوا ينظر إليها أغلبـــهم باعتبارها الدولة الأم[٢].

وهكذا فارتباطاً بالأسباب السالفة الذكر راح الرئيـــس الأمريكـــى يعرض على الكونجرس فى ٢٠ مارس ١٩١٧ - وبعد يوم واحـــد مـــن غرق الباخرة فيجيلنتيا على يد الألمان- مشروعاً مؤداه دخول الولايـــات المتحدة الحـــرب فـــى صـــف دول الوفـــاق. وفـــى ٢ أبريـــل صـــوت

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) راجع بصدد ذلك :

- Louis , Roger W.M. & Bull , Hedley, the special relationship : Anglo American relations since 1954, Oxford university press , 1986, PP. 1-3.

الكونجرس - في اجتماع طارئ - على ذلك المشروع بالموافقة، لكي تدخل بذلك الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى. يبقى أن نشير إلى أن الرئيس ويلسون حرص في كلمته أمام الكونجرس على تقديم تبرير أخلاقي لدخول الولايات المتحدة الحرب، إذ راح يقول : " إن أهدافنا من الحرب ليست لها علاقة بمصالحنا، إن السعي إلى السلام العالمي هو مرادنا "[1].

جملة القول - إذاً - أن الولايات المتحدة بدخولها الحرب العالمية الأولى إنما تكون قد خرجت عن مبدأى العزلة وتجنب الأحلاف، وإن كانت قد حرصت على إظهار تمسكها بمبدأ أخلاقية أهداف السياسة الخارجية.

على أية حال فإننا سنعرض لأثر دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى على نتيجة تلك الحرب على إثر عرضنا للعامل الثاني الذي كان له أثر يعتد به على مجرى الحرب.

ثانياً : اندلاع الثورة البلشفية في روسيا (١٩١٧)[2] :

كانت روسيا قد شهدت في أعقاب هزيمتها من اليابان عام ١٩٠٥ اندلاع اضطرابات ثورية عنيفة قامت بها البروليتاريا (العمال والفلاحين) في مواجهة الحكم القيصري لأسرة رومانوف، غير أن قوات القيصر نيقولا الثاني تمكنت من إخماد هذه الاضطرابات تماماً بحلول عام

---

(١) أحمد وهبان ، العلاقات الأمريكية الأوروبية، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

(٢) راجع في هذا الصدد :

- Schulzinger, Robert D. Schulzinger, American diplomacy in the twentieth century , Oxford university press, 1984 , PP. 84 – 87.

١٩٠٧[1]. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ودخول روسيا الحرب بدأت مشاعر الحنق لدى الرعايا الروس تتصاعد، ويرتد ذلك إلى عدة أسباب أهمها :

١-تدهور مستويات المعيشة وانتشار الفقر واستشراء الفاقه في صفوف الكادحين الروس[2].

٢-فساد حكم القيصر نيقولا الثانى الذى كانت تسيطر عليه زوجته ألكسندرا، والتى كانت تخضع من حيث تفكيرها لراهب روسى فاسق فاجر داعر هو جريجورى راسبوتين، الذى استطاع إقناع الكثيرين وقتذاك بأنه رجل مبارك، وقادر على إيتاء المعجزات، وقد ظل راسبوتين يتحكم - عملاً - فى دفة الحكم الروسى إلى أن قتل شر قتلة على يد ديمترى رومانوف إبن عم القيصر، وبرغم موته فقد ظل فكره الشيطانى مسيطراً على حكم القيصر نيقولا الثانى[3].

٣-الخسائر الفادحة التى حلت بروسيا من جراء اشتراكها فى الحرب العالمية الأولى حيث فقد الروس خلال عامى ١٩١٥ ، ١٩١٦ زهاء ٣,٥ مليون جندى بين قتيل وجريح وأسير، فضلاً عن تدهور الاقتصاد الروسى، وتعاظم حجم الديون الروسية[4].

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : أفنيركورلين، ستانيسلاف تيوتيوكين، سقوط الإمبراطورية الروسية (١٩١٧)، ترجمة أسما حليم، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٨٩.

(٢) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢٥.

(٣) كورلين، تيوتيوكين، مرجع سبق ذكره، ص ٨٥، ٨٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٠.

ومهما يكن الأمر فإن الثورة قد اشتعلت فى روسيا مع بداية عـــام ١٩١٧ وكان يقودها ثلاثة أحزاب تعلن اعتناقها للاشتراكية وهى حـــزب المانشفيك (أى حزب الأقلية) وحـــزب الاشـــتراكيين الثوريـــن وحـــزب البولشفيك (أى حزب الأغلبية). وقد بدأت هذه الثورة فى مدينة بـــتروجراد حيث أضرب عمال المصانع، واندلعت المظاهرات العنيفـــة فـــى فـــبراير ١٩١٧، وسرعان ما انضم عشرات الآلاف مـــن الجنـــود الـــروس إلـــى صفوف المتظاهرين من العمال، وراح المتظـــاهرون يطـــالبون بالســـلام والخبز والحرية[1] رافعين شعارات تعبر عن مطالبهم هذه حـــال " تســـقط الحرب "، " يسقط الاستبداد"، " تحيا الجمهورية ".

وأمام عنف الثورة لم يكن أمام نيقولا الثانى سوى قبـــول تنازلـــه وابنه عن العرش لأخيه ميخائيل، وسرعان ما تم نفى القيصر مع أســـرته إلى سيبيريا، وتم تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة الأمير لفوف، وكان رئيســها الفعلى هو إسكندر كيرنسكى، أما القيصر الجديد ميخائيل فلـــم يـــبرح أن أعلن تخليه عن العرش بعد أن أدرك صورية اعتلائه للحكـــم، وســـيطرة كيرنسكى الفعلية على مقاليد الأمور فى روسيا، وسرعان مـــا راح حزبـــا المانشفيك والاشتراكيين الثوريين يعلنان تأييدهما لحكومة كيرنسكى برغـــم إعلانها استمرار روسيا فى الحرب، الأمر الذى أثـــار اســـتياء الحـــزب البلشفى ذلك الحزب الذى سرعان ما راح يستجمع قوته ويتأهب للوثـــوب إلى سدة الحكم، لا سيما بعد عودة زعيمه لينين من منفاه فـــى سويســـرا، وعودة أحد زعمائه البارزين وهو ستالين الذى كان مبعداً فـــى ســـيبريا، فضلاً عن عودة زعيم بلشفى ثالث عظيـــم الشـــأن إلـــى روســـيا وهـــو

---

(١) وسيم خالد، الاشتراكية، الشيوعية، الأوروبية، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤، من ص ١١٣ إلى ص ١١٥.

تروتسكى. وعلى أية حال فقد أخذ البلاشفة وعلى رأسهم لينين يعلنون اعتزامهم - فور وصولهم إلى الحكم - تأميم الأراضى، ومصادرة الاقطاعيات، وإخضاع إنتاج وتوزيع السلع لإشراف الحكومة، فى سبيل إعمال المبادئ الشيوعية (الماركسية) ، قاطبة داخل روسيا، كذلك فقد راح لينين يغير إسم حزبه من الحزب البلشفى إلى الحزب الشيوعى[1].

وبحلول الثانى من نوفمبر ١٩١٧ (٢٥ أكتوبر حسب التقويم الروسى وقتذاك) تمكن البلاشفة من توجيه ضربتهم التى مكثوا ردحاً طويلاً يدبرون أمرها ويعدون عدتها، فسقطت حكومة كيرنسكى كما تتساقط أوراق الخريف بهجوم الثوار الحمر على قصر الشتاء ببتروجراد، وراح لينين يقيم الدولة الروسية على هدى من المبادئ الماركسية[2].

وهكذا فقد سقطت – بثورة أبريل ١٩١٧ - أسرة رومانوف التى حكمت روسيا زهاء الثلثمائة عام، وأعلنت الجمهورية فى روسيا على إثر خلع آخر القياصرة وهو نيقولا الثانى، ثم لم يمض طويل وقت حتى دانت للبلاشفة - فى بداية نوفمبر ١٩١٧ - السيطرة على مقاليد الحكم فى الجمهورية الروسية الوليدة، التى راحوا يقيمونها استناداً إلى دعائم الشيوعية، ولم يكتف البلاشفة بذلك وإنما راحوا يفضحون على الملأ الاتفاقيات السرية التى كان القيصر قد عقدها مع دولتى الوفاق الكبيرتين (إنجلترا وفرنسا) وعلى رأسها اتفاقية سايكس - بيكو التى كانت تقضى بتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فى المنطقة العربية بين إنجلترا وفرنسا وروسيا.

---

(١) راجع فى هذا المضمون : المرجع السابق، من ص ١١٥، إلى ص ١١٩.

(٢) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢٧.

وفضلاً عن كل ما تقدم فقد أعلن لينين انسحاب روسيا من الحرب العالمية الأولى، واعتزامه توقيع صلح منفرد لروسيا مع ألمانيا، وبالفعل ففى ٣ مارس ١٩١٨ تم توقيع معاهدة برست ليتوفسك بين روسيا من جهة وكل من ألمانيا، والإمبراطورية النمساوية المجرية، وتركيا من جهة أخرى. وبمقتضى هذه المعاهدة تم إقرار الصلح بين روسيا والدول الثلاث فى مقابل تنازل روسيا عن جمهوريات البلطيق الثلاث (ليتوانيا - لاتفيا - إستونيا)، فضلاً عن جزء من روسيا البيضاء وبولندا الروسية، وفنلندا، كما تنازل الروس عن بعض الأقاليم لتركيا[١].

وهكذا فقد خرجت روسيا من الحرب العالمية الأولى على أثر ثورة البلاشفة فى نوفمبر ١٩١٧، الأمر الذى كان من شأنه النيل من قوة دول الوفاق فى هذه الحرب، غير أن القدر شاء أن يشد أزر هذه الدول بدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانبها فى ذات العام ١٩١٧.

أثر دخول الولايات المتحدة الحرب فى جانب دول الوفاق :

كانت الولايات المتحدة قد أعلنت الحرب على ألمانيا - كما سبق أن أشرنا - فى ٢ أبريل ١٩١٧، وعلى إثر ذلك تدفق فيض هائل من الذخيرة الأمريكية إلى أوروبا، كما أرسلت الولايات المتحدة مليونين من أفراد جيشها لشد أزر الجيوش الأنجلوفرنسية[٢]، وبعد أن كان الرئيس ويلسون ينادى فى عام ١٩١٦ بالسلام بدون نصر راح فى ٨ يناير ١٩١٨ يعلن أمام الكونجرس أربع عشرة نقطة تضمنت شروط الصلح

---

(١) راجع فى هذا المضمون : إدوارد هاللت كار، ثورة البلاشفة (١٩١٧- ١٩٢٣)، الجزء الثالث، ترجمة عبد الكريم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٥٠.

(٢) أيروين، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧.

التى يتعين الالتزام بها فى نهاية الحرب كما تضمنت هذه النقاط خريطة جديدة لأوروبا، فضلاً عن إنشاء منظمة دولية يكون هدفها حفظ السلم والأمن الدوليين غداة الحرب، وقد تمثلت هذه النقاط فى[1] :

١-إبرام معاهدات علنية وعدم استخدام الدبلوماسية السرية فى مفاوضات الدول مستقبلاً.

٢-إطلاق حرية الملاحة خارج المياه الإقليمية فى أزمنة السلم والحروب، إلا فى حالة إغلاق البحار تبعاً لترتيب دولى.

٣-إزالة جميع العوائق الاقتصادية بقدر الإمكان.

٤-تقديم ضمانات وافية لتخفيض تسلح الدول.

٥-تسوية المطالب الاستعمارية تسوية عادلة، والاهتمام بمصالح الشعوب عند النظر فى اختيار الحكومات التى يعهد إليها الإشراف على المستعمرات.

٦-جلاء الألمان عن جميع الأراضى الروسية، ومنح روسيا فرصة كاملة لترقية شئونها، وعلى الدول أن تتعهد بتقديم مساعدات لها.

٧-يجب أن تعود لبلجيكا سيادتها وحريتها كاملتين.

٨-يجب الجلاء عن جميع الأراضى الفرنسية، وعلى بروسيا أن تصلح ما أفسدته عام ١٨٧١.

٩- إعادة تخطيط الحدود بين إيطاليا والنمسا حسب قاعدة القومية أى مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصائرها.

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٧٤٧، ٧٤٨، راجع كذلك :
Schulzinger, Op. Cit, P 87 –88.

١٠- منح شعوب الإمبراطورية النمساوية المجرية الحكم الذاتى، ومنحها فرصة للعمل على ترقية نفسها.

١١- الجلاء عن أراضى رومانيا وصربيا والجبل الأسود، وإعطاء صربيا منفذاً إلى البحر، وتسوية علاقات الدول البلقانية بعضها ببعض فى ضوء الفكرة القومية (حق تقرير المصير).

١٢- يجب أن يكفل لجميع القوميات غير التركية فى الإمبراطورية العثمانية المجال لاستكمال استقلالها الذاتى، وأن يكون مضيق الدردنيل حرا على الدوام فى وجه جميع السفن.

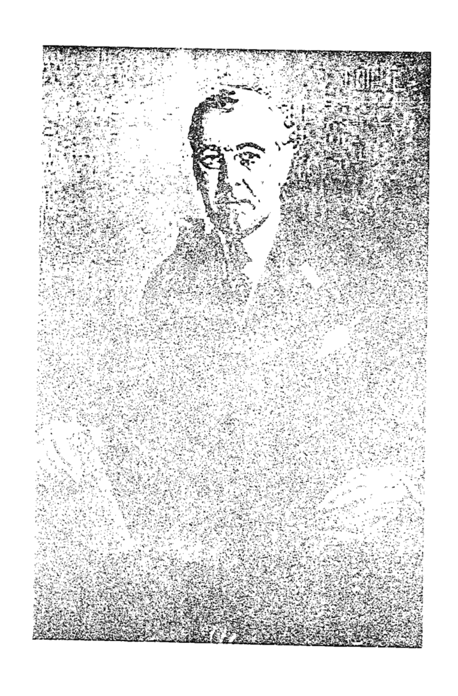
١٣- يجب أن تكون بولندا دولة مستقلة مع منحها منفذاً إلى البحر.

١٤- تكوين جمعية عامة من الأمم يرتبط أعضاؤها معاً طبقاً لعهود معينة، بقصد صيانة استقلال وسلامة أراضى الدول العظمى والدول الصغرى على السواء.

كانت تلكم هى المبادئ التى طرحها الرئيس الأمريكى ويلسون - مع بداية عام ١٩١٨ - بهدف أن تسير على هداها العلاقات بين الدول على إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى، وعلى ذلك فقد أعلنت هذه المبادئ والحرب لما تزل دائرة الرحى، على أية حال فإن دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب دول الوفاق جلب الانتصارات إلى صف تلك الدول، حيث كانت الولايات المتحدة قد ضمنت حياد اليابان فى الحرب بمقتضى معاهدة لانسينج - إيشى التى وقعتها الدولتان فى ٢ نوفمبر ١٩١٧، والتى اعترفت من خلالها الولايات المتحدة ببعض الحقوق اليابانية فى الصين[1].

---

(١) رينوفان (١٩١٤ - ١٩٤٥)، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٣.



الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون - صاحب النقاط الأربع عشرة



أما على صعيد العمليات العسكرية فإن القوات الأمريكيـــة التـــى تدفقت إلى أوروبا وقت الحرب وقوامها ٢ مليون رجل أبلت بلاء حســـناً إلى جانب الجيوش الفرنسية والإنجليزية التى كانت حتى بداية عام ١٩١٧ تترنح أمام جحافل الألمان. وقد أدى هذا الدور الأمريكى فى الحرب إلـــى تعضيد شوكة جيوش دول الوفاق على نحو جعل النصـــر حليـف هـذه الجيوش خلال أغلب المعارك التى دارت خلال عام ١٩١٨ ضد الألمـان، وعلى رأس هذه المعارك معركة مونديدييه التى انتهت فـــى ٨ أغســطس ١٩١٨ بانتصار ساحق لجيوش دول الوفاق،وهى المعركة التى على إثرها أدرك القائد العسكرى الألمانى لودندورف وكذا الإمبراطور فيلهلم الثـــانى أن ألمانيا قد خسرت الحرب، وعلى ذلك فإن استمرار برلين وفيينـــا فـــى الحرب - بعد تلك المعركة - إنما كان يستهدف إدخال الملل على الخصـم، ومحاولة جعله يقبل صلحاً غـــير مـــهين لدولتـــى الوســط مـــن خـــلال التفاوض[1].

وعلى أية حال فإنه لم يمض طويل وقت على معركة مونديدييـــه حتى هجم الجيش البريطانى فى ٢٩ سبتمبر على خط سجفريد فانـــهارت روح المقاومة الألمانية وتحطمت تحطيماً[2]، وعلى إثر ذلك راحــت كــل من بلغاريا وتركيا والنمسا تطلب الصلح من أعدائها، وظلت ألمانيا تقـــاتل وحدها، غير أن وزير الدفاع هندنبرج ورئيس أركانه لودنـــدروف راحــا يضغطان على الإمبراطور والمستشار الألمانيين كى يوافقا علــــى وقــف الحرب[3]. وسرعان ما راحت ألمانيا تتقدم للرئيس ويلسون بطلب للصلـح،

(١) المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٢) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٧.

(٣) المرجع السابق ذاته.

غير أن الرئيس الأمريكى حدد شروطاً قاسية للصلح قوامها ضرورة عقد الصلح على أساس النقاط الأربع عشرة والتى توجب تخلى ألمانيا عن الأقاليم التى كانت قد ضمتها إليها، وأن تترك الألزاس واللورين وتتنازل عن الأقاليم البولندية، وفضلاً عن ذلك فقد أكد ويلسون أنه لن يتفاوض إلا مع ممثلين حقيقيين للشعب الألمانى، وليس مع أولئك الذين يعتبرون أنفسهم سادته (يقصد فيلهلم الثانى)[1]. ولم يكن أمام الألمان الذين أنهكتهم الحرب سوى أن يقبلوا - فى النهاية وبعد تردد لم يدم طويلا شروط الصلح التى أملتها الولايات المتحدة عليهم، ففى ٢٧ أكتوبر ١٩١٨ راحت الحكومة الألمانية تبلغ الرئيس الأمريكى ويلسون موافقتها غير المشروطة على وقف إطلاق النار[2]، وإن كان الإمبراطور قد ظل جالساً على أريكة العرش حتى ذلك الوقت.

غير أن الولايات المتحدة أصرت على عدم التفاوض معه. بل وسرعان ما ثار الألمان ضد الإمبراطور محملين إياه المسئولية عما لاقوه من أهوال جرتها عليهم الحرب، كما حدث تمرد فى الاسطول الألمانى فى قناة كييل، الأمر الذى جعل الإمبراطور وولى عهده يلوذان بالفرار - فى ٩ نوفمبر - إلى هولندا، وأعلنت الجمهورية فى ألمانيا فى ذات اليوم [3].

وسرعان ما استولى اشتراكيون ألمان ينتمون إلى الطبقة الوسطى على الحكم، وفى اليوم التالى ١٠ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة الألمانية الجديدة قبول الهدنة التى بمقتضاها أكره الألمان على الجلاء عن كافة

---

(١) رينوفان (١٩١٤-١٩٤٥)، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٥، ١٣٦.
(٢) المرجع السابق، ص ١٣٨، ١٣٩.
(٣) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٧.

الأراضى التى فتحوها، وتسليم طائراتهم، ومدافعهم، وعتادهم، وعربات سكك حديدهم، والشطر الأكبر من أسطولهم. وفى الساعة الحادية عشرة من صباح ١١ نوفمبر ١٩١٨ سكت دوى مدافع الحرب العالمية الأولى(١).

وهكذا فقد سقط حكم أسرة الهوهنزولرن الألمانية، وأعلنت الجمهورية فى ألمانيا، وجاءت حكومة ألمانية جديدة سرعان ما أعلنت إذعانها لشروط دول الوفاق، فتم عقد الهدنة بين المتحاربين فى الحرب العالمية الأولى، لكى تنتهى تلك الحرب بعد أن حصدت أرواح ثمانية ملايين من البشر، وخلفت وراءها نحو ١٥ مليونا من العجزة والمشوهين، و٣٠ مليونا من الجرحى، وبلغت نفقاتها ١٢٠ مليار جنيه استرلينى ذهب، أى ما كان يوازى وقتذاك أكثر من مائة وعشرين ضعفا لميزانية إنجلترا، أو مائتى ضعف لميزانية فرنسا(٢).

تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى :

ما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى راح المنتصرون فيها يعدون العدة لعقد مؤتمرات للصلح مع المنهزمين، إنها المؤتمرات التى عمد من خلالها كل من جورج لويد (رئيس وزراء إنجلترا) وكليمنصو (رئيس وزراء فرنسا) والرئيس الأمريكى ودرو ويلسون إلى فرض إرادتهم على المنهزمين، وإجبارهم على الإذعان لكل ما يطلب منهم، مهما كان يمثل تعدياً على كرامتهم القومية، أياً كان الأمر فقد تم عقد الصلح من خلال عديد من مؤتمرات أظهرها مؤتمر فرساى، ومؤتمر سان جيرمان، ومؤتمر تريانون، ومؤتمر سيفر وفيما يلى نعرض بشئ من التفصيل لبعض هذه المؤتمرات :

---

(١)المرجع السابق ، ص ٥٣٨.
(٢)العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٣.

مؤتمر فرساى [١] :

عقد هذا المؤتمر بقصر فرساى فى باريس، وهـــو ذات القصـــر الذى كان الإمبراطور البروسى فيلهلم الأول قد نصب فيه إمبراطوراً على ألمانيا الموحدة عام ١٨٧١.

وقد بدأ مؤتمر فرساى أعماله فـــى ١٨ ينـــاير ١٩١٩، وخلالـــه عاملت الدول المنتصرة الألمان معاملة ملؤها المهانة، كما أجبرتهم علـــى الرضوخ لشروط صلح مجحفة بهم إلى أبعد مدى، حيث جردت ألمانيـــا - وكذا تركيا - من مستعمراتها، بحيث قســـمت هـــذه المســـتعمرات بيـــن المنتصرين الأوروبيين : إما كمستعمرات، وإما كمناطق تحت الانتـــداب، أما جمهورية ألمانيا الجديدة فقد قلصت أراضيها، ونزع سلاحها، وطولبت بتحمل المسئولية عن جميع الأضرار والخسائر التى حلت بالمنتصرين من جراء الحرب، كما ألقيت على عاتق الألمان تعويضات ثقيلة لم يكن بوســـع اقتصادهم الممزق أن يفى بها[٢].

وقد تم التوقيع على معاهدة فرساى فى ٢٨ يونيو ١٩١٩ أى فـــى العيد الخامس لحادث سراييفو، وعلى الرغم من قسوة شـــروط المعـــاهدة عليهم لم يكن أمام الألمان سوى الإذعان لها. وبمقتضى هـــذه المعـــاهدة فرض على ألمانيا ما يلى[٣] :

---

(١) راجع فى هذا الصدد :

_ Schulzinger, Op. Cit., PP. 104-119.

(٢) أيروين مرجع سبق ذكره، ص ٦٩.

(٣) راجع فى هذا المضمون : عمر عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ١٨١، ١٨٢ : وكذا العمرى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٠.

١-التنازل عن أجزاء من إقليمها الأصلى أظهرها الألـــزاس واللوريـــن، تينك المقاطعتان اللتان انتزعتهما فرنسا.

٢-فرضت على ألمانيا تعويضات قدرت بمائة وإثنيـــن وثلاثيـــن مليـــار مارك ذهب.

٣-تقليص قوة ألمانيا من خلال تحجيم عدد أفراد جيشها بما لا يزيد علـى مائة ألف عسكرى، وإلغاء التجنيد الإجبارى، وإجبار الجيش الألمــانى على عدم إمتلاك سلاح طيران، ولا أسلحة ثقيلة.

٤-احتلال الحلفاء منطقة الراين لمدة ١٥ عاماً ضمانـــاً لتنفيـذ الألمـان لالتزاماتهم، على أن تنسحب قوات الحلفاء تدريجيـــاً مـــن المنطقـــة، وبصورة جزئية على خمسة أعوام.

٥- نزع سلاح الضفة اليسرى لنهر الراين، وكذا منطقة أخرى تمتد على الضفة اليمنى لهذا النهر بطول ٥٠ كيلو مترا، تأميناً لسلامة فرنســـا وبلجيكا.

يبقى أن نشير إلى أن معاهدة فرساى كانت بمثابة وثيقـــة ميـــلاد عصبة الأمم، وهى المنظمة الدولية التى كان الأمريكى ويلسون قد نـــادى بإنشائها من خلال نقاطه الأربع عشرة، وكان هدف عصبـــة الأمـــم هـــو تحقيق الأمن الجماعى، ويقصد بالأمن الجماعى : تنظيم قـــانونى يحمـــل الجماعة الدولية مجتمعة مسئولية أمن كل عضو من أعضائها، وذلك عـن

طريق منظمة ذات طابع عالمى لا تقتصـــر عضويتـــها علـــى دول دون أخرى، ولا تعمل لحساب دول معينة فى مواجهة دول أخرى(١).

وقد تمثل أظهر أهداف عصبة الأمم فيما يلى (٢) :

١-ضمان السلم الدولى ومنع الحروب من خلال الدعوة إلـــى تخفيـــض التسلح، وفض المنازعات بالطرق السلمية، والوقوف - مـــن خـــلال مجلس العصبة - فى وجه الطرف المعتدى.

٢- تنظيم وتوثيق التعاون الدولـــى فـــى كافـــة الشـــئون الاقتصاديـــة والاجتماعية والعلمية والثقافية.. وغيرها.

٣-الإشراف على نظام الانتداب من خلال سلطة العصبة فى تلقى تقارير دورية من الدول المنتدبة بصدد تطور أوضاع الأقـــاليم الخاضعـــة للانتداب، وذلك ضماناً لحسن قيام تلك الدول بواجباتها.

٤-حماية حقوق الأقليات.

وفى سبيل القيام بأهدافها على خير وجه أنشـــأت العصبـــة عـــدة أجهزة أهمها :

مجلس العصبة، والجمعية العامة، والأمانة العامة(٣).

---

(١) طه بدوى، ليلى مرسى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٩.

(٢) على صادق أبو هيف، القانون الدولى العام، الطبعة السابعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٥، من ص ٦٣٤ إلى ص ٦٤٠.

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٣٣، ٦٣٤.

معاهدة سان جيرمان :

لقد طوحت عاصفة الهزيمة الهوجاء بأسرة الهابسبرج النمساوية وكذا بجيشها وإمبراطوريتها، وأعلن المجريون انفصالهم عنها، وبمقتضى معاهدة سان جيرمان - فى سبتمبر ١٩١٩ - لم يبق من إمبراطورية الهابسبرج سوى جمهورية النمسا الصغيرة التى بلغ سكانها وقتذاك ستة ملايين نسمة[١]، فى حين تم - بمقتضى تلك المعاهدة - اقتطاع زهاء ثلاثة أرباع الإمبراطورية النمساوية لحساب عدة دول جديدة وأخرى قديمة، وقد تمثلت الدول الجديدة التى استفادت من تقسيم إمبراطورية الهابسبرج فى : يوغسلافيا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا، أما الدول القديمة التى غنمت من وراء ذلك التقسيم فقد تمثلت فى كل من رومانيا وإيطاليا[٢].

وفضلاً عما تقدم فقد منعت الجمهورية النمساوية الصغيرة - بمقتضى معاهدة سان جيرمان - من الاتحاد مع ألمانيا إلا إذا صدقت عصبة الأمم بالإجماع على هذا الاتحاد.

وكان ذلك هو مآل إمبراطورية الهابسبرج، تلك الإمبراطورية التى حكمت دهراً طويلاً خمسة عشر جنساً، وبسطت رواق الأمن، وفرضت سطوة القانون على وسط أوروبا [٣].

معاهدة تريانون :

وقد أبرمت هذه المعاهدة فى ٤ يونيو ١٩٢٠ حيث بمقتضاها سلخت سلوفاكيا عن المجر بحيث انضم السلوفاك إلى التشيك مشكلين

---

(١) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٦٣.

(٢) أنظر فى هذا المضمون : ممدوح منصور، مرجع سبق ذكره.

(٣) فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٦٥.

دولة تشيكوسلوفاكيا، كما ضمت رومانيا ترنسلفانيا التى كانت قد انتزعتها من المجر عقب إعلان الهدنة، كذلك فقد سلخت - بمقتضى ذات المعاهدة - ولاية كرواتيا عن المجر، حيث أضحت هذه الولاية جزءاً من مملكة يوغسلافيا، وهى المملكة الجديدة التى ظهرت بمقتضى تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى، وضمت كلا من الصرب والكروات والسلوفنيين[1].

وهكذا فقد ظهرت دول جديدة فى البلقان كما تغيرت خرائط الدول البلقانية الأخرى كنتيجة لتفتت كل من الإمبراطورية النمساوية المجرية والإمبراطورية العثمانية، وبذلك ظهر إلى حيز الوجود اصطلاح البلقنة ليعبر عن تفتت الإمبراطوريات الكبرى إلى مجموعة من الوحدات السياسية الصغيرة[2]، أو عن تفتت الدول عموماً.

معاهدة سيفر وسقوط الخلافة العثمانية :

وقد وقعت فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠، وبمقتضى هذه المعاهدة أجبرت تركيا على ما يلى [3] :

١-التنازل عن سيادتها على الشعوب غير التركية التى كانت خاضعة لسيطرتها، والاعتراف بالدول الجديدة الناشئة فى ولاياتها السابقة والتى هى مصر، والسودان، وقبرص.

٢-الاعتراف بالحماية الفرنسية على المغرب وتونس.

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦٥.
(٢) ممدوح منصور ، مرجع سبق ذكره.
(٣) المرجع السابق.

٣-التنازل عن بعض جزر بحر إيجة لليونان.

٤-التعهد بتقديم تعويضات مالية لرعاياها السابقين من غير الترك.

وهكذا فإن الترك أبعدوا من ضفة قناة السويس، وطردوا من العراق وفلسطين وسوريا، وألقى الأسطول البريطاني مراسيه في الدردنيل، وأضحى السلطان محمد وحيد الدين دمية في أيدي الساسة الإنجليز، وفضلاً عن كل ذلك فها هو العلم اليوناني القبيح والمزدرى من جانب كل تركي يرفرف على أزمير التركية، وإزاء كل ذلك كان الاستياء يعم الأتراك من جراء ما فرض عليهم من وضع مزر بمقتضى معاهدة سيفر، الأمر الذى جعلهم يمتشقون الحسام دفاعاً عن كرامتهم القومية التي امتهنت من جراء تلك المعاهدة، وقد تزعم النضال التركي، وقتذاك، أحد العسكريين ويدعى مصطفى كمال، الذى كان فى الثامنة والثلاثين من عمره، وكان معروفاً بشراسة طباعه، وقسوة قلبه، وقوة بنيته، وصلابة إرادته، فضلاً عن عربدته الفظة، ودعاراته العنيفة، ونفاذ بصره، وجلاء فكره، واستقلال رأيه، وموهبته فى الزعامة[١]. وفى ٢٤ أبريل ١٩٢٠ راح مصطفى كمال يؤلف حكومة تحت رئاسته متخذاً من أنقرة عاصمة له، ومعلناً فى ذات الوقت استقلاله عن السلطان العثماني، ثم سرعان ما أعد جيشاً لا يستهان به وراح يشن حرباً شعواء على اليونانيين رافعاً شعار (تركيا للترك)، وفى ٢٦ أغسطس ١٩٢٢ كان مصطفى كمال قد طرد اليونانيين من أزمير شر طردة، ودخلت جيوشه المدينة وأشعلت فيها النار، وذبحت كل من صادفها من اليونانيين[٢].

---

(١) أنظر فى هذا المضمون : فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٨٠ ، ٥٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٨٣.

وفى أول نوفمبر ١٩٢٢ راح مصطفى كمال يعلن إلغاء الخلافة العثمانية، إذ كان يرى : (أن آخر الخلفاء الحقيقيين اغتيل سنة ٩٢٤ م) وكذا : " إن السيادة تنال بالقوة والبطش والعنف، فبالعنف نال خلفاء عثمان حق حكم الأمة التركية، وبالقوة حافظوا على سلطانهم أكثر من ستة قرون، وقد ثارت الأمة الآن على هؤلاء المغتصبين، ووضعتهم فى مكانهم الصحيح، وتسلمت مقاليد السلطان والسيادة ".

وقد راح مصطفى كمال يقيم الدولة الجديدة على أسس غربية فألزم النساء برفع النقاب، وترجم القرآن (•) إلى التركية، وألغى تعدد الزوجات، وأدخل الحروف اللاتينية فى الكتابة التركية .. إلخ[1].

وهكذا فقد سقط حكم آل عثمان في تركيا، لكى يلحق بحكم آل رومانوف فى روسيا، وحكم آل هوهنزولرن فى ألمانيا، وحكم آل هابسبرج فى النمسا.

يبقى أن نشير إلى أنه بانتصار مصطفى كمال " أتاتورك " على اليونان، وامتلاكه مقاليد الأمور فى تركيا، راح يعقد مع الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى معاهدة جديدة جبت معاهدة سيفر، وهى معاهدة لوازن لعام ١٩٢٣، والتى بمقتضاها أضحت تركيا دولة مستقلة تتمتع بكامل حدودها.

وجملة القول فى شأن تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى أن هذه التسويات جاءت إلى حد كبير متماشية مع النقاط الأربع عشرة للرئيس الأمريكى ودرو ويلسون.

(•) الكريم.

(١) راجع فى هذا المضمون : المرجع السابق، ص ٥٨٥، ٥٨٦.

ويلاحظ أنه فى الوقت الذى كان يتشدق الأمريكيون والإنجليز فيه بمبدأ حق تقرير المصير مطالبين بإعماله بصدد الشعوب الخاضعة لكل من الإمبراطورية النمساوية والإمبراطورية العثمانية فإنهم نكصوا على أعقابهم ولم يعملوا هذا المبدأ على الشعوب الخاضعة لنيرهم، فلا الإنجليز أعملوه لصالح الشعوب التى كانوا يستعمرونها، ولا الأمريكيون أعملوه لصالح الهنود الحمر على سبيل المثال، كما تجدر الإشارة إلى أن الكونجرس الأمريكى قد رفض انضمام الولايات المتحدة إلى عصبة الأمم على الرغم من أن الداعى إلى إنشاء هذه المنظمة كان الرئيس الأمريكى، وعلى ذلك فسرعان ما عادت الولايات المتحدة إلى التمسك بأهداب مبدأى العزلة وتجنب الأحلاف على إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى وتسوياتها.

الفصل الثامن (*)

فترة ما بين الحربين العالميتين

ومقدمات الحرب العالمية الثانية

(إذا لم نستطع أن نهزم العالم فإن علينا أن نجده معنا

إلى الهاوية، إننا لن نستسلم هذه المرة إن أحداً لن

يكون بمقدوره أن يقول أنه هزم ألمانيا وليعلم الجميع أن

ما حدث عام ١٩١٨ لن يتكرر)

أودلف هتلر

زعيم ألمانيا النازية

(*) كتب هذا الفصل : دكتور/ ممدوح منصور.

فترة ما بين الحربين العالميتين ومقدمات الحرب العالمية الثانية :

شهدت السنوات العشر التى أعقبت انتهاء الحرب العالمية الأولى استقراراً نسبياً للأوضاع فى أوروبا، بفضل جهود عصبة الأمم فى احتواء المنازعات الدولية، وكذا الجهود التى استهدفت منع استخدام القوة العسكرية المسلحة فى العلاقات الدولية (ميثاق لوكارنو عام ١٩٢٥ بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا، وميثاق بريان - كيلوج عام ١٩٢٨)، وكذلك تلك الجهود التى بذلت فى مجال ضبط التسلح.

غير أنه مع حلول عقد الثلاثينيات من القرن العشرين أخذت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية تضطرب فى أوروبا مما أدى إلى تزايد حدة التوتر الدولى. وقد تمثلت أبرز تلك التطورات فيما يلى :

أولاً : الأزمة الاقتصادية العالمية :

بدأت هذه الأزمة عام ١٩٢٩ حيث هبطت أسعار الأسهم المالية فى بورصة نيويورك Wall Streetوساد جو من التشاؤم فى إمكانية حدوث انتعاش اقتصادى، مما أدى إلى انتشار حالة من الركود أو الكساد الشديد فى الولايات المتحدة ثم ما لبثت أن انتقلت إلى دول أوروبا حيث انخفض حجم الإنتاج الصناعى بسبب عدم القدرة على تصريف المنتجات، كما انخفضت الأسعار وتضاءل حجم التجارة العالمية، وقد دفعت حالة الكساد هذه ببعض الدول الكبرى كاليابان وإيطاليا وألمانيا إلى شن حروب توسعية بهدف فتح أسواق جديدة لتصريف فائض الإنتاج، كما اهتمت بتشجيع الصناعات الحربية بهدف خلق فرص عمل جديدة مما أدى إلى

تزايد معدلات سباق التسلح، كذلك فقد لجأت بعض هذه الدول إلى الأخذ بنظام التجنيد الإجبارى على نحو أدى إلى تزايد القدرات العسكرية للدول الكبرى مما انعكس فى صورة تزايد حدة التوتر الدولى.

ثانياً : تزايد قوة النظم الدكتاتورية الشمولية الراغبة فى تعديل الأوضاع الدولية التى خلفتها تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى :

وقد كان من أبرز هذه النظم الشمولية ما يلى :

١- النظام البلشفى فى روسيا السوفيتية :

وقد سيطر هذا النظام الشيوعى على مقاليد الأمور منذ ثورة ١٩١٧، وعمل على إقامة نظام شمولى يعتنق الإيديولوجية الماركسية - اللينينية مستهدفاً تنظيم المجتمع السوفيتى استناداً إليها.

ومع نجاح السوفييت فى تثبيت دعائم نظامهم داخلياً بدءوا يتطلعون إلى نشر الشيوعية على المستوى العالمى، وتحطيم جميع النظم الرأسمالية باعتبارها معادية لهم من خلال اللجوء إلى أساليب الدعاية، ودعم الأحزاب الشيوعية فى الدول الأخرى ومساندة الحركات العمالية المناوئة للحكومات ذات النزعة البرجوازية.

٢- النظام الفاشى فى إيطاليا :

حيث كان بنيتو موسولينى قد نجح مع أتباعه من أنصار الحركة الفاشية فى إقامة الحزب الفاشى عام ١٩٢١، ثم ما لبثت أن قام بالزحف

على روما عام ١٩٢٢ حيث استطاع أن يحصل على موافقة الملك فيكتور إيمانويل على تكليفه بتشكيل الوزارة.

وخلال سنوات قليلة نجح موسولينى فى تركيز كافة السلطات فى يده حيث أصبح يعرف بالقائد أو الزعيم (الدوتشى IL Duce). وقد دعا الفاشيون إلى تنظيم الدولة على أساس نقابى، كما عملوا على دعم القوة العسكرية الإيطالية، ثم بدأ موسولينى يعلن عن ضرورة إعادة النظر فى تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى لصالح إيطاليا وبعض قوى الوسط، كما عمد بالفعل إلى ضم بعض المناطق والأقاليم إلى إيطاليا.

٣- النظام النازى فى ألمانيا :

أدى تردى الأوضاع الاقتصادية فى ألمانيا فى نهاية العشرينيات وأوائل الثلاثينيات إلى إتاحة المجال أمام الحزب النازى بزعامة أدولف هتلر إلى الوصول إلى الحكم عام ١٩٣٣. وقد تمثلت أبرز مبادئ ذلك الحزب فى بعث الأمة الألمانية وتأمين مجالها الحيوى، وإحياء مجدها الحربى، وطرد الأجانب، ونبذ معاهدة فرساى، وتوجيه اهتمام الدولة صوب الذين ينحدرون من أصول عرقية جرمانية (الجنس الآرى باعتباره أرقى الأجناس من وجهة نظر الفلسفة النازية)، وتأميم المشروعات الكبرى.

وما أن نجح هتلر فى فرض هيمنته حتى بدأ فى سحق معارضيه ومطاردة الشيوعيين واليهود من خلال أساليب العنف، كما فرض نظام الحزب الواحد وعمل على تركيز كافة سلطات الدولة فى يده فتولى

منصب رئيس الجمهورية بعد وفاة الرئيس هيندنبرج عام ١٩٣٤، وأصبح هتلر يعرف منذ ذلك الحين بالزعيم أو الفوهور Fuhere.

٤- نظام الجنرال فرانكو فى إسبانيا :

حيث كان الجنرال فرانشيسكو فرانكو قد نجح فى القيام بتمرد ضد الحكومة الإسبانية عام ١٩٣٦، وقد أدى ذلك إلى اشتعال الحرب الأهلية بين أنصار فرانكو وبين الحكومة، والتى كانت تساندها القوى الشيوعية ويدعمها الاتحاد السوفيتى.

وقد استمرت الحرب الأهلية الإسبانية لمدة ثلاث سنوات حتى استطاع أنصار فرانكو (بمساندة إيطاليا وألمانيا) أن يسيطروا على مقاليد الحكم فى إسبانيا عام ١٩٣٩.

وقد أسس فرانكو حكومة دكتاتورية شمولية وأصبح يعرف بالجوديللو وأعلن عن تبنيه سياسة خارجية مستقلة عن الفاشية والنازية، وإن لم يخف عداءه للاتحاد السوفيتى.

ثالثاً : غلبة النزعات التوسعية على السياسات الخارجية للدول الكبرى :

وقد تمثلت تلك النزعات التوسعية فى :

١- التوسع اليابانى على حساب الأقاليم الصينية (منشوريا) عام ١٩٣١:

فقد قرر الساسة اليابانيون أن فى التوسع الاستعمارى الحل لمشكلتى تزايد الضغط السكانى فى اليابان، وصعوبة تصريف فائض

الإنتاج الصناعى. وقد اتخذت اليابان من قرار المقاطعة الصينية للمنتجات اليابانية وكذلك من بعض المناوشات الحدودية ذريعة لمهاجمة الصين وغزو إقليم منشوريا، وأعلنت عام ١٩٣٢ قيام دولة مستقلة فيه موالية لليابان باسم منشوكو، وعلى الرغم من اتخاذ عصبة الأمم قرارا يدين العدوان اليابانى فإن اليابان لم تحفل بقرار العصبة بل اعلنت انسحابها من المنظمة. وقد استمرت اليابان فى غزو الأقاليم الصينية الداخلية حتى استطاعت بحلول عام ١٩٣٣ أن تحتل ربع مساحة الصين. فضلاً عن جميع موانيها البحرية. وقد أدت هذه الأزمة إلى إظهار مدى عجز عصبة الأمم عن التصدى للعدوان أو ردع المعتدين، مما كان بمثابة الضوء الأخضر لبقية الدول الأخرى الساعية إلى تعديل الأوضاع الدولية القائمة إلى تبنى سياسات التوسع الإقليمى.

٢- الغزو الإيطالى للحبشة عام ١٩٣٤ :

حذت إيطاليا حذو اليابان حيث بدأت تتطلع إلى التوسع الاستعمارى خارج أوروبا، فقد كان عدم حصول إيطاليا على أى من المستعمرات الألمانية فى إطار تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى من العوامل المحبطة للإيطاليين، ومن هنا فقد سعى موسولينى إلى إحياء الأمجاد الإيطالية مرة أخرى،وبناء مجده الشخصى من خلال البحث عن مجال حيوى وتحقيق أهدافه الاستعمارية فى أفريقيا. وقد انطلق الإيطاليون من الأراضى الإرتيرية والصومالية التى كانت خاضعة للنفوذ الإيطالى آنذاك – فغزوا الحبشة وقاموا بتنصيب ملك إيطاليا إمبراطوراً على الحبشة عام ١٩٣٦. وعلى الرغم من إدانة العصبة لهذا الغزو فإن مقرراتها لم تنفذ بصورة كاملة مما أفقدها أية فعالية فى ردع

المعتدى، بل إن العصبة تراجعت فى النهاية عن قراراتها بفرض عقوبات ضد إيطاليا.

وعلى الرغم من هذه التطورات المتلاحقة من جانب القوى الساعية إلى قلب الأوضاع الدولية القائمة فقد وقفت بقية القوى الكبرى الراغبة فى الإبقاء على هذه الأوضاع موقف المتفرج من تلك التحركات التوسعية.

فقد وقفت الولايات المتحدة حبيسة سياسة العزلة التى فرضتها على نفسها، والتى عادت إلى الالتزام بها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

أما بريطانيا وفرنسا فقد ظلتا متعلقتين بأهداف نظام الأمن الجماعى برغم ثبوت عدم فعاليته فلم تقوما بأى تحرك إيجابى ملموس للتصدى لهذه التهديدات النازية والفاشية، تحت ستار الرغبة فى الحفاظ على السلم الدولى من خلال تبنى ما عرف بسياسة التهدئة Policy of Appeasement، والتى قوامها الحيلولة دون مزيد من التصعيد لحدة الصراع مع الدكتاتوريات الشمولية المتنامية، على أمل أن تقنع هذه الأخيرة بما حققته من مكاسب إقليمية.

ومن هذا المنطلق فقد آثرت الدولتان اللجوء إلى سياسة التفاهم والمهادنة، وقد كان من بين الدوافع وراء انتهاج بريطانيا وفرنسا لهذه السياسة ما يلى :

أ) معارضة الرأى العام فى بريطانيا آنذاك لفكرة الحرب نتيجة التخوف من ردود فعل هتلر.

ب) عدم اكتمال الاستعدادات العسكرية الكفيلة بالتصدى لقوة كل من إيطاليا وألمانيا.

جـ) قناعة فرنسا بأن تحصيناتها العسكرية على حدودها مع ألمانيا والمتمثلة فى خط ماجينو ستحول دون نجاح أى غزو من جانب ألمانيا للأراضى الفرنسية.

د) اقتناع كل من بريطانيا وفرنسا أن المشكلات الاقتصادية داخل ألمانيا وإيطاليا ستضطرهما إلى الإحجام عن الدخول فى حرب.

أما الاتحاد السوفيتى فقد كان يتحين الفرص لتعديل الوضع القائم الذى خلفته مقررات فرساى التى لم يشارك فى صياغتها، والتى حرم تبعاً لذلك من المشاركة فى اقتسام غنائمها، فقد كان السوفييت قد انتهوا من ترتيب أوضاعهم الداخلية وبدءوا يتطلعون إلى استعادة مكانتهم الدولية بين مصاف القوى الكبرى.

٣- التوسع النازى الهتلرى فى أوروبا عام ١٩٣٨ :

إزاء هذا الموقف المتخاذل من جانب القوى الديمقراطية الأوروبية، والمتمثل فى انتهاجها لسياسة المهادنة لم يجد هتلر بدوره ما يثنيه عن التوسع فى أوروبا، وقد تمثلت التوسعات الهتلرية فى :

أ- ضم النمسا :

فاستناداً إلى فكرة الأنشلوس Anschluss الداعية إلى تحقيق الوحدة بين ألمانيا والنمسا شرع هتلر فى ضم النمسا بعد أن كان قد نجح فى إسقاط حكومة المستشار النمساوى شوشنيج، وإحلال آرثر إنكوارت

محله، وهو دمية نازية لم يكن له من دور سوى دعوة ألمانيـــا لاحتـــلال النمسا تحت ستار تحقيق الوحدة بين الدولتين.

ب- احتلال إقليم السوديت فى تشيكوسلوفاكيا :

ففى أعقاب نجاح هتلر فى ضم النمسا أعلن أن الألمان الســـوديت يرزحون تحت طغيان الحكومة التشيكية، وأن ألمانيا سوف تهب لحمايتـــهم وقد كشفت تلك التصريحات عن نوايا هتلر تجـــاه تشيكوســـلوفاكيا. ولقـــد أثارت تلك التطورات موضوع المساندة الفرنسية لتشيكوســـلوفاكيا (علـــى اعتبار أن فرنسا كانت قد تعهدت بضمان سلامة الأراضى التشيكية).

وقد سعت فرنسا بالفعل إلى الوفاء بتعهداتـــها، غـــير أن تراجـــع بريطانيا عن مساندة موقف فرنسا قد حال فى نهاية الأمـــر دون إمكانيـــة وفاء فرنسا بهذه التعهدات التى ذهبت أدراج الرياح.

فقد كان تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا آنذاك لا يـــزال متعلقـــاً بخيوط واهية من الأمل فى إمكانية احتواء الموقف حيث أعلن أنه علـــى استعداد لمقابلة هتلر شخصياً ثم سرعان ما بادر بمقابلة هتلر فعـــلاً. وقـــد أكدت هذه الزيارة أن الغزو الألمانى لتشيكوسلوفاكيا أمر وشيك الوقـــوع، ومن هنا فقد طالبت بريطانيا وفرنسا الحكومة التشيكية بالرضوخ لمطـــالب هتلر المتمثلة فى منح الألمان السوديت حق تقريـــر المصـــير، والقبـــول بالحدود الألمانية التشيكية الجديدة، كما قامتا بتحذير تشيكوسلوفاكيا مـــن أن رفضها التنازل لألمانيا عن كافة الأقاليم التى يتحـــدث ســـكانها الألمانيـــة سوف يترتب عليه عدم حصولها على أية مساندة من جانبهما.

وقد حاولت الحكومة التشيكية الثبات على موقفها الرافض للخضوع لهذه المطالب التوسعية الألمانية مما أدى إلى تصاعد حدة الأزمة.

وفى هذا الإطار رأى تشمبرلين أن يلقى بالسهم الأخير فى جعبته بالدعوة إلى عقد مؤتمر بين قادة الدول الأربع الكبرى (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا). وقد أيد موسولينى هذا الاقتراح البريطانى فوافق عليه هتلر، وبالفعل تم عقد هذا المؤتمر (مؤتمر ميونيخ) فى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٨، وحضره هتلر وموسولينى وتشمبرلين ودالادييه (رئيس وزراء فرنسا). وخلال هذا المؤتمر الذى لم يستغرق سوى بعض ساعات تم الاتفاق على الاستجابة لمطالب هتلر، وبذلك فقدت تشيكوسلوفاكيا ما يقرب من ربع مساحتها وأكثر من خمسة ملايين من سكانها بمقتضى مقررات هذا المؤتمر الذى لم تشارك فيه.

وهكذا عاد تشمبرلين إلى لندن فى أعقاب مؤتمر ميونيخ وقد اقتنع بأن نتائج هذا المؤتمر ستؤدى إلى تجنب قيام الحرب، غير أن تداعيات الأحداث سرعان ما كشفت عن أن سياسة التهدئة ليست هى الوسيلة المثلى للتعامل مع هتلر، إذ أنها كشفت عن أن الاستجابة لمطالب هتلر وأطماعه لم تسفر سوى عن تطلعه إلى تحقيق المزيد من المكاسب الإقليمية، وقد علق ونستون تشرشل – وكان من معارضى سياسة التهدئة آنذاك – على نتائج مؤتمر ميونيخ بقوله : " لقد كان على بريطانيا وفرنسا أن تختارا بين الحرب وبين العار، ولقد اختارتا العار، ومع ذلك فستقتحم الحرب نفسها عليهما لا محالة ".

وبالفعل فقد أثبتت الأحداث صدق نبوءة تشرشل إذ لم تسفر مقررات مؤتمر ميونيخ سوى عن تأجيل الحرب لمدة بضعة شهور ليعود هتلر من جديد – فى مارس ١٩٣٩ – إلى المطالبة بضم منطقتى بوهيميا ومورافيا التشيكيتين لألمانيا باعتبارهما تقعان فى نطاق مجالها الحيوى.

وفى هذه الأثناء قامت إيطاليا بدورها بضم ألبانيا إليها فى أبريل ١٩٣٩، وقد أدركت بريطانيا وفرنسا آنذاك استحالة الاستمرار فى انتهاج نفس السياسة لعدم جدواها فأعلنتا تحولهما عنها إلى سياسة المواجهة رافعتى شعار " No Peace With The Dictators " وبالتالى أخذتا تقدمان الضمانات للدول المعرضة للتهديد من جانب ألمانيا وإيطاليا.

وبينما كان هتلر يوالى فتوحاته وغزواته على المسرح الأوروبى راح يعمل – من جانب آخر – على دعم موقفه الدبلوماسى، حيث تم الإعلان عن قيام ما عرف بمحور روما – برلين Rome – Berlin Axis، وذلك بعد توقيع ألمانيا وإيطاليا على المحالفة التى عرفت بميثاق الصلب Pact of Steel فى ٢٢ مايو ١٩٣٩، وقد نصت المادة الثالثة من هذه المحالفة على التزام الدولتين بتقديم المساعدة المتبادلة فى حالة دخول أى منهما الحرب.

ومن ناحية أخرى عمد هتلر إلى تأمين جبهته الشرقية فسعى إلى التقارب مع الاتحاد السوفيتى حيث نجح فعلاً فى إقناع ستالين بالتوقيع على معاهدة عدم اعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتى فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩. ويرى البعض أن إبرام السوفييت لميثاق عدم الاعتداء مع ألمانيا – بما كان ينطوى عليه ذلك من إتاحة المجال أمام هذه الأخيرة للتوسع غرباً – قد جاء رداً على انتهاج دول الغرب سياسة التهدئة فى مواجهة



نيفيل تشمبرلين – رئيس الوزراء البريطانى



صاحب سياسة المهادنة (التهدئة)



السيرونستون تشرشل – رئيس الوزراء البريطانى



هتلر ورضوخها لمطالبه خلال توسعه جهة الشرق ظناً منها أن ذلك سوف يصرف أنظار هتلر عنها، ويحمله على التوسع جهة الشرق أى صوب الاتحاد السوفيتى، وبذا تكون الدول الأوروبية الغربية قد نجحت فى أن تضرب أعداءها من الشيوعيين والنازيين ببعضهما البعض.

وفى أعقاب إبرام ميثاق عدم الاعتداء الألمانى - السوفيتى بادر هتلر بغزو بولندا فى أول سبتمبر ١٩٣٩، حيث بدأ باحتلال ميناء دانزيج على بحر البلطيق، فالممر البولندى، وليكتسح بولندا بعد ذلك بمعاونة السوفييت الذين أطبقوا عليها من جهة الشرق.

وإزاء تلك التطورات المتلاحقة لم تجد بريطانيا وفرنسا مناصاً من الإعلان عن وقوفهما إلى جانب بولندا، وبالتالى أعلنتا الحرب على ألمانيا فى أول سبتمبر ١٩٣٩.

مصادر الفصل

اعتمدنا فى هذا الفصل على المراجع التالية :

(١) فيشر، هـ.أ.ل. تاريخ أوروبا فى العصر الحديث (دار المعـــارف، القاهرة، ١٩٨٤).

(٢) د. عبد الحميد البطريق، التيارات السياســية المعــاصرة (المركــز العربى للبحث والنشر، القاهرة، ١٩٨٢).

وكذا على المراجع التالية :

- Duroselle , J. B., Histoire Diplomatique de 1919 a nos Jours (Dalloz , Paris , 1975).
- Gibbons , S.R. A Handbook of Modern History (Longman, London 1986).
- Perry , K., Modern European History (W. H. Allen , London , 1976).
- Renouvin, P. Histoire des Relations Internationals , Vol. 8 (Librairie Hachette , Paris, 1958).
- Viault, B. S., Modern European History (Mc Graw – Hill, Inc., New York, 1990).

الفصل التاسع (*)

الحرب العالمية الثانية

(١٩٣٩ - ١٩٤٥)

(ماهى أوربا اليوم؟! إنها كومة من الحطام، ومقبرة للموتى، وأرض خصبة للطاعون والكراهية)

من خطاب لتشرشل
فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية

(*) كتب هذا الفصل الدكتور/ ممدوح منصور.



الحرب العالمية الثانية:

بدأت الحرب العالمية الثانيــة فــى أول ســبتمبر ١٩٣٩، حيــن اجتاحت الجيوش الألمانية الأراضى البولندية مدعية حقها فــى الســيطرة على الممر البولندى وميناء دانزايج (جدانســك باللغــة البولنديــة)، ثــم سيطرتها على العاصمة البولندية وارسو. وقد استهدف هتلر مــن غــزوه لبولندا أن يربط بروسيا الشرقية بألمانيا محققاً بذلك ما عــرف بالمجــال الحيوى لألمانيا.

وتجدر الإشارة إلى أن هتلر حاول استمالة بريطانيا لتأييد توسعاته (عن طرق وعوده بالتخلى عن مطالبــه فــى ممتلكــات الإمبراطوريــة البريطانية فيما وراء البحار)، إلا أن بريطانيا أعلنت مســاندتها لبولنــدا، وهددت بإعلان الحرب على ألمانيا فى حالة عدم انسحابها من الأراضــى البولندية.

وعلى الرغم من تردد فرنسا فى التدخل بسبب تخوفها من القــوة الألمانية، إلا أنها قدرت ضرورة اتخاذ موقف إيجابى فى مواجهة الغــزو الألمانى لبولندا، فقدمت إنذاراً مشابها للإنذار البريطانى لألمانيا، ومن ثــم فقد اعتبرت كل من بريطانيا وفرنسا فى حالة حرب مع ألمانيــا بحلــول الثالث من سبتمبر ١٩٣٩. وعلى الجــانب المقــابل، نجــد أن الاتحــاد السوفيتى (والذى كان قد سبق له توقيع ميثاق لعدم الاعتداء مع ألمانيا فــى أغسطس ١٩٣٩، تضمن اتفاقاً سرياً لتقسيم المنــاطق البولنديــة وبــلاد البلطيق بينه وبين ألمانيا)، أعلن أن بولندا قد زالت من علــى الخريطــة السياسية، وقد أعقب ذلك قيام الجيوش السوفيتية باحتلال الأقاليم البولنديــة ومناطق لاتفيا وإستونيا وبسارابيا وفنلندا.

وفى أعقاب فرض هتلر سيطرته على بولندا والبلطيق بدأ فى تحويل اتجاه الهجوم صوب أوربا الغربية، وفى شهور قليلة استطاعت الجيوش الألمانية أن تحتل الدانمرك، والنرويج، والسويد، ولوكسمبورج، وبلجيكا ثم والت زحفها صوب الحدود الفرنسية.

وفى فرنسا لم تكن الأوضاع الداخلية مواتية للتصدى للزحف الألمانى، فقد تقاعس الفرنسيون عن التطوع للدفاع عن فرنسا، كما كانت حكومة دالاديية ضعيفة، فضلاً عما ساد قيادة الجيش الفرنسى آنذاك من صراعات وخلافات حول الاستراتيجية الواجب اتباعها فى مواجهة ألمانيا. وعلى الرغم من أن خط "ماجينو" الدفاعى الفرنسى كان يمثل قمة التطور العلمى وقتئذ، إلا أنه لم يمتد ليشمل الحدود الفرنسية -البلجيكية، مما أتاح المجال أمام الجيوش الألمانية للانقضاض على فرنسا عبر حدودها مع بلجيكا، وقد أدت هذه الأوضاع المتردية إلى انهيار المقاومة الفرنسية، مما حدا بالحكومة الفرنسية إلى نقل مقرها من باريس إلى فيشى.

وعلى الرغم من المحاولات اليائسة التى قامت بها الحكومة الفرنسية آنذاك لطلب العون والمساندة من الولايات المتحدة وبريطانيا، إلا أنها لم تسفر عن أية استجابة يعتد بها من جانب هاتين الدولتين، إذ آثرت الولايات المتحدة التريث لمتابعة التطورات الدولية وسير العمليات الحربية، بينما رأت بريطانيا أن مصالحها تستلزم الاحتفاظ بقواتها العسكرية للدفاع عن أراضى بريطانيا، على اعتبار أن المعركة المتوقعة بين بريطانيا وألمانيا هى التى ستقرر مصير الحرب.

وقد أسفر الأمر فى النهاية عن سقوط باريس فى ١٥ يونيو ١٩٤٠ وحدوث انقسام بين بول رينو رئيس الوزراء (الذى كان يرى

ضرورة مواصلة القتال)، وبين نائبه الجنرال بيتان (الـــذى كــان يــرى ضرورة الاستسلام)، وقد أعقب ذلك استقالة حكومة رينو وقيام الجـــنرال بيتان بتشكيل حكومة موالية للألمان فى مدينة فيشى حيث طلب عقد الهدنة مع الألمان. وقد تضمنت اتفاقية الهدنة الموقعة بين ألمانيا وفرنســـا فـــى ٢٢ يونيو ١٩٤٠ شروطاً مجحفة بفرنسا كان من أهمها:

أ- السماح للجيوش الألمانية باحتلال الأراضى الفرنســية الواقعــة إلـــى شمال وغرب الخط الممتد من جنيف إلى تور ومن تور جنوباً إلـــى حدود إسبانيا، فضلاً عن سيطرة الألمان علـــى الموانـــئ الفرنســية الواقعة على المحيط الأطلنطى وعلى بحر المانش.

ب- أن تقوم فرنسا بتسريح قواتها المسلحة فيما عدا الأعداد القليلة مـــن الجنود التى تكفل حفظ الأمن والنظام الداخلى.

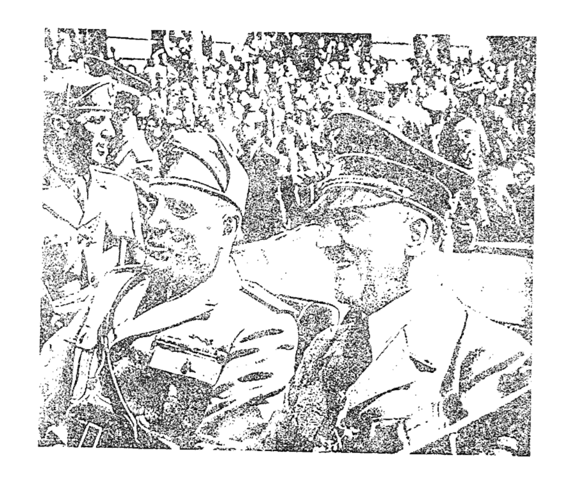
جـ- أن تتحمل فرنسا نفقات جيش الاحتلال الألمانى.

د- إطلاق سراح الأسرى الألمان لدى فرنسا، مع احتفاظ ألمانيا بأســرى الحرب من الجنود الفرنسيين.

وفى ظل فشل الجهود الألمانية التى اســـتهدفت اقنـــاع بريطانيـــا بالاستسلام وعدم التورط فى الحرب، تصاعدت حـــدة الغـــارات الجويـــة الألمانية على الأراضى والمدن البريطانية بما فيـــها العاصمـــة، بـــهدف تحطيم الروح المعنوية للجيش والشعب البريطانى، إلا أن بسالة المقاومـــة البريطانية، والثقة الكبيرة التى كانت تتمتع بها الحكومة البريطانية آنـــذاك بزعامة ونستون تشرشل، ونجاح البريطـــانيين فـــى تطويـــر صناعاتـــهم الحربية وأسلحتهم، واختراعهم لأجهزة الرادار قد ســـاعد علـــى إفشـــال الغزو الألمانى لبريطانيا.

وفى هذه الأثناء كانت إيطاليا قد أعلنت الحرب على كل من فرنسا وبريطانيا على أمل مقاسمة ألمانيا مغانم الحرب فى حالة انتصارها. وفى هذا الإطار سعى موسولينى إلى التوسع فى منطقة البلقان فبادر باحتلال ألبانيا ثم اليونان، إلا أن المقاومة اليونانية نجحت فى التصدى للجيوش الإيطالية وردتها على أعقابها، وأجبرتها على الانسحاب من ألبانيا. وإزاء تلك التطورات قدر هتلر أن هزيمة حليفه فى البلقان قد تؤثر سلبياً على معنويات جيوش دول المحور، فهب إلى مساندته بهدف السيطرة على شبه جزيرة البلقان. وقد استطاعت الجيوش الألمانية عام ١٩١٤ أن تحتل المجر، وبلغاريا، ورومانيا، ويوغوسلافيا، ثم اليونان وكريت (حتى لا تستغل كقاعدة بريطانية فى البحر المتوسط).

وعلى صعيد آخر كان الإيطاليون قد صعدوا - ابتداء من عام ١٩٤٠ - هجماتهم (انطلاقاً من الأراضى الليبية) صوب الحدود المصرية للتحرش بقوات الحلفاء الموجودة فى مصر، غير أن قوات الحلفاء استطاعت التصدى للجيوش الإيطالية، وأجبرتها على التراجع إلى داخل الأراضى الليبية. وإزاء تلك الانتكاسات عمد هتلر مرة أخرى إلى تغطية هزائم إيطاليا، فبادر بإرسال دعم عسكرى ألمانى إلى شمال أفريقيا بقيادة روميل. وقد شهدت جبهة شمال أفريقيا معارك ضارية بين قوات الحلفاء والمحور خلال عامى ١٩٤١، ١٩٤٢، تبادل فيها الجانبان الكر والفر حتى استطاعت قوات الحلفاء بقيادة مونتجمرى أن تنتصر على قوات المحور بقيادة روميل، وأن تجبرها على التقهقر حتى داخل الأراضى التونسية، بينما أطبقت عليها القوات البريطانية - الأمريكية المشتركة القادمة من المغرب والجزائر بقيادة أيزنهاور، الأمر الذى اضطر معه الألمان فى النهاية إلى الانسحاب من شمال أفريقيا.



الفوهرر (الزعيم النازى أدولف هتلر)

والدوتشى (الزعيم الفاشى بنيتوموسولينى)

قطبا "محور برلين - روما"

ومن ناحية أخرى، لم يفلح ميثاق عدم الاعتداء الموقع بين ألمانيا والاتحاد السوفيتى فى أغسطس ١٩٣٩ (والذى تم إبرامه لأسباب تكتيكية) فى القضاء على التناقضات العميقة والجذرية بين النازية والشيوعية، وبالتالى فما أن أحس هتلر بتفوق جيوشه فى جبهة البلقان حتى شرع فى الهجوم على الاتحاد السوفيتى فى يونيو ١٩٤١، ويمكننا أن نتمثل الأسباب الرئيسية التى حدت بهتلر إلى مهاجمة الاتحاد السوفيتى فيما يلى:

١) الخلافات الأيديولوجية العميقة بين الشيوعية والنازية.

٢) عدم ثقة هتلر فى الزعيم السوفيتى ستالين.

٣) نزعة هتلر الاستعلائية وإيمانه بضرورة سيطرة الجنس الآرى على كل شعوب العالم الأخرى.

٤) تخوف هتلر من سعى الاتحاد السوفيتى إلى منافسة ألمانيا على النفوذ فى مناطق البلطيق والبلقان.

٥) تطلعه إلى السيطرة على الموارد المعدنية (الحديد والبترول والمنجنيز) فى الاتحاد السوفيتى، فضلاً عن القمح (فى أوكرانيا).

وقد تصور هتلر أن هجومه على الاتحاد السوفيتى سوف يحظى بتأييد الدول المناهضة للشيوعية، وبالفعل فقد تقدمت الجيوش الألمانية، واستطاعت أن تسيطر على مساحات شاسعة يقطنها ما يقرب من ثلث الشعب الروسى ولا سيما فى أوكرانيا وشبه جزيرة القرم وسباستبول والقوقاز (على الرغم من فشل الألمان فى السيطرة على لييننجراد

وموسكو)، وبوصول الجيش الألمانى إلى مدينة ستالينجراد بدأ (الجيش الألمانى) يعانى من نقص الإمدادات من الذخيرة والمواد التموينية، فضلاً عن عدم قدرة الجنود الألمان على مغالبة الطبيعة وشدة البرد القارس، الأمر الذى دفع قادة الحملة الألمانية إلى الاستسلام، مخالفين بذلك تعليمات هتلر، الذى ظل يطالبهم بمواصلة القتال.

وهكذا فقد استطاع السوفييت التصدى ببسالة للهجمات الألمانية، ونجحوا فى استرداد المناطق التى سبق أن احتلها الألمان، وتوالت الانتصارات السوفيتية على الجيوش الألمانية خلال عامى ١٩٤٣، ١٩٤٤ حتى نجح السوفييت فى تحرير الأراضى السوفيتية، ثم أخذوا فى تعقب القوات الألمانية إلى داخل الأراضى الفنلندية، وكذلك فى بولندا، ورومانيا، وبلغاريا، والمجر. وقد لعبت الإمدادات التى قدمتها دول الحلفاء للاتحاد السوفيتى - خلال حربه مع ألمانيا - دوراً حيوياً فى دعم الموقف السوفيتى (كانت هذه الإمدادات تنقل إلى الاتحاد السوفيتى عن طريق إيران).

أما بالنسبة لموقف الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب، فقد ظل هذا الموقف متأرجحاً بين سياسة العزلة وبين سياسة التدخل، وعلى الرغم من عدم مشاركة الولايات المتحدة فى الصراع الدائر بصورة رسمية حتى عام ١٩٤١ فقد ساهمت فى دعم قدرات دول الحلفاء، وقد تمثل ذلك فى عدة أمور:

١-موافقتها عام ١٩٣٩ على بيع السلاح الأمريكى لدول الحلفاء ونقله على سفن غير أمريكية.

٢-قدمت الولايات المتحدة مساعدات عسكرية ضخمة لبريطانيا ولا سيما فى أعقاب قيام المحور الثلاثى (روما - برلين - طوكيو ١٩٤٠).

٣-إصدار قانون الإعارة والتأجير Lend-Lease الأمريكى فى مارس ١٩٤١، الذى نص على السماح للرئيس الأمريكى بتقديم كافة أشكال الدعم والمساعدة لأية دولة يرى أن الدفاع عنها يمثل أمراً حيوياً للولايات المتحدة. وقد قدمت الولايات المتحدة فى ظل هذا القانون مساعدات هائلة إلى كل من بريطانيا، والصين بلغت ما يقرب من خمسين مليار دولار، وذلك فى مقابل سماح بريطانيا بتأجير بعض الجزر والقواعد العسكرية الخاضعة للنفوذ البريطانى فى نصف الكرة الغربى للولايات المتحدة الأمريكية (وقد حصلت بريطانيا مقابل ذلك على خمسين مدمرة بحرية أمريكية).

٤-صادرت الولايات المتحدة السفن، والأموال، والممتلكات، الخاصة بدول المحور لديها.

٥-قامت الولايات المتحدة بتدريب ثمانية آلاف طيار بريطانى، كما تعهدت بتوفير الحراسة اللازمة لخطوط نقل الإمدادات الأمريكية من الولايات المتحدة إلى بريطانيا عبر الأطلنطى.

غير أنه بحلول عام ١٩٤١، كانت الأوضاع الدولية قد تطورت على نحو أدى إلى حدوث تحول جذرى فى الموقف الأمريكى من الحرب. وقد تمثلت أبرز التحولات فيما يلى:

١-توتر العلاقات الأمريكية - اليابانية نتيجة المساندة الأمريكية لحكومة الصين بزعامة تشانج كاى تشيك فى حربها ضد اليابان، ذلك فضلاً

عن تجميد الأموال اليابانية فى الولايات المتحدة، ووقف التبادل التجارى مع اليابان.

٢-احتلال اليابان للهند الصينية (خليج سايجون) وإقامة قواعد عسكرية يابانية فيها.

غير أن السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية تمثل فى تعرض ميناء بيرل هاربور (وهو يمثل قاعدة عسكرية أمريكية تقع بالقرب من جزر هاواى بالمحيط الهادى) لهجوم جوى شامل من جانب القوات اليابانية، وقد أدى هذا الهجوم إلى مقتل ما يقرب من ثلاثة آلاف أمريكى، وتحطيم عدد كبير من الطائرات الحربية الأمريكية، وفور وقوع هذا الهجوم أعلنت الولايات المتحدة الحرب على دول المحور مجتمعة، فردت ألمانيا وإيطاليا بإعلان الحرب على الولايات المتحدة فى ١١ ديسمبر ١٩٤١.

وقد مثل دخول الولايات المتحدة الحرب دعماً كبيراً لموقف الحلفاء، حيث بدأت مجريات الحرب تسير فى الاتجاه المضاد، وقد تحقق ذلك على مختلف الجبهات، ففى إيطاليا: قام الحلفاء (فى يوليو ١٩٤٣) بغزو صقلية وإيطاليا، وتحت ضغط الهجوم الأمريكى - البريطانى قرر المجلس الفاشى عزل موسولينى من منصبه حيث تم اعتقاله، وتم تكليف المارشال بادوليو بتشكيل الحكومة الجديدة. وقد سارعت الحكومة الإيطالية بالتفاوض مع الحلفاء مما أسفر عن التوقيع على اتفاقية الهدنة بين إيطاليا والحلفاء فى سبتمبر ١٩٤٣، غير أن الألمان كانوا قد تحسبوا لهذه التطورات، ومن ثم فقد احتلوا روما وبقية المناطق الشمالية من إيطاليا بهدف التصدى لزحف قوات الحلفاء القادم من الجنوب، وقد

استطاع الألمان اختطاف موسولينى من سجنه وفك أسره لكى يعيدوه إلـــى السلطة مرة أخرى، ولكى يتخذوا منه ســـنداً لشــرعية ســيطرتهم علـــى إيطاليا، بيد أن هذه السيطرة لم تدم إلا عدة شهور فقط، حيث اســـتطاعت قوات الحلفاء أن تواصل زحفها وأن تسيطر على روما، ثم على بقية مــدن شمال إيطاليا، كذلك فقد تم إلقاء القبض على موسولينى، حيث تم إعدامـــه بواسطة الفلاحين الإيطاليين فى أبريل ١٩٤٥، أثناء محاولته الفرار مـــع مجموعة من الجنود الألمان.

ومن ناحية أخرى شهدت أعوام ١٩٤٢-١٩٤٥ تصعيـــداً كبـــيراً للغارات الجوية من جانب قوات الحلفاء ضد الأراضى الألمانية والأقـــاليم التى تحتلها ألمانيا، ثم قام الحلفاء فى ٦ يونيو ١٩٤٤ بإنزال جيوشهم على السواحل الشمالية الغربية لفرنسا (منطقة نورماندى) فـــى أكـــبر عمليـــة عسكرية فى التاريخ الحديث للحروب، وقد استطاعت قـــوات الحلفـــاء أن تواصل تقدمها صوب باريس حيث تم تحريرها فى ٢٥ أغســطس ١٩٤٤، ودخلها الجنرال ديجول معلناً قيام حكومة مؤقتة.

وبعد استكمال تحرير الأراضى الفرنسية، حول الحلفاء هجماتـــهم صوب بلجيكا وهولندا، فنجحوا فى تحريرهما، وواصلـــوا تقدمـــهم حتـــى سيطروا على خط سيجفريد الدفاعى الألمانى، وتوغلوا داخـــل الأراضـــى الألمانية بحلول عام ١٩٤٥. وقد أخذت المدن الألمانية فى السقوط الواحدة تلو الأخرى، حتى سقطت العاصمة الألمانية برلين فى أبريل ١٩٤٥، ممـــا دعا هتلر إلى الانتحار بعد أن رأى طموحاته وأمجـــاده تتـــهاوى، ورأى أعداءه وقد أحكموا الخناق من حوله وأوشكوا أن يطبقوا عليه مـــن كـــل جانب، وبذلك هوت أسطورة الجيش الألمـــانى الـــذى لا يقـــهر، ليضـــع

التاريخ نهاية مأساوية لذلك القائد المغامر، الذى دفعه زهو القوة وغرورها إلى محاولة فرض سيطرته على العالم فذاق وبال أمره، شأنه فى ذلك شأن سائر المغامرين من قبله ومن بعده.

وعلى الرغم من انتهاء المعارك على الجبهات الروسية والأوروبية والأفريقية، فقد ظلت اليابان ترفض الاستسلام والاعتراف بالهزيمة العسكرية أمام الحلفاء، فعلى الرغم من الانتصارات التى حققها الجيش اليابانى على القوات الأمريكية والبريطانية فى المراحل الأولى من الحرب (خلال عامى ١٩٤١،١٩٤٢) والتى تمثلت فى سيطرة الجيش اليابانى على الملايو، وهونج كونج، وجاوة، وسومطرة، وإندونيسيا، وبورما، والفلبين، فقد شهد عام ١٩٤٢ بداية التحول والانكسار لموجة التوسع اليابانى، حيث أحرزت قوات الحلفاء عدة انتصارات بحرية ساحقة (ولا سيما فى معركة ميدواى فى يونيو ١٩٤٢)، وما تلا ذلك من انتصارات أمريكية أخرى (بزعامة الجنرال ماك آرثر) أسفرت عن تحرير الفلبين وبورما عام ١٩٤٥. وعلى الرغم من تصعيد حدة الهجمات الأمريكية على القواعد العسكرية والجزر اليابانية، فقد رفض اليابانيون الاستسلام واستماتوا فى التصدى للهجمات الأمريكية بشجاعة واستبسال منقطع النظير، لاجئين إلى أساليب انتحارية فى المقاومة والتصدى للقوات الأمريكية، وإزاء تلك المقاومة رأى الحلفاء أنه قد بات من المتعين وضع حد للحرب على نحو قاطع وحاسم بوسائل غير تقليدية، حيث كانت البحوث والتجارب العلمية قد أسفرت عن التوصل إلى سلاح جديد ذى قدرة تدميرية فائقة لم تعهدها الحروب من قبل، ألا وهو القنبلة الذرية.



الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت



الرئيس الأمريكى هارى ترومان



وفى هذا الإطار، فقد تم الاتفاق بين الرئيس الأمريكى ترومان وبين رئيس الوزراء البريطانى تشرشل على استخدام هذه القنابل ضد اليابان.

وبالفعل فقد ترتب على رفض اليابان للإنذار الأمريكى - البريطانى - الصينى بالاستسلام، أن تم إلقاء القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما اليابانية (فى ٦ أغسطس ١٩٤٥)، والتى تبعها إلقاء القنبلة الثانية على مدينة ناجازاكى اليابانية (فى ٩ أغسطس). وقد نتج عن إلقاء هاتين القنبلتين احتراق ما يزيد على ١٣٠ ألف يابانى، فضلاً عما خلقته من مئات الآلاف من المشوهين، وآلاف الأميال من الأراضى المحترقة وإزاء هذا الدمار الشامل، لم يعد أمام اليابان سوى الاستسلام، حيث أعلن الإمبراطور اليابانى " هيروهيتو" استسلام اليابان فى ١٤ أغسطس، وتم التوقيع على وثيقة الاستسلام على متن المدمرة الأمريكية "ميسورى" (فى الثانى من سبتمبر ١٩٤٥)، لتنتهى بذلك الحرب العالمية الثانية التى استمرت لست سنوات (١٩٣٩ - ١٩٤٥) مخلفةً وراءها ما يقارب ٤٠ مليون قتيل، فضلاً عن خسائر مادية بمليارات الدولارات، ومئات الملايين من المشردين والجوعى والمشوهين.

مصادر الفصل

اعتمدنا فى إعداد هذا الفصل على المراجع التالية:

(١) فيشر هـ. أ. ل. تاريخ أوربا فى العصر الحديث (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤).

(٢) د. عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة (المركز العربى للبحث والنشر، القاهرة، ١٩٨٢).

وكذا على المراجع التالية:

- Dutoselle, J.B., Histoire Diplomatique de 1919 a nos Jours (Dalloz, Paris , 1957).
- Gibbons, S.R., A Handbook of Modern History (Longman, London , 1986).
- Perry, K., Modern European History (W.H. Allen. London 1976).
- Renouvin, p., Histoire des Relations Internationals, Vol.8 (Librairie Hachette, Paris, 1958).
- Vialut, b.S., Modern European History (Mc Graw – Hill, Inc., New York, 1990).

تعقيب على القسم الأول

العلاقات الدولية فى إطار النسق متعدد الأقطاب

رؤية تنظيرية موجزة

تشكلت الملامح الأولى للنسق متعدد الأقطاب كما أسلفنا القول فى أعقاب مؤتمر وستفاليا عام ١٦٤٨، وقد مرت هذه الصورة التاريخية للنسق بعدة تحولات من حيث عدد الأقطاب المسيطرة على النسق، ومن حيث تداول هذه السيطرة بين القوى الأوروبية الرئيسية[1]، تبعاً للتغيرات التى كانت تطرأ على صورة توزيع عوامل القوة فيما بين الدول الأعضاء فى هذا النسق.

وقد تعرض اتزان النسق متعدد الأقطاب عدة اختلالات على امتداد تاريخه الطويل، بعامل الحروب والصراعات التى كانت تنشب بين أعضائه، والتى كانت غالباً ما تسفر عن صور جديدة للاتزان. ولعل من أبرز صور الاختلال التى تعرض لها النسق متعدد الأقطاب، ما طرأ عليه بعمل الحروب النابليونية التوسعية فى أعقاب الثورة الفرنسية الكبرى، ذلك الاختلال الذى حدا بالقوى الأوربية - مجتمعة - إلى أن تتضافر فيما بينها بهدف استعادة الاتزان والاستقرار إلى علاقات القوة فيما بينها، والتصدى لمحاولات الهيمنة الفرنسية، على نحو ما تم الاتفاق عليه فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٥.

---

(١) يرجع بصدد صورة توزيع القوة على مستوى النسق متعدد الأقطاب وتطورها خلال الفترة من ١٨١٥ وحتى ١٩٤٠ إلى :

Singer, J.D. & Small, M., The Composition and Status Ordering of the International System: 1815 - 1940 in : World Politics , Vol. XVIII, No:2, January 1966., p. 236-282.

وحرى بنا أن نعرض فى عجالـــة لأبـــرز الخصـــائص العامـــة، أو السمات المميزة لهذه الصورة التاريخية للنســـق الدولـــى. ويمكننـــا أن **نوجز هذه الخصائص فيما يلى:**

أولاً : تعدد أقطاب النسق، فى معنى قيام النسق على عـــدد مـــن القـــوى القطبية يزيد على اثنتين (عادة خمس أو ست دول).

ثانياً: أوروبية النسق، حيث كان معظم القوى القطبية يقـــع فـــى القـــارة الأوروبية، وبالتالى فقد كان مركز الثقل أو التأثير فـــى السياســـات الدولية يكاد ينحصر فى أوروبا دون غيرها من بقية مناطق العـــالم التى كانت تضم إما أقاليم ناقصة السيادة (مستعمرات أو محميات)، وإما دولاً تتبنى سياسات العزلة (كالولايات المتحـــدة الأمريكيـــة)، وبالتالى فقد كانت إما غير قادرة أو غير راغبة فى المشاركة فـــى التفاعلات السياسية الدولية.

ثالثاً: تجانس النسق فى معنى قيامه على أعضاء يعتنقـــون نفـــس القيـــم والمبادئ التى يخضعون لها سواء فى التنظيم الداخلى (الاجتمـــاعى والسياسى والاقتصادى) لمجتمعاتهم، أو فى تنظيم العلاقات الدوليـــة فيما بينهم.

ونظراً لأن " الدولة" كانت تمثل وحدة التعـــامل الأساســـية علـــى مستوى النسق، فقد كانت "أيديولوجية الدولة القومية" - إذا جـــازت هـــذه التسمية - هى التى تحكم علاقات ما بين الدول، وبالتالى فقد كانت من بين

المبادئ الرئيسية التى ارتضاها أقطاب النسق كأساس للتعامل فيما بينهم ما يلى[1]:

أ- مبدأ احترام السيادة القومية للدول.

ب- مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.

ج- مبدأ الولاء القومى.

وقد تحقق استقرار اتزان النسق متعدد الأقطاب بعامل التجانس، منذ انتهاء الحروب الدينية وحتى قيام الثورة الفرنسية[2]، التى راحت تنشر المبادئ الليبرالية (كحق الشعوب فى تقرير مصائرها) التى تتعارض مع المبادئ التى ظلت تحكم العلاقات الدولية لفترة زمنية طويلة، كمبدأى الشرعية، وحق العروش فى تقرير مصائر الشعوب، وهو ما أدى إلى انقسام أوروبا بين تيارين، **أولهما**: محافظ يضم الدول ذات النظم الحاكمة الأوتوقراطية، **والثانى**: ثورى يضم الدول الداعية إلى الأفكار الثورية والمبادئ الليبرالية التحررية والديموقراطية.

رابعاً: محدودية وسائل التأثير الدولى، حيث كانت - باستثناء فترة الحرب العالمية الثانية - أدوات السياسة الخارجية تكاد تقتصر على الدبلوماسية (بصورتها التقليدية فقط)، والاستراتيجية (الأداة العسكرية)، وبالتالى فقد كانت هناك إمكانية للتمييز القاطع بين حالة

---

(١) إسماعيل صبرى مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة فى الأصول والنظريات (المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ١٩٩١) ، ص ٤٧.

(٢) محمد طه بدوى، مدخل إلى علم العلاقات الدولية (المكتب المصرى الحديث، الإسكندرية ١٩٧٧) ص ٢٤٥.

الحرب وحالة السلم فى إطار علاقات ما بين الدول. كذلك فقد كانت وسائل تسوية أو فض المنازعات الدولية قاصرة على أسلوبى الدبلوماسية (عن طريق التفاوض أو الوساطة) والحرب باعتبارها الملاذ الأخير لفرض الإرادة فى البيئة الدولية، حيث لم تكن هنا مؤسسات أو منظمات دولية يمكن اللجوء إليها لتسوية هذه المنازعات[1]، وذلك باستثناء منظمة عصبة الأمم التى اتسمت بالضعف والتفكك وعدم الفاعلية.

خامساً: التكافؤ بين القوى القطبية الرئيسية من حيث توزيع عوامل القوة وإمكانات القدرة، ويمكننا أن نرجع ذلك إلى عدة عوامل[2]:

أ- بدائية تكنولوجيا التسلح المتاحة خلال هذه المرحلة، ومن هنا فقد كانت القدرات التدميرية للأسلحة محدودة.

ب- محدودية القدرة على القيام بهجوم مفاجئ، مما كان يتيح للدول التى تتعرض للعدوان الفرصة الكافية لتعبئة قواها فى مواجهته.

ج- تأثر القوة العسكرية للدول بالعوامل الكمية بصورة أكبر من العوامل الكيفية، حيث كانت الأسلحة تقليدية.

د- بدائية أساليب التخطيط الإستراتيجى (العسكرى).

سادساً: اقتصار العلاقات السياسية الدولية على العلاقات الرسمية فيما بين الدول والحكومات (سواء دبلوماسية أو استراتيجية) حيث لم تكن ثمة مجالات للعلاقات غير الرسمية، وبالتالى فقد كانت هناك إمكانية أكبر لتبنى سياسات الانعزال أو الإنكفاء على

---

(١) محمود إسماعيل، المدخل إلى العلوم السياسية (دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩١) ص ٣٦٦، ٣٦٨.

(٢) إسماعيل صبرى مقلد، مرجع سبق ذكره، ص ٥١-٥٢.

الذات، كما لم تكن ثمة وسائل أو أساليب للتدخل غير المباشر عن طريق الأدوات الدعائية أو الثقافية أو ما إليها.

سابعاً: اعتمد أقطاب النسق المتعدد على الأساليب أو السياسات التقليدية لتحقيق ميزان القوة كسياسات التحالف، والتسلح، والتعويضات الإقليمية .. إلى غير ذلك من السياسات التي سبق أن أشرنا إليها. واستجابة لهذه الخصائص العامة لصورة النسق الدولي متعدد الأقطاب، كان من الطبيعي أن توجد قواعد سلوكية دولية، توجه سلوك أقطاب النسق وتؤثر في أنماط تفاعلاتهم. وتتمثل القاعدة السلوكية الرئيسية في إطار النسق متعدد الأقطاب - وكما صاغها الأستاذ الدكتور/ محمد طه بدوى - فيما يلي:

"إن أى لاعب رئيسى من الستة الكبار يحاول التفوق على مساعداه من اللاعبين الرئيسيين هو – بهذه المحاولة ذاتها - عدو لهم، وخطر يهدد ميزان القوة، وهو بمحاولته هذه يستدعى رد فعل آلي من جانب قوى طبقته أو من جانب فريق منهم متحالفين، فلابد من مواجهة القوة بالقوة، وإلا تحققت إرادة اللاعب المتطلع إلى الإمبراطورية العالمية. ومن هنا فإن المنتصر الأوحد في حرب تقع في إطار مثل هذا النسق يصبح بالضرورة - في أعقاب انتصاره- عدو لاعبيه الرئيسيين بما في ذلك، بل وفي مقدمتهم، حلفاؤه بالأمس. ومن هنا فإن الصداقة أو العداء – في إطار النسق متعدد القوى القطبية- علاقة وقتية ما دامت تأتي على مقتضى علاقات القوى داخل النسق، وفي خدمة ميزان القوة. إن صديق اليوم هو بالاحتمال عدو الغد، وهكذا[1].

---

(١) محمد طه بدوى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٤.

القسم الثانى

العلاقات الدولية فى ظل النسق ثنائى القطبية

مراحل تطور العلاقات الأمريكية -السوفيتية

(١٩٤٥– ١٩٩١)

تمهيـــــد:

مرت العلاقات الأمريكية الســـوفيتية بعـــدة تحـــولات ومراحـــل تاريخية متميزة عن بعضها البعض، وذلك تبعـــاً لاختــلاف الخصـــائص وتباين السمات التى اتسمت بها علاقاتهما خلال كل مرحلـــــة مـــن هـــذه المراحل. ويمكن القول بأن علاقات القطبين قد مـــــرت بخمـــس مراحـــل رئيسية هى:

(١) مرحلة الحرب الباردة ١٩٤٦ - ١٩٥٥.

(٢) مرحلة التعايش السلمى ١٩٥٥- ١٩٦٩.

(٣) مرحلة الانفراج ١٩٦٩ - ١٩٧٩.

(٤) مرحلة الحرب الباردة الجديدة ١٩٧٩ -١٩٨٥.

(٥) مرحلة نهاية الحرب الباردة ١٩٨٥-١٩٩١.

وفيما يلى نعرض بشئ من التفصيل لهذه المراحل الخمس ولأبرز ما اتسمت به كل مرحلة من خصائص.

الفصل الأول(*)

مرحلة الحرب الباردة Cold War

١٩٤٦ -١٩٥٥

" إن ستاراً حديدياً قد بات يفصل القارة الأوروبية إلى شطرين من البلطيق شمالاً إلى الأدرياتيك جنوباً"

"ونستون تشرشل"

فولتون -ميسوري

٦ مارس ١٩٤٦

(*) أعد هذا الفصل الدكتور/ ممدوح منصور.

الفصل الأول

مرحلة الحرب الباردة Cold War

١٩٤٦ -١٩٥٥

تعرف المرحلة التى مرت بها العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى خلال السنوات العشر التالية للحرب العالمية الثانية بمرحلة الحرب الباردة. وقد غلبت على علاقات القطبين خلال هذه المرحلة أجواء العداء والتوتر مع اتساع هوة الاختلافات بينهما فى وجهات النظر والمصالح والتوجهات، فضلاً عما ساد هذه المرحلة من خلافات عقائدية ألهبت حدة الحرب الدعائية بين المعسكرين.

وقد كان من شأن هذه الأجواء العدائية أن تزايدت حدة التوتر على مستوى النسق العالمى وكادت الصراعات والأزمات الدولية التى تفجرت خلال هذه المرحلة أن تصل إلى حد المواجهة العسكرية بين القطبين مما شكل خطراً بالغاً وتهديداً للسلام والاستقرار العالمى.

وقد تمثلت البدايات الأولى للحرب الباردة فى انهيار التحالف الذى جمع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى خلال سنوات الحرب العالمية الثانية بهدف التصدى للخطر المشترك الذى كان يتهددهما والذى كان يتمثل فى تنامى قوة النظم الشمولية (النازية والفاشية) فى أوروبا، وغلبة النزعات التوسعية على سياساتها الخارجية، وقد لاحت بوادر انهيار هذا التحالف (الذى عرف بالتحالف الغريب Strange Alliance) فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة، فما أن وضعت هذه الحرب أوزارها حتى بدأت الخلافات بين القطبين تطفو على السطح، وسعى كل

منهما إلى تعظيم مكاسبه السياسية والإقليمية. وقد بدا ذلك واضحاً خلال مؤتمرات القمة التى واكبت نهاية الحرب العالمية الثانية أو أعقبتها مباشرة (مؤتمرات يالطا و ،بوتسدام) وقد كان من مظاهر هذه الخلافات ما أبداه الاتحاد السوفيتى آنذاك من تقاعس عن سحب قواته العسكرية المرابطة فى إيران، ثم محاولاته التدخل فى الشئون الداخلية لبعض الدول المجاورة له لفرض الشيوعية عليها على نحو ما حدث فى كل من اليونان وتركيا عام ١٩٤٧، وذلك بعدما كان قد نجح فى إحكام سيطرته على دول أوروبا الشرقية بالكامل من خلال إقامة نظم حكم شيوعية موالية له فيها.

وإزاء تلك التطورات بدأت المخاوف الأمريكية والغربية فى التزايد فراحت دول الغرب تعامل الاتحاد السوفيتى لا من منطلق كونه الحليف أو الصديق - على نحو ما كانت تفعل إبان سنوات الحرب - وإنما من منطلق كونه العدو اللدود الذى يتعين الاحتراز من خطره.

وفى تعليقه على مدى التدهور الذى لحق بعلاقات القطبين، ذكر سير ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا - فى خطاب ألقاه فى ولاية ميسورى الأمريكية عام ١٩٤٦ - أن ثمة اقتناعاً سائداً فى الغرب بأن السوفييت لا يعرفون إلا منطق القوة، ومن ثم فليس أمام الدول الغربية من سبيل سوى الاتحاد من أجل التصدى للمحاولات التوسعية السوفيتية. كذلك فقد أشار تشرشل فى خطابه إلى أن ثمة ستاراً حديدياً Iron Curtain قد بات يقسم أوروبا إلى شطرين بحيث باتت أوروبا الشرقية - من وراء هذا الستار - خاضعة للسيطرة والهيمنة السوفيتية المطلقة ومعزولة تماماً عن أوروبا الغربية.

وقد كان من المتعين على الدول الغربية فى ظل هذه الأوضاع أن تعمل على وضع خطة شاملة تمكنها من التصدى لهذه الأخطار الشيوعية التى باتت تهدد مصالحها وقيمها الأيديولوجية.

وقد تمثلت هذه الاستراتيجية فيما عرف آنذاك بسياسة الاحتواء Policy of Containment التى أرسى دعائمها ووضع أسسها النظرية جورج كينان George Kennan وهو من أبرز الدبلوماسيين الأمريكيين الخبراء فى الشؤون السوفيتية. وقد عمل كينان مستشاراً بالسفارة الأمريكية لدى موسكو. وقد أورد كينان الملامح الرئيسية لهذه السياسة فى برقية بعث بها عام ١٩٤٦ إلى وزارة الخارجية الأمريكية أشار فيها إلى أنه يتعين التصدى بحسم للنزعة التوسعية السوفيتية حيث لم يعد ثمة أمل فى إقامة علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى. كذلك فقد أشار كينان فى مقال له بعنوان " مصادر السلوك السوفيتى" نشر بمجلة Foreign Affairs المتخصصة فى الشؤون الدولية، عام ١٩٤٧ إلى أنه يتعين على السياسة الأمريكية أن تركز جهودها على الاحتواء الصارم للنزعة التوسعية السوفيتية. وذلك من خلال إحكام الحصار حول الاتحاد السوفيتى وتطويقه بجدار من الأحلاف العسكرية الموالية للغرب، ذلك فضلاً عن ضرورة تشديد الضغوط على دول المعسكر الشيوعى لحملها على التخلى عن أهدافها التوسعية فى مختلف أنحاء العالم.

وقد تمثلت أبرز الأدوات التى لجأت إليها الدول الغربية فى إطار تبنيها لسياسة الاحتواء فيما يلى:

(١) الأحلاف العسكرية:

وذلك من خلال إحاطة الدول الشيوعية بجدار عازل من الأحلاف العسكرية الموالية للغرب بغية الحيلولة دون المزيد من التوسع الشيوعى. وفى هذا الإطار أقامت الولايات المتحدة - خلال مرحلة الحرب الباردة- سلسلة من المحالفات العسكرية بهدف تطويق الدول الشيوعية وقد مثل هذا الاتجاه تحولاً بارزاً فى توجهات السياسة الخارجية الأمريكية وتراجعاً عن الالتزام بمبدأ تجنب الأحلاف الذى ظل يحكم السياسة الخارجية الأمريكية لفترة طويلة. وقد كان من جراء الاندفاع الأمريكى نحو إقامة المحالفات العسكرية فى مناطق مختلفة من العالم أن عرفت هذه المرحلة (من ١٩٤٧- ١٩٥٥) بفترة جنون الأحلاف Pactomania فى السياسة الأمريكية وقد كان من أبرز المحالفات العسكرية التى أقامتها الولايات المتحدة فى إطار سياسة الاحتواء ما يلى:

أ- منظمة حلف شمال الأطلنطى North Atlantic Treaty Organization :

وتعرف اختصاراً بحلف .N.A.T.O وترتد بدايات هذه المنظمة العسكرية إلى ما كان يعرف بميثاق بروكسل الدفاعى الذى أبرم فى مارس ١٩٤٧ ووقعت عليه كل من بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، ولوكسمبورج، وقد استهدف هذا الميثاق تأمين دول أوروبا الغربية من التهديدات السوفيتية. غير أنه فى العام التالى للتوقيع على هذا الميثاق وافق مجلس الشيوخ الأمريكى على اقتراح تقدم به السيناتور فاندنبرج Vandenberg ودعا من خلاله إلى انضمام الولايات المتحدة الأمريكية

إلى الترتيبات الدفاعية الأوروبية وقد أسفرت هذه المباحثات عـــن إبـــرام معاهدة حلف شمال الأطلنطى فى أبريل ١٩٤٩. وقد ضم حلف الأطلنطـى فى عضويته إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية دول ميثاق بروكســـل الخمس فضلاً عن ست دول أخرى هـــى إيطاليـــا، أيســـلندا، الدانمـــرك، النرويج، البرتغال، وكندا وليصبح بذلك عدد الدول المؤسسة للحلف اثنتـــا عشرة دولة، وقد أعقب ذلك انضمام عدة دول إلى عضوية الحلف كتركيـــا واليونان (١٩٥٢)، ألمانيا الغربية (١٩٥٥)، أسبانيا (١٩٨١)، هـــذا ولا يزال حلف الأطلنطى حتى الآن يمثل حجر الزاوية فى المنظومة الدفاعيـــة للدول الغربية وذلك رغم مضى ما يزيد على نصف قرن علـــى إنشـــائه، هذا وقد طرأت على عضوية الحلف عدة تغيرات عبر مراحل حياتـــه(*). ولا يزال الحلف إلى وقتنا هذا - وعلـــى الرغـــم مـــن تفكـــك الاتحـــاد السوفيتى- يمثل الأداة الدفاعية الرئيسية للدول الغربية فضلاً عمـــا يمثلـــه للولايات المتحدة من أداة تتيح لها للتدخل فى الشئون السياسية والعســكرية الأوروبية وفى مناطق أخرى من العالم.

ب- حلـــف جنـــوب شـــرق آســـيا South East Asia treaty Organization :

ويعرف اختصاراً بحلف الــ S.E.A.T.O وهو يضم إلى جـــانب كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا بعـــض دول منطقـــة

(*) وتجدر الإشارة إلى أن فرنسا كانت قد انسحبت من الجناح العسكرى للحلف فى مارس ١٩٦٦ فى عهد ديجول، وتبعاً لذلك نقل مقر الحلف من باريس إلى بروكسل، كذلك فقد شهد عقد التســـعينيات توسيعاً لنطاق العضوية فى الحلف – وذلك بعد سقوط الاتحاد الســـوفيتى – ليشـــمل بعـــض دول أوروبا الشرقية وبعض الدول التى استقلت عن الاتحاد السوفيتى السابق.ذلك فضلاً عـــن توســـيع نطاق عـمليائه بما يتيح للدول المتحالفة إمكانية التدخل العسكرى فى مناطق مختلفة من العالم دفاعاً عن مصالحها.

جنوب شرق آسيا كباكستان وتايلاند والفلبين (مقر الحلف لذا يعرف أحياناً بحلف مانيلا) ونيوزيلندا. وقد تم إبرام معاهدة الحلف في سبتمبر ١٩٥٤. ويستهدف التصدى لأية محاولات توسعية شيوعية في مناطق جنوب شرق آسيا ولا سيما بعد هزيمة فرنسا في حرب الهند الصينية.

جـ- حلف الأنزوس A.N.Z.U.S :

ويضم كل من استراليا ونيوزلندا والولايات المتحدة، وقد تم إبرامه عام ١٩٥١، وقد جاء إنشاء هذا الحلف كرد فعل على وصول الشيوعيين إلى السلطة في الصين عام ١٩٤٩ بزعامة ماوتسي تونج، الأمر الذى أثار مخاوف الولايات المتحدة من انتشار الشيوعية في جنوب شرق آسيا واستراليا.

د- حلف بغداد (حلف المعاهدة المركزية) Baghdad Pact (C.E.N.T.O) :

في أعقاب نجاح الغرب في تطويق الاتحاد السوفيتى من الغرب (من خلال حلف الأطلنطى) ومن الجنوب (من خلال حلف جنوب شرق آسيا) سعت الولايات المتحدة إلى سد الثغرة التى تمثلها المناطق الواقعة بين نطاق هذين الحلفين. وقد مثّل حلف بغداد تطبيقاً لفكرة الحزام الشمالى Northern Tier التى تبناها جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة فى الخمسينيات، والتى مفادها قيام حلف دفاعى موال للغرب يضم الدول الواقعة في شمال منطقة الشرق الأوسط بحيث يشكل حزاماً أمنياً واقياً يعمل على الحيلولة دون التغلغل السوفيتى إلى منطقة الشرق الأوسط.

وقد كانت النواة الأولى لهذا الحلف هـــى مــا عــرف **بالميثــاق التركى- العراقى** (حلف نورى - مندريس) الذى تم توقيعه عـــام ١٩٥٥، والذى بادرت كل من بريطانيا وباكستان وإيران بالانضمام إليه، وأصبـــح يعرف منذ ذلك الحين بحلف بغداد. وقـــد رفضـــت الولايـــات المتحـــدة الانضمام إلى الحلف بصورة كاملة - رغم أنها كانت المحرضـــة علـــى إنشائه- وقصرت مشاركتها فيه على بعض لجانه فقط بينما تركت مهمـــة قيادة الحلف لبريطانيا. وقد أدى قيام ثورة عبد الكريم قاسم فى العراق عام ١٩٥٨ والإطاحة بالنظام الملكى الموالى للغرب فى العراق إلى انســـحاب العراق من الحلف مما أدى إلى نقل مقر الحلف من بغداد إلى أنقرة بتركيـا وراح الحلف يعرف منذ ذلك الحين بحلف المعاهدة المركزية.

(٢) الدبلوماسية الاقتصادية:

اكتسبت الأداة الاقتصادية أهمية بالغة كـــأداة مـــن أدوات عمليـــة الاستقطاب الدولى Polarization التى مارسها كل من القطبيـــن خــلال سنوات الحرب الباردة فى مواجهة دول العالم الثالث.

وقد مثلت هذه الأداة سمة بارزة من السمات الرئيسية لاســتراتيجية الاحتواء الأمريكية وقد تمثل ذلك من خلال:

أ- مشروع (مبدأ) ترومان Truman Doctrine :

وقد تمثل فى الخطاب الذى وجهـــه الرئيـــس الأمريكـــى هـــارى ترومان فى مارس عام ١٩٤٧ إلى الكونجرس، موضحـــاً فيـــه اعـــتزام الحكومة الأمريكية تقديم يد العون والدعم للشعوب التى تتعرض لتـــهديدات

من جانب الشيوعية الدولية سواء عن طريق الضغط الخــارجى أو عــن طريق الاعتماد على بعض القوى الداخلية الموالية للشيوعية، وقد تضمــن هذا المشروع تخصيص مبلغ ٤٠٠ مليون دولار كمساعدات اقتصادية لكل من اليونان وتركيا، وذلك بعد ما أعلنت بريطانيا عــن عــدم اســتطاعتها الاستمرار فى تقديم المساعدات التى كانت تقدمها إلــى هــاتين الدولتيــن نتيجة لتدهور قدراتها الاقتصادية.

ب- مشروع مارشال للإنعاش الاقتصــادى الأوروبــى Marshall Plan :

وقد تمثل هذا المشروع فى الاقتراح الذى تقدم به وزير الخارجيــة الأمريكى جورج مارشال - يونيو ١٩٤٧ - فى خطــاب ألقــاه بجامعــة هارفارد الأمريكية، وأعلن فيه عن تقديم المساعدات الاقتصادية الأمريكيــة لدول أوروبا الغربية لإصلاح ما دمرته الحــرب وإنعــاش الاقتصاديــات الأوروبية حتى لا يمثل تردى الأوضاع الاقتصادية فــى أوروبــا مجــالاً خصباً لانتشار الأفكار الشيوعية فيها.

وقد كان الباعث وراء الإعلان عن هذا المشروع ما لوحظ آنــذاك من نجاح بعض الأحزاب الشيوعية الأوروبية فى الحصول علــى أعــداد متزايدة من المقاعد فى برلمانات بعض الدول الأوروبية (ولا سيما فـــى كل من فرنسا وإيطاليا). وقد تم بمقتضى هذا المشروع تخصيص خمســة مليارات دولار سنوياً لمدة خمس سنوات توجه لدعم اقتصاديــات الــدول الغربية باعتبارها تمثل خط الدفاع الأول عن المعســكر الليــبرالى فــى مواجهة الخطر الشيوعى، بالإضافة إلى ذلك فقد كــان مــن شــأن هــذه المساعدات الاقتصادية أن تمكن لربــط اقتصاديــات الــدول الأوروبيــة

الغربية بالاقتصاد الأمريكي وبالنظام الرأسمالي العالمي مما يـــهيئ إلـــى جعل أوروبا الغربية منطقة نفوذ أمريكية.

(٣) الأداة الاستراتيجية (العسكرية):

فى إطار تصاعد التهديدات فى العديد من مناطق العالم، صعـــدت الولايات المتحدة من التزامها بالتصدى لخطر التوسع الشيوعى، فلم تقتنـــع بمجرد استخدام الدبلوماسية الاقتصادية وإنما أعلنت اعتزامها اللجوء إلـــى استخدام القوة العسكرية للتدخل فى أية منطقة من مناطق العالم تتعـــرض لتهديدات من جانب القوى الشيوعية.

وقد كان من أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث إبان الحرب الكوريـــة عام ١٩٥٠، حين سعت كوريا الشمالية الموالية للشيوعية إلـــى التوســـع جنوباً على حساب الشطر الجنوبى لكوريا الموالى للغرب. وقد ترتب على ذلك أن تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً لدعم كوريا الجنوبية هنـــا وقـــد صعدت الانتصارات التى حققتها القوات الأمريكية فى بادئ الأمـــر مـــن الآمال فى تحرير كوريا الشمالية من ربقة الســيطرة الشـيوعية وإعـــادة توحيد شطرى كوريا، غير أن تدخل الصين الشيوعية إلى جـــانب كوريـــا الشمالية كان يؤذن بإمكانية حدوث مواجهة أمريكية - صينية، الأمر الذى دفع بالطرفين إلى احتواء الأزمة والقبول بالوضع الذى كان قائماً قبل بـــدء الحرب.

وقـــد ترتـــب علـــى الحـــرب الكوريـــة أن أعـــاد المخططـــون الاستراتيجيون الأمريكيون النظر فى مدى جدوى الاعتماد علـــى سياســـة الاحتواء فى التصدى للتوسع الشيوعى، إذ بات واضحاً أنها سياسة ســـلبية

الطابع ينحسر أثرها عند مجرد الإبقاء على الأوضاع العالميـــة الراهنـــة، ذلك فضلاً عما كانت ترتبه من أعباء مالية والتزامات دولية كبيرة.

وقد أدت الانتقادات التى وجهت إلى سياسة الاحتواء إلى هزيمـــة الرئيس الأمريكى ترومان فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٥٣، حيث حـــل محله الرئيس دوايت ايزنهاور.

واستجابة إلى تطلعات الرأى العام الأمريكى آنذاك إلـــى سياســـة أكثر فعالية لمكافحة الشيوعية، أعلن جون فوستر دالاس وزير خارجيـــة الولايات المتحدة الجديد عما عرف باستراتيجية الانتقام الشامل Massive Retaliation التى هيأ لها التفوق النووى الأمريكى آنذاك فـــى مواجهـــة الاتحاد السوفيتى. وقد كانت هذه الاستراتيجية تقوم علـــى أســـاس الـــرد الأمريكى بتوجيه ضربات انتقامية عنيفة إلى القـــوى الشـــيوعية إذا مـــا حاولت تغيير الأوضاع الدولية الراهنة، وذلك على اعتبار أن هذا التـــهديد القوى سوف يمثل عنصراً رادعاً يحول دون أية محاولات للمد الشيوعى.

وقد ارتبطت هذه الاستراتيجية الجديدة، بما عرف بسياسة حافـــة الهاوية Brinkmanship Policy على الصعيد الدبلوماسى والتى قوامـــها تصعيد نبرة التشدد والتهديد فى التعامل مع الدول الشيوعية والعمل علـــى الوصول بالأزمات الدبلوماسية إلى قمة مستويات التصعيـــد مـــع تفـــادى الانزلاق إلى مخاطر المواجهة العسكرية فى نفس الوقت.

وقد كان الدافع وراء تبنى هذه الأساليب المتشددة فى التعامل مـــع القوى الشيوعية هو تزايد المخاوف من المزيد من المد الشيوعى فى العالم ولا سيما فى ظل اقتناع الإدارة الأمريكية حينئـــذ بمـــا عـــرف بنظريـــة

الدومينو Domino Theory والتى مفادها أن سقوط دولة ما فى قبضة الشيوعية يهيئ لسقوط الدول المجاورة لها، وذلك على نحو ما يحدث مع قطع الدومينو المصفوفة رأسياً والتى يترتب على سقوط إحداها تساقطها كلها الواحدة تلو الأخرى.

وعلى الرغم من ذلك فقد أثبتت الأحداث أن استراتيجية الانتقام الشامل ليست أكثر فعالية من سابقتها وذلك حين أحجمت الولايات المتحدة عن وضعها موضع التطبيق فى حرب الهند الصينية عام ١٩٥٤ الأمر الذى ترتب عليه هزيمة فرنسا وتقسيم فيتنام إلى قسمين أحدهما شمالى خاضع للسيطرة الشيوعية والآخر جنوبى ويمثل دائرة نفوذ غربية، وقد تصاعدت المخاوف من تحول الدول المجاورة لفيتنام كلاوس وكمبوديا وتايلاند والملايو والفلبين إلى الشيوعية وهو ما كان سيؤدى إلى انهيار المنظومة الدفاعية الغربية فى منطقة جنوب شرق آسيا.

وقد فقدت استراتيجية الانتقام الشامل مصداقيتها بعد حرب الهند الصينية، مما شجع الشيوعيين على معاودة محاولات التوسع فى منطقة الهند الصينية.

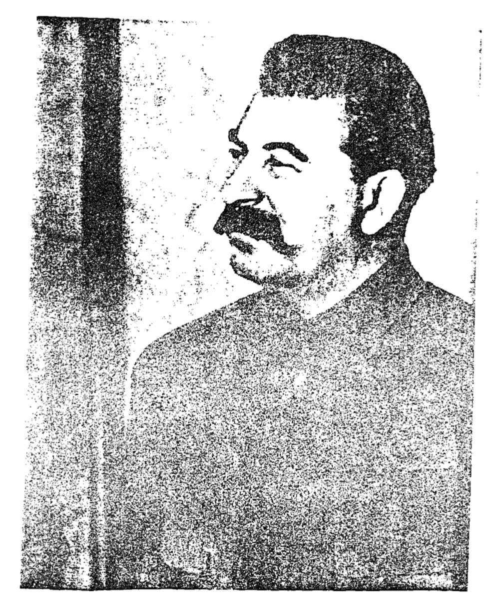
ويرى المحللون الاستراتيجيون أن استراتيجية الانتقام الشامل كانت قائمة على مجرد " التهديد" فقط وأنها لم تكن قابلة للتطبيق الفعلى نظراً لأن الاتحاد السوفيتى كان قد اقترب آنذاك من مستوى التكافؤ النووى مع الولايات المتحدة، الأمر الذى كان يعنى أنه لم يكن ثمة بديل للسلام سوى الحرب الشاملة بين القطبين والإفناء المتبادل لكليهما، وهو ما دفع الولايات المتحدة إلى التخلى عن تشددها والبحث عن استراتيجية أكثر قابلية للتطبيق وأكثر فعالية فى التصدى للمد الشيوعى.

أما على الجانب المقابل (المعسكر الشيوعى).. فقد تمثلت الأهداف الرئيسية للاستراتيجية السوفيتية خلال مرحلة الحرب الباردة فى محاولة تأمين وتثبيت دعائم الشيوعية فى أوروبا الشرقية من خلال اللجوء إلى أدوات مشابهة للأدوات التى استخدمتها الولايات المتحدة فى إطار سياسة الاحتواء، وقد تمثلت أبرز الأدوات التى استخدمتها السياسة الخارجية السوفيتية خلال هذه المرحلة فيما يلى:

(١) الأحلاف العسكرية:

نجح الاتحاد السوفيتى فى فرض سلسلة من معاهدات التحالف الثنائية على دول شرق أوروبا التى أخضعها لسيطرته الكاملة - من خلال إقامة نظم حكم شيوعية موالية له فيها -وقد كان من أبرز هذه المحالفات مايلى:

- معاهدة التحالف بين الاتحاد السوفيتى وبين تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٣.
- معاهدة التحالف بين الاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا عام ١٩٤٥.
- معاهدة التحالف بين الاتحاد السوفيتى وكل من رومانيا والمجر عام ١٩٤٨.
- معاهدة التحالف بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية عام ١٩٥٠.



الزعيم السوفيتى جوزيف ستالين

وقد كان من حق الاتحاد السوفيتي - بمقتضى هذه المعـــاهدات- الإبقاء على قواته العسكرية فى أراضى هذه الدول، مما أمكنه من فــرض هيمنته على هذه الدول، فضلاً عن تمكنه من استخدام هــذه القــوات فـــى إخماد كافة المحاولات الشعبية والحركات القومية التى حاولت التمرد علـى الهيمنة السوفيتية.

غير أنه مع إعلان الدول الغربية عن إعادة تسليح ألمانيا الغربيـــة وانضمامها إلى حلف الأطلنطى عام ١٩٥٥، بـــادر الاتحـــاد الســـوفيتى بالإعلان عن قيام حلف عسكرى جماعى يربـــط دول أوروبـــا الشــرقية بالاتحاد السوفيتى وهو ما عرف بحلف وارسو Warsaw Pact .

وقد ضم هذا الحلف إلى جانب الاتحاد السوفيتى كلاً من المجـــر، بولندا، تشيكوسلوفاكيا، ألمانيا الديمقراطية، رومانيا ، بلغاريا، ألبانيا[1].

وقد تمثل الهدف الرئيسى لحلف وارسو فـــى مواجهـــة سياســـة الاحتواء التى اتبعها الغرب ومحاولة تثبيت دعـــائم نفـــوذه فـــى أوروبـــا الشرقية. وقد مثلت الأيديولوجية الماركسية الرباط الذى نجـــح الســـوفييت من خلاله فى فرض سيطرتهم على دول أوروبا الشرقية. كذلك فقد مثـــل حلف وارسو خطاً دفاعياً وحزاماً أمنياً يحول دون تغلغل الأفكار الليبراليـــة المناهضة للشيوعية إلى الاتحاد السوفيتى، كما أتـــاح للســـوفيت المـــبرر الشكلى أو القانونى لقمع أية اضطرابات تهدد مصالحهم أو بقـــاءهم فـــى

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن ألبانيا قد انسحبت من حلف وارسو إثر خلافـــها مـــع الاتحـــاد الســـوفيتى وانحيازها إلى جانب الصين الشعبية. أما يوغسلافيا فقد رفضت الانضمام إلـــى الحلـــف نظـــراً لاعتناقها سياسة عدم الانحياز، ولم يجد السوفييت آنذاك بدا من الاعتراف ليوغسلافيا بحقها فى أن يكون لها أسلوبها الخاص فى التطبيق الاشتراكى.

أوروبا الشرقية عن طريق التدخل العسكرى، كما ساهم الحلف فى دعـــم المواقف السوفيتية خلال مفاوضاتهم مع الغرب فى مجـالات الحـد مـن التسلح فضلاً عما كان يمثله من قوة تقليدية رادعة فى مواجهــة الغـرب أسهمت إلى حد كبير فى موازنة التفوق الغربى فى مجال التسلح النووى.

(٢) الأداة الاقتصادية:

لجأت السياسة الخارجية السوفيتية إلى استخدام الأداة الاقتصاديــة لربط دول أوروبا الشرقية بالاتحاد السوفيتى.

وقد كان من أبرز الخطوات فى هذا الصدد الإعلان عـــن قيـام مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة بين الدول الاشتراكية فى يناير ١٩٤٩ والذى عرف اختصاراً بمنظمة الكوميكون Comecon وقد ضمت هـــذه المنظمة فى عضويتها إلى جانب الاتحاد الســـوفيتى كـلاً مـن بلغاريـا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا ورومانيا(١).

وقد استهدفت هذه المنظمة التنسيق بين دول الكتلة الاشتراكية فـى المجال الاقتصادى وتبادل الخبرات الفنية وتشجيع التبادل التجـــارى بيـن الدول الأعضاء.

ومن الجدير بالذكر أن معظم المساعدات الاقتصاديـــة الخارجيـة التى قدمها الاتحاد السوفيتى خلال مرحلة الحرب الباردة كـانت قـاصرة على الدول الشيوعية.

---

(١) انضمت إلى منظمة الكوميكون بعد ذلك عدة دول اشتراكية منها ألبانيا، وألمانيا الشرقية، ومنغوليا.

(٣) الأداة الدعائية:

لعبت الأداة الدعائية دوراً بارزاً خلال سنوات الحرب الباردة كأداة رئيسية من أدوات التنافس والصراع فيما بين المعسكرين، وقد كان مرد ذلك إلى تزايد أهمية العامل الأيديولوجى فى العلاقات الدولية، فراح كل من القطبين - متأثراً بأيديولوجيته وقيمه - يضفى صبغة أيديولوجية على الصراع الدولى وعلى موافقه إزاء الطرف الآخر. وقد استخدم السوفييت الأداة الدعائية لتحسين صورتهم على المستوى العالمى ولاسيما فى مواجهة دول العالم الثالث (فأطلقوا على الدول الاشتراكية تسمية الدول المحبة للسلام Peace loving states) ، بينما راحوا يصفون الدول الغربية بالدول الاستعمارية والإمبريالية وذلك بهدف تشويه صورة الدول الغربية لدى الدول النامية حديثة الاستقلال، فضلاً عن محاولاتهم إقناع هذه الأخيرة بأن الأيديولوجية الرأسمالية هى المحرك للصراع والتوتر الدولى باعتبارها تقوم على أساس فكرة التناقض، وأن السبيل الوحيد أمام دول العالم الثالث للتخلص من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تعانى منها هو اعتناقها للأيديولوجية الشيوعية باعتبارها الأكثر ملاءمة لظروف هذه الدول، وقد اعتمد السوفييت على الأحزاب الشيوعية المحلية فى العديد من دول العالم الثالث فى مجال الترويج للأفكار الشيوعية والدعاية لها. وفى هذا الإطار تم إنشاء جهاز الكومنفورم (مكتب الأعلام الشيرعى) عام ١٩٤٧ ليكون بمثابة همزة الوصل بين الحزب الشيوعى السوفيتى وبين الأحزاب والحركات الشيوعية فى دول العالم المختلفة، وقد استمر الكومنفورم فى أداء دوره حتى تم حله عام ١٩٥٦ مع بدايات مرحلة التعايش السلمى

بين المعسكرين فى أعقاب وفاة ستالين عام ١٩٥٣ وحلــول خروتشــوف محله فى زعامة الاتحاد السوفيتى.

ومجمل القول......

أن مرحلة الحرب الباردة قد اتسمت بعدة سمات رئيسية:

(١)التوتر الشديد فى العلاقات السياسية بين القطبين وبيـــن المعســكرين الشرقى والغربى بصفة عامة وقد نتج ذلك عن ازدياد درجة التشـــدد والتصلب فى مواقف القطبين تجاه بعضهما البعض علـــى المســتوى الدبلوماسى بحيث أصبح إظهار المرونة من جانب أى منـــهما يعنـــى تعريض هيبته أو مكانته الدولية للخطر.

(٢)تزايد حدة الحملات الدعائية وحملات التشـــهير المتبادلــة بيــن دول المعسكرين، وغلبة التبريرات العقائدية على سياسات القطبين بدلاً من التبريرات التى تعتمد على المصالح القومية.

(٣) تزايد حدة سباق التسلح بين القطبيـــن علـــى المســتويين التقليـدى والنووى فقد قام السوفييت بتفجير قنبلتهم الذريـــة عـــام ١٩٤٩ بعــد خمس سنوات من القنبلة الأمريكية (١٩٤٥)، وعلى الرغم من ذلـــك فقد اتسمت هذه المرحلة بتفوق الولايات المتحدة فى مجـــال التســلح النووى. وقد ارتكز التوازن الإستراتيجى بين القطبيـــن خـــلال هــذه المرحلة على مبدأ القدرة على التدمير بالضربة الأولى مما تسبب فـــى تصاعد مخاوف كل طرف من التعرض لهجوم نووى مبـــاغت مـــن الطرف الآخر، الأمر الذى أسهم فى توتر علاقات القطبين.

(٤)شهدت هذه المرحلـــة تزايـــد حـــدة سياســـات الاســـتقطاب الدولـــى Polarization حيث سعى كل من القطبين لاجتذاب أكبر عدد مـــن

دول العالم الثالث حديثة الاستقلال إلى جانبه بعد أن كانا قد نجحا فـى اقتسام القارة الأوروبية بينهما وتقسيمها إلى دائرتى نفوذ لكل منـــهما، وقد أسفر ذلك عن انقسام العالم إلى كتلتين متعـــاديتين أيديولوجيـاً، ومتناقضتين من حيث مصالحهما وأهدافهما مما ادى إلى تزايد قـــوة التماسك بين أعضاء كل كتلة فضلاً عن تزايد قدرة كل من القطبيـــن على السيطرة والهيمنة على بقية الدول الأعضاء فى الكتلة.

وقد ترتب على ذلك أن بدأ تصنيف دول العالم استناداً إلى انتمائها العقائدى، واستخدمت الدولتان القطبيتان سياســات الـترغيب والـترهيب لحمل بقية دول العالم الثالث على الانضواء تحت لوائها.

(٥)انتقال حالة العداء والتوتر الشديد فى علاقات القطبين إلـــى منظمـــة الأمم المتحدة التى تحولت إلى منبر للحرب الدعائية وتبادل الاتهامات وحملات التشهير بين القطبين، وقد ترتب على انتقال الحرب البـــاردة إلى ساحة الأمم المتحدة إساءة استخدام الدول القطبية دائمة العضويـــة فى مجلس الأمن لحقها فى الاعتراض التوقيفى على قرارات المجلس (حق الفيتو) مما أدى إلى إصابة هذا الجهاز الحيـــوى مـــن أجـــهزة المنظمة بالشلل فعجز عن القيام بدوره فـــى حفـــظ السـلم والأمـــن الدوليين.

وقد أدى ذلك إلى تراجع مصداقية الأمم المتحدة كمنظمـــة دوليـــة عالمية للسلام وشكك - مرة ثانية - فى مدى واقعية فكرة الأمن الجمـــاعى Collective Security للتطبيق باعتبارها فكرة مثالية لا تتفق مع طبيعـة البيئة الدولية التى تقوم على تعدد وتعارض المصالح.

الفصل الثانى(*)

مرحلة التعايش السلمى

١٩٥٦-١٩٦٩

"إن ثمة إمكانية لاستبعاد الحرب العالمية من حياة الجماعة الإنسانية حتى قبل تحقيق النصر الكامل للاشتراكية فى العالم، وفى ظل وجود الرأسمالية فى شطرمن العالم"

من مقررات المؤتمر الحادى والعشرين

للحزب الشيوعى السوفيتى

(*) أعد هذا الفصل الدكتور/ ممدوح منصور

الفصل الثانى

مرحلة التعايش السلمى Peaceful Coexistence

١٩٥٦-١٩٦٩

اتسمت هذه المرحلة بتراجع حدة المجابهة بين القطبيـــن بحيـث باتت مواقفهما الدبلوماسية تجمع بين التشدد حينا وبين المرونة حينا آخـر، كما اتسمت هذه المرحلة - بوجه عام - بتراجع حدة الجمود الأيديولوجى، بحيث لم يعد للمؤثرات العقائدية نفس الأثر الذى كان لها خـلال مرحلـة الحرب الباردة فى توجيه دفة السياسات الخارجية للقطبين. وقد كان مـن العوامل التى ساعدت على حدوث هذه التغيرات تضخم الترسانة النوويـة لكل من القطبين وزيادة مخاطر المواجهة العسكرية بينهما بحيث أصبـح شغلهما الشاغل هو محاولة إيجاد صيغة للتعـايش المشـترك Modus Vivendi يمكن من خلالها تجنب مخاطر الدمار الشامل الذى سـيحيق بهما وبالبشرية كلها من جراء أية مواجهات عسكرية بينهما.

وترتد هذه التحولات فى علاقات القطبين إلى عدة عوامـل مـن أبرزها مايلى:

أولاً: دور العامل التكنولوجى:

وقد تمثل ذلك فى زيادة مخاطر التسلح النووى مع حلول منتصـف الخمسينيات بعد وصول القطبين إلى مستوى التكافؤ النووى، وكـذا بعـد امتلاكهما للصواريخ عابرة القارات حاملة الرؤوس النووية ICBM وقـد دفع ذلك القطبين إلى تبنى سياسات واستراتيجيات قوامها التحفظ والإثنـاء

الذاتى . وقد كان من مظاهر ذلك تخلى الولايات المتحدة عن استراتيجية الانتقام الشامل ودبلوماسية حافة الهاوية التى ارتبطت بها خلال مرحلة الحرب الباردة، واتباعها استراتيجية الحرب المحدودة Limited War التى قوامها الاعتماد على أسلحة تكتيكية والابتعاد عن أسلحة الدمار الشامل ومحاولة احتواء أية صراعات مسلحة بهدف منع تصاعدها إلى مستوى المجابهة بين القطبين. غير أن الانتقادات التى وجهت إلى استراتيجية الحرب المحدودة - والتى كان من أبرزها عدم وجود ما يضمن عدم تصاعد هذه الحرب واتساع نطاقها - قد دفعت الولايات المتحدة إلى التحول مرة أخرى إلى استراتيجية جديدة هى استراتيجية الاستجابة المرنة Flexible Response التى تقوم على وجود صور متدرجة من الاستجابات العسكرية بحيث تتناسب مع حجم التهديد الذى تتعرض له الولايات المتحدة سواء من خلال الأسلحة التقليدية أو النووية.

وعلى الجانب المقابل (الاتحاد السوفيتى) كان إدراك الزعامة السوفيتية لمخاطر المواجهة النووية دافعاً إلى تبنى سياسة خارجية جديدة إزاء العالم الغربى تمثلت فيما عرف آنذاك بسياسة التعايش السلمى Peaceful Coexistence فقد أعلن الزعيم السوفيتى خروتشوف أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى (فبراير ١٩٥٦) عن تخلى الاتحاد السوفيتى عن مبدأ حتمية الصراع بين النظامين الشيوعى والرأسمالى والذى ظل طيلة سنوات حكم ستالين هو الموجه للسياسة الخارجية السوفيتية، واعتماده مبدأ إمكانية التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المتباينة، وذلك تفادياً لخطر الحرب بين المعسكرين ومحاولة احتواء نطاق الصراعات المسلحة وعدم تصعيدها ومحاولة تسوية الخلافات بالطرق الدبلوماسية والسلمية.

وقد أدت تلك التطورات إلى فتور حماس كل من القطبين لإقامـــة المزيد من المحالفات العسكرية، ولا سيما بعد أن قللت الصواريخ عـــابرة القارات من الأهمية الاستراتيجية للقواعد العسكرية الخارجية التى كـــانت تحمل القطبين بنفقات مالية ضخمة. وعلى الرغم مـــن ذلــك فقــد أبقـــى القطبان على الأحلاف التى سبق إنشاؤها خلال مرحلة الحـــرب البـــاردة تعبيراً عن التضامن الأيديولوجى بين أعضائها، وكذا باعتبارهـــا بمثابـــة تحديد لمناطق نفوذ كل منهما فى مواجهة الآخر، وكأداة للسيطرة والهيمنـة على المتحالفين فى بعض الأحيان.

وقد كان من شأن هذه التطورات أيضاً حدوث تقدم كبير نسبياً فـــى مجال الرقابة على التسلح، وقد كان من مظاهر ذلك إبرام معاهدة حظـــر انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٦٠، وكذا معاهدة الحظر الجزئى للتجارب النووية عام ١٩٦٣ (والتى تم بمقتضاها الاتفـــاق علـــى منـــع إجـــراء التفجيرات النووية فى الفضاء الخارجى أو فى الغـــلاف الجـــوى أو فـــى أعماق البحر، وقصرها فقط على التفجيرات النووية فى باطن الأرض).

وقد كان من ابرز سمات هذه المرحلة ظهور مفـــهوم معالجـــة أو إدارة الأزمات Crisis Management بهدف احتواء نطـــاق الأزمـــات الدولية والحيلولة دون تصعيدها إلى مســـتوى الصـــراع المســـلح وذلـــك اعتماداً على أساليب ضبط النفس والإنثـــاء الذاتـــى ودعـــم الاتصـــالات الدبلوماسية والمشاورات والتنسيق بين القطبين فى مواقف الأزمات(*).

(*) تم فى هذا الإطار إنشاء ما عرف بالخط الساخن Hot Line بين البيت الأبيض والكرملين بـــهدف دعم وسائل الاتصال المباشر على مستوى القمة فى أوقات الأزمات بهدف اســـتيضاح المواقـــف واستجلاء الأمور حتى لا تتصاعد مواقف الأزمات عن طريق الخطأ فى الحسابات أو سوء التقدير إلى مستوى الصراعات المسلحة.

وقد بدا ذلك واضحاً خــلال أزمــة الســويس ١٩٥٦، وأزمــة الصواريخ الكوبية ١٩٦٢، وحرب يونيو ١٩٦٧.

هذا وقد انعكس الانفراج الذى شهدته علاقــات القطبيــن خــلال مرحلة التعايش السلمى على أداء منظمة الأمم المتحــدة حيــث أصبحــت قادرة على القيام بدورها فى حفظ السلم والأمن الدوليين بكفاءة وبفعاليــة وذلك نتيجة امتناع القطبين عن الإســراف فــى اســتخدام حقــهما فــى الاعتراض التوقيفى على قرارات مجلس الأمن (حق الفيتو)، كما أظـــهر القطبان قدراً من التفاهم والتعاون بهدف احتواء الأزمات الدوليــة، ممــا أمكن الأمين العام للمنظمة الدولية من القيــام بــدور أكــبر فــى مجــال الدبلوماسية الوقائية بهدف احتواء الصراعات الإقليمية الناشبة فى المناطق المختلفة من العالم الثالث والحيلولة دون تحولها إلــى ســاحة الصــراع والتنافس بين القطبين. وقد كان من أبرز الأمثلة فى هذا المجـــال أزمــة الكونغو ١٩٦٠.

ثانياً: زيادة حدة الانشقاق والانقسام داخل الكتلتين:

لقد كان من جراء تحول العلاقات بين القطبين من مرحلــة الحرب الباردة إلى مرحلة التعايش السلمى وتراجع حدة العداء بينــهما، أن بدأت بوادر الانشقاق والخلافات فى الظهور فى إطار كل مــن الكتلتيــن، حيث حدثت عدة تصدعات فى بنيان كل من المعسكرين. وقد كــان مــن شأن ذلك أن ضعفت قدرة كل من القطبين على تحقيق الهيمنة أو السـيطرة شبه الكاملة على حلفائه كما كانت الحال خلال سنوات الحرب الباردة.

وقد هيأت تلك الانقسامات إلى ظهور نوع مــن التعــارض فــى سياسات الدول الأعضاء فى كل من الكتلتيـــن وأدى تضــارب مواقفــها وتعارض مصالحها إلى إضعاف قوة التماسك الداخلى فى إطار كل مـــن

التحالفين (الناتو ووارسو) إلى تراجع مستوى الولاء للدولة زعيمة الحلف. وقد دعا ذلك البعض إلى القول بأن النسق الدولى العالمى قد تحول من صورة القطبية الثنائية المحكمة إلى صورة القطبية الثنائية المفككة. وقد تمثلت أبرز مظاهر الانقسام والتفكك فى إطار كل من الكتلتين فيما يلى:

(١) بالنسبة للكتلة الغربية:

أ- المواقف الاستقلالية لفرنسا فى عهد الجنرال ديجول:

سادت السياسة الخارجية الفرنسية فى عهد الجنرال ديجول نزعة استقلالية متمردة على الهيمنة الأمريكية على أوروبا الغربية، وقد دعا ديجول إلى أن تكون "أوروبا للأوروبيين"كما عارضت فرنسا انضمام بريطانيا إلى السوق الأوروبية المشتركة. ومن ناحية أخرى فقد شكك ديجول فى مصداقية المظلة النووية الأمريكية لأوروبا الغربية، وحث الدول الغربية على تنمية قدراتها النووية الضاربة Force De Frappe ، وقد أدت هذه النزعة إلى تنامى القدرات النووية للعديد من دول أوروبا الغربية مما هيأ إلى تراجع اعتمادها على الحماية العسكرية الأمريكية.

هذا وقد اتسمت السياسة الخارجية الفرنسية فى عهد ديجول بالاستقلالية عن السياسة الأمريكية، حيث اعترفت فرنسا بالصين الشيوعية عام ١٩٦٤، كما وطدت علاقاتها بالاتحاد السوفيتى وحليفاته من الدول الشيوعية فى شرق أوروبا، فضلاً عن الانتقادات الفرنسية للتدخل الأمريكى فى كل من الكونغو والدومينيكان وفيتنام.

وقد كان من العوامل التى ساعدت على ذلك اتساع الفجوة بين امتلاك الإمكانات والقدرات النووية الهائلة وبين إمكانية وضعها موضوع الاستخدام الفعلى فى أوقات الأزمات الدولية، مما أدى إلى انخفاض

مصداقية السلاح النووى كأداة للردع، وقد صاحب ذلــك تراجــع خطــر التهديد الشيوعى لأوروبا الغربية بعدما أعلن خروتشوف عن تبنيه لسياســة التعايش السلمى ، وقد هيأت كل هذه العوامل مجتمعة إلى فتــور حمــاس الدول الأوروبية للارتباط الوثيق بالسياسات والمواقف الأمريكية، مما أدى إلى إضعاف تماسك حلفاء الأطلنطى.

ب- استعادة دول أوروبا الغربية لقوتها الاقتصادية:

أدت المساعدات الاقتصادية الأمريكية التى حصلت عليها الــدول الأوروبية الغربية فى إطار مشروع مارشال، فضلاً عن الجهود الأوروبية الدءوبة لإعادة الاتزان إلى الاقتصاديات الأوروبيــة مــرة أخــرى بعــد انهيارها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى تقليل حاجة الأوروبيين إلــى الدعم الاقتصادى الأمريكى.

ومن ناحية أخرى فقــد أدرك الأوروبيــون -بحســهم السياســى الناضج- خطر الاعتماد على الدعم الاقتصادى الأمريكى والركون أليــه بما يستتبعه ذلك من تبعية سياسية للولايات المتحدة، فعلــت الأصــوات منادية بتحقيق التكامل الاقتصادى الأوروبى. وقد تمثل ذلك فــى التوقيــع على معاهدة روما فى مارس ١٩٥٧ والتى مثلت اللبنة الأولى فــى بنــاء الوحدة الاقتصادية الأوروبية التى أخذت فى النمو والنضــوج والاتســاع لتشمل عدداً أكبر من الدول الأوروبية. وقد هيــأت الوحــدة الاقتصاديــة الأوروبية مجالاً أكبر من الاستقلالية السياسية بعيداً عن خطــر الهيمنــة الأمريكية.

جـ- سياسات الانفتاح على الشرق الألمانية·

في أواخر عقد الستينيات دعا المستشار الألماني فيلي برانت إلى تحسين العلاقات بين شطري القارة الأوروبية وفتح آفاق جديدة للتعاون مع الاتحاد السوفيتي فيما عرف بسياسة الانفتاح على الشرق Ost Politik ، وقد استهدفت هذه السياسة إتاحة المجال لألمانيا الغربية لكي تمارس دوراً أكثر نشاطاً في التأثير في الشؤون الأوروبية، سعياً وراء تحقيق حلم الوحدة الألمانية.

وقد أسهم رد الفعل الإيجابي الذي أظهره الاتحاد السوفيتي تجاه هذه السياسة الألمانية الجديدة في دعم هذا التوجه الإستقلالي الألماني. ويمكن القول بأن سياسة الانفتاح على الشرق كانت تخدم المصالح الألمانية في تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي على أمل الحصول على موافقته على إعادة توحيد شطري ألمانيا، كما أنها كانت في نفس الوقت تتيح للاتحاد السوفيتي مجالاً أكبر للتأثير في الشؤون الأوروبية، كما أنها كانت تأتي متمشية مع رغبته في إزكاء جذوة الانقسام داخل الكتلة الغربية تمكيناً له من استغلال تباين المصالح في إحداث تصدع في المعسكر الغربي بدلاً من اضطراره لمواجهة أوروبا الغربية ككتلة متماسكة موحدة خلف الزعامة الأمريكية.

(٢) أما بالنسبة للكتلة الاشتراكية:

فقد تمثلت الانقسامات والإنشقاقات التي شهدتها خلال مرحلة التعايش السلمي فيما يلي:

أ- الاضطرابات الداخلية في بولندا (يوليو ١٩٥٦):

فقد طالب جومولكا الأمين العام الجديد للحزب الشيوعي البولندي بإتاحة قدر أكبر من الحريات السياسية ومن الاستقلالية للقرار السياسي

البولندى. وقد أسفر الأمر عن إذعان السوفييت للمطالب البولندية حيث اضطروا إلى القبول بشكل متميز من أشكال التطبيق المحلى للشيوعية فى بولندا، مع تخفيف قبضة الهيمنة السوفيتية عليها.

ب- الاضطرابات الشعبية فى المجر (خريف ١٩٥٦):

دفعت الاضطرابات الشعبية التى شهدتها المجر فى خريف ١٩٥٦ حكومة إيمرى ناجى إلى الموافقة على المطالب الشعبية المناوئة للهيمنة السوفيتية، وقد أخذت حكومة ناجى تتهيأ للإعلان عن حياد المجر، وإقامة حياة ديمقراطية تقوم على أساس التعددية الحزبية، فضلاً عن المطالبة بانسحاب المجر من عضوية حلف وارسو. وقد لاقت تلك المطالب الشعبية تأييداً كبيراً من جانب الدول الغربية التى أعلنت تضامنها مع موقف الحكومة المجرية. وإزاء تلك التطورات - ومخافة أن يؤدى التهاون مع مثل تلك النزعات التحررية - اقدم السوفييت على التدخل عسكرياً فى المجر - تحت ستار قوات حلف وارسو- بهدف سحق التمرد، حيث تم الإعلان عن إقامة حكومة مجرية جديدة موالية للاتحاد السوفيتى بزعامة يانوش كادار.

جـ- تمرد الصين الشيوعية على زعامة الاتحاد السوفيتى للحركة الشيوعية العالمية:

فى أعقاب تبنى القيادة السوفيتية بزعامة خروتشوف سياسة التعايش السلمى وتخليها عن مبدأ حتمية الصراع مع الغرب، اتهمت الصين الشعبية (بزعامة ماوتسى تونج) الاتحاد السوفيتى بالارتداد عن الشيوعية وبانتهاج سياسات ذات طبيعة إمبريالية تهدف إلى الهيمنة على دول أوروبا الشرقية والعالم الاشتراكى. وقد برزت هذه الخلافات فى أعقاب اتفاق الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على منع انتشار الأسلحة النووية.

د- اتجاه رومانيا الاستقلالي:

اتخذت رومانيا موقفاً استقلالياً داخل الكتلة الاشتراكية منذ عام ١٩٦٣، إذ راحت تندد بالسياسات السوفيتية وأدانت التدخلات العسكرية السوفيتية في الدول الاشتراكية، وقد تبادلت رومانيا التمثيل الدبلوماسي مع ألمانيا الغربية، واتخذت موقفاً حيادياً إزاء الصراع العربي الإسرائيلي وهي كلها مواقف تتناقض مع السياسة الخارجية السوفيتية. وخلال الفترة من عام ١٩٦٤ وحتى عام ١٩٦٧ امتنعت رومانيا عن المشاركة في المناورات العسكرية لحلف وارسو، فضلاً عن مقاطعة الرئيس الروماني تشاوشيسكو لمؤتمرات قمة دول حلف وارسو.

هـ- الاضطرابات الداخلية في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨:

أو ما عرف بربيع براج، حين شرعت الحكومة التشيكية بزعامة الكسندر دوبتشيك في القيام ببعض الإصلاحات السياسية ذات الطابع الديمقراطي، مما دفع السوفييت إلى التدخل عسكرياً - بقوات حلف وارسو- للقضاء على ما أسموه بحركة التخريب العقائدي في الحزب الشيوعي التشيكي. وقد نجح السوفييت بالفعل في قمع هذا التمرد بكل عنف، وقاموا بطرد دوبتشيك من زعامة الحزب الشيوعي التشيكي.

وخوفاً من انتشار تلك النزعات التحررية التي كانت تنذر بتفكك الكتلة الاشتراكية، أعلن السوفييت عام ١٩٦٨ عما سمي بمبدأ بريجنيف الذي مفاده أن الأحزاب الشيوعية المحلية في الدول الاشتراكية مسئولة في المقام الأول أمام الحركة الاشتراكية العالمية ككل قبل أن تكون مسئولة أمام طبقة البروليتاريا في دولها، ومن ثم فهي ليست حرة في التخلي عن المبادئ الشيوعية، لأن من شأن ذلك أن يعرض تماسك الجماعة الاشتراكية ككل للخطر، وأن مثل هذا الخطر يسوغ لدول الجماعة

الاشتراكية مجتمعة أن تتدخل - بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة عند الاقتضاء- لحمل هذه الدول على العودة إلى حظيرة الشيوعية مرة أخرى. وقد عرف هذا المبدأ بعد ذلك بفكرة السيادة المقيدة.

ثالثاً: ظهور مجموعة دول عدم الانحياز:

لاحت بوادر حركة عدم الانحياز Non Alignment أثناء انعقاد مؤتمر باندونج (عاصمة إقليم جاوة بإندونيسيا) الذى ضم مجموعة الدول الأفرو - أسيوية حديثة الاستقلال. وقد خيم على هذا المؤتمر جو من الكراهية للاستعمار.

وتقوم فكرة عدم الانحياز على أساس محاولة إبقاء دول العالم الثالث بعيدة عن الارتباط بأى من المعسكرين الغربى أو الاشتراكى تجنيباً لهذه الدول مخاطر الإنزلاق إلى الحرب الباردة بين المعسكرين مما يترتب عليه تأليب عداء أى من القطبين لهذه الدول دون مقتضى.

وقد مرت حركة عدم الانحياز -عبر تاريخها- بعدة مراحل ونقاط تحول هامة كان من أبرزها مؤتمر بريونى الذى عقد بيوغسلافيا عام ١٩٥٦ والذى شهد انضمام يوغسلافيا إلى حركة عدم الانحياز وهو ما كان يمثل حدثاً ذا دلالات هامة إذ كان يشير إلى أن عضوية الحركة مفتوحة أمام جميع الدول وليست قاصرة على الدول حديثة الاستقلال وحدها، كما أنها ليست موجهة ضد الدول الغربية وإنما هى تضم أيضاً الدول الرافضة للهيمنة السوفيتية، ذلك فضلاً عن كون العضوية فى الحركة مفتوحة أمام أية دولة - بغض النظر عن موقعها الجغرافى، وبغض النظر أيضاً عن طبيعة نظامها السياسى أو فكرها المذهبى - طالما كانت تسعى لكى تؤمن لنفسها سياسة خارجية مستقلة، بعيداً عن هيمنة القطبين الكبيرين.

كذلك فقد خطت الحركة خطوة كبيرة إلى الأمام من خلال مؤتمر القاهرة لدول عدم الانحياز الذى عقد عام ١٩٦١ والذى تم خلاله الاتفاق على مدلول مفهوم عدم الانحياز وكذا إرساء المبادئ والخطوط العريضة لسياسة عدم الانحياز والتى كان من أبرزها : تجنب الارتباط بالأحلاف العسكرية التى تقيمها الدول القطبية فى إطار الحرب الباردة، وعدم السماح للقطبين بإقامة قواعد عسكرية على أراضيها، وعدم إبرام اتفاقيات ثنائية مع القوى القطبية، ذلك فضلاً عن انتهاج الدول غير المنحازة سياسة التعايش السلمى بين النظم المتباينة إيديولوجياً أو مذهبياً، وتعهد الدول غير المنحازة بمساندة حركات التحرر والاستقلال القومى فى العالم الثالث (ولعل فى ذلك مكمن تسمية هذه الحركة أيضاً بالحياد الإيجابى تمييزاً لها عن فكرة الحياد القانونى التقليدية المعروفة فى القانون الدولى).

وقد اتخذ القطبان موقفاً عدائياً مناوئاً لفكرة عدم الانحياز فى بادئ الأمر، ثم ما لبثا أن أعادا تقييم مواقفهما إزاء دول عدم الانحياز، فعملا كل من جانبه على استمالة دول عدم الانحياز إلى معسكره من خلال إغرائها بتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية فضلاً عن الدعم الدبلوماسى فى المحافل الدولية، وهو ما حدا بالبعض إلى وصف علاقات القطبين خلال هذه المرحلة بالتعايش التنافسى Competitive Coexistence حيث واصل القطبان محاولاتهما الدءوبة لبسط نفوذهما على مناطق العالم الثالث فى إطار ما عرف بظاهرة الامتداد الجغرافى، وقد هيأ ذلك لظاهرة ثنائية التواجد القطبى على أرض العالم الثالث حيث راح كل قطب يعمل على إيجاد منطقة لنفوذه هى أية منطقة يحصل فيها القطب الآخر على منطقة لنفوذه حفاظاً على التوازن الإستراتيجى العالمى فيما بينهما.

وعلى الرغم من الانتقادات التى وجهت إلى حركة عدم الانحيـــاز وعلى الرغم مما أثبته الأيام بعد ذلك من أن الفكرة كانت تنطـــوى علـــى قدر لا بأس به من المثالية، متجاهلة واقع العلاقات الدولية وطبيعة البيئـــة الدولية، فإنه يمكن القول بأن وجود حركة عدم الانحيـــاز علـــى مســـرح السياسة الدولية خلال هذه الفترة قد ساهم إلى حد كبير فـــى تهدئـــة حـــدة التوتر فى علاقات القطبين حيث دفعهما إلى اعتماد أســـاليب أقـــل عنفـــاً وعدائية.

وقد كان من أبرز أدوات الاستقطاب التى لجأ إليها القطبان خـــلال هذه المرحلة ما عرف بأدوات التنافس السلمى، والتى منها :

(١) الأداة الاقتصادية:

والتى كان من أبرز مظاهر استخدامها خلال هذه الفترة:

أ- مبدأ ايزنهاور Eisenhower Doctrine (١٩٥٧)

والذى مثل تعهداً من جانب الولايات المتحدة الأمريكية بمســـــاندة الدول التى تتعرض لتهديد من جانب القوى الشيوعية وذلك مـــن خـــلال إمدادها بالمساعدات الاقتصادية أو الدعم العسكرى من خلال الأســـلحة أو من خلال التدخل عسكرياً لدعم النظم الموالية للغرب. وقد شهدت منطقـــة الشرق الأوسط تطبيقات عدة لهذا المبدأ فى إطار ما عرف بسياسة مـــلء فراغ القوة Power Vacuum الذى خلفه انسحاب القـــوى الاســـتعمارية القديمة (بريطانيا وفرنسا) من الشرق الأوسط بعد أزمة السويس، وتخـوف الولايات المتحدة من أن يسعى السوفييت لبسط نفوذهـــم علـــى المنطقـــة، ولاسيما بعدما أعلن عن صفقـــة الأســـلحة التشـــيكية لمصـــر (١٩٥٥)،

وموافقة الاتحاد السوفيتى على تمويل مشروع السد العالى (١٩٥٦) بعد سحب عرض التمويل الغربى للمشروع، لذلك فقد قامت الولايات المتحدة بالتدخل عسكرياً – ضمن هذا المشروع - لدعم حلفائها فى المنطقة على نحو ما حدث فى (الأردن، ١٩٥٧) و (لبنان ، ١٩٥٨) فى مواجهة الضغوط التى مارسها التيار القومى الموالى للاتحاد السوفيتى على هذه النظم آنذاك.

ب- مشروع التحالف من أجل التقدم Alliance For Progress

وقد قدمت الولايات المتحدة بمقتضاه مساعدات اقتصادية لدول أمريكا اللاتينية مخافة انتشار الشيوعية فيها ولاسيما فى أعقاب نجاح الثورة الشيوعية فى كوبا بزعامة فيدل كاسترو عام ١٩٥٩.

(٢) التدخلات العسكرية Military Interventions

ويقصد بها استخدام القوة المسلحة بهدف التدخل لدعم نظم الحكم القائمة فى دول أخرى موالية للدولة التى تقوم بالتدخل أو لإسقاط نظم حكم مناوئة لها، ومن الأمثلة على ذلك: تدخل الولايات المتحدة فى لبنان ١٩٥٨، كوبا ١٩٦١، الدومينيكان ١٩٦٥، وكذا تدخل الاتحاد السوفيتى فى المجر ١٩٥٦، وتشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨.

وعلى الرغم مما اتسمت به علاقات القطبين خلال مرحلة التعايش السلمى من تراجع حدة العداء والبعد عن اللجوء إلى الوسائل العنيفة فى إدارة الصراع، فقد شهدت علاقات القطبين بعض الأزمات الدولية الحادة بين القطبين والتى كادت أن تعصف بالأمن والسلم الدوليين، لولا الإدراك الواعى من جانب كل منهما لخطر المواجهة النووية بينهما، ومن ثم

ممارستهما لضبط النفس والإثناء الذاتى منعاً لتصاعد حدة هذه الأزمـــات. ومن أبرز الأزمات التى شهدتها علاقات القطبين خلال هـــذه المرحلـــة : أزمتا برلين ١٩٥٨، ١٩٦١، وأزمة الصواريخ الكوبية ١٩٦٢.

أزمة الصواريخ الكوبية (١٩٦٢)

تعد أزمة الصواريخ الكوبية أخطر الأزمات الدولية التى شـــهدتها العلاقات الأمريكية السوفيتية. وترتد جذور هذه الأزمة إلى تحـــول كوبـــا إلى الشيوعية بوصول فيدل كاسترو إلى السلطة فى كوبا عام ١٩٥٩. وقد عمل نظام كاسترو على توطيد علاقاته مع الاتحاد السوفيتى علـــى كافـــة الأصعدة. ولعل أخطر ما قام به النظام الشيوعى فى كوبا يتمثل فى إقدامـه على نشر قواعد للصواريخ متوسطة المدى والقادرة على حمل الـــرؤوس النووية ونظراً لقرب موقع كوبا من السواحل الجنوبية للولايات المتحـــدة (حيث تبعد حوالى ٢٠٠ كم تقريباً عن سواحل فلوريدا) فقـــد استشـــعرت الولايات المتحدة خطراً شديداً على أمنها القومى من احتمـــال تعرضـــها لهجمات بالصواريخ ذات الرؤوس النووية سوفيتية الصنع والتى تم شحنها وإقامة منصات لإطلاقها فى الأراضى الكوبية.

وبحلول شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ رصدت طـــائرات الاســـتطلاع الأمريكية دلائل على وجود هذه القواعد، ومن ثم أعلن الرئيس الأمريكـــى كينيدى فرض حصار بحرى حول جزيرة كوبا لمنع وصول المزيـــد مـــن الصواريخ السوفيتية إليها، محذراً من أن الولايات المتحدة سترد علـــى أى هجوم على أراضيها بضربة انتقامية موجهة إلى أراضى الاتحاد السوفيتى ذاته.

وقد حبس العالم أنفاسه لعدة أيام فى ظل ذلك التصعيد الخطير لحدة الأزمة بين القطبين واقترابهما من المواجهة العسكرية المباشرة بينهما حتى صدرت الأوامر من القيادة السوفيتية إلى السفن المتوجهة إلى كوبا والتى على متنها المزيد من الصواريخ بالعودة إلى الموانئ السوفيتية مرة أخرى تجنباً للمزيد من التصعيد، كما تم تبادل الرسائل بين كل من كينيدى وخروتشوف حيث اتفقا على أن تتم إزالة قواعد الصواريخ السوفيتية من الأراضى الكوبية مقابل تعهد الولايات المتحدة بعدم غزو كوبا، وهو ما اعتبره الاتحاد السوفيتى نصراً كبيراً باعتباره قد نجح فى إقامة نظام حكم شيوعى موال له على مقربة من الأراضى الأمريكية. وبالمقابل فقد اعتبر الأمريكيون سحب الصواريخ السوفيتية من الأراضى الكوبية بمثابة انتصار كبير للدبلوماسية الأمريكية، ودليلاً على فعالية أسلوب التشدد الدبلوماسى وسياسة حافة الهاوية فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى.

وقد أظهرت هذه الأزمة الأهمية الحيوية لوجود آليات لاحتواء الأزمات ومعالجتها تجنباً لمخاطر التصعيد التى تنطوى على خطر الدمار الشامل والإفناء المتبادل للقطبين. وقد أعقب ذلك إقامة الخط الساخن Hot line الذى يربط بين القيادتين الأمريكية والسوفيتية عام ١٩٦٣ تمكيناً لهم من استيضاح المواقف وتيسيراً لإمكانية الاتصال المباشر بينهما لاحتواء الأزمات الدولية التى قد تطرأ على علاقاتهما فى المستقبل.

الفصل الثالث(*)

مرحلة الانفراج

١٩٦٩– ١٩٧٩

"الانفراج ليس اتفاقاً، لأن الاتفاق تحالف بين بلدان ذات مصالح مشتركة، أما الانفراج فتفاهم بين دول ذات مصالح متباينة، وتلك هي الحالة القائمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي"

" من مذكرات الرئيس الأمريكي الأسبق"

ريتشارد نيكسون

(*) أعد هذا الفصل الدكتور/ ممدوح منصور.

الفصل الثالث

مرحلة الانفراج Détente

١٩٦٩-١٩٧٩

شهدت العلاقات الأمريكية - السوفيتية بحلول نهاية الستينيات وبداية السبعينيات نقطة تحول هامة نحو تخفيف حدة التوتر والعمل على إيجاد مجالات جديدة للتعاون المشترك بين القطبين.

ففى أعقاب وصول ريتشارد نيسكون إلى رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٨، وتعيينه هنرى كيسنجر مستشاراً للأمن القومى الأمريكى، بدأ الاثنان فى وضع أسس استراتيجية جديدة للتعامل مع الاتحاد السوفيتى، وذلك بهدف تحقيق حالة من الاسترخاء العسكرى Military Relaxation فى إطار العلاقات بين المعسكرين ولاسيما فى مجالات الحد من التسلح، ذلك فضلاً عن محاولة التركيز على نقاط الالتقاء فى المصالح بين الجانبين بدلاً من تركيز الاهتمام على أوجه الخلاف.

وقد جاءت هذه التحولات فى السياسة الخارجية الأمريكية لتعكس إدراك الإدارة الأمريكية الجديدة لخطر المواجهة النووية ولاسيما فى ظل النمو الهائل للقدرات التدميرية التى تمثلها الترسانتان النوويتان للقطبين.

وقد عبر نيكسون عن الهدف الرئيسى من وراء سياسة الانفراج إزاء موسكو - وعلى نحو ما ورد فى مذكراته - بقوله:"إن الغاية الحقيقية للانفراج هى تفادى الحرب النووية".

وقد أظهرت دول الكتلة الاشتراكية ترحيباً بهذه السياسة الأمريكية الجديدة، إذ أعلن زعماء دول حلف وارسو عام ١٩٦٩ - فيما أسموه "رسالة من دول حلف وارسو إلى جميع الدول الأوروبية" - عن رغبتهم في دعم علاقات التعاون السياسى والاقتصادى بين دول شطرى أوروبا جميعها، مع التزامهم بعدم السعى إلى التبديل فى الأوضاع السياسية المستقرة فى القارة الأوروبية لصالح أى من الجانبين، كما دعوا إلى عقد "مؤتمر دولى للأمن والتعاون الأوروبى".

وقد كان من أبرز العوامل التى هيأت إلى حدوث تلك التحولات فى علاقات القطبين ما يلى:

(١)زيادة خطر المواجهة النووية أو الصراعات المسلحة المباشرة بين القطبين.

(٢)إدراك الجانبين لما يمثله سباق التسلح بينهما من إهدار للموارد الاقتصادية، مما ينعكس بصورة سلبية على جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

اقتناع دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة بوجوب الاعتراف للاتحاد السوفيتى بوضع الدولة القطبية Pole of Power أو الدولة العظمى Superpower ذات المصالح الكونية وهو الوضع الذى لم يعد فى الإمكان الاستمرار فى تجاهله فى ظل معطيات التوازن الإستراتيجى العالمى.

(٣)تزايد الضغوط فى إطار كل من المعسكرين نحو ضـــرورة تحســين العلاقات وتخفيف حدة التوتر بينهما.

(٤)بروز الصين الشيوعية كقوة نووية صاعدة، وهـــو مـــا كـــان ينـــذر بحدوث تعديل فى صورة توزيع القوة على مستوى النســق العــالمى وتغيير صورة التوازن القائمة على أساس القطبية الثنائية. ومن هنـــا فقد عمل الأمريكيون على محاولة استخدام الصين الشـــيوعية كـــأداة للضغط على الاتحاد السوفيتى، ولاسيما فى ظل الخلاف الصينـــى- السوفيتى حول زعامة العالم الشيوعى.

وقد كان الرئيس نيكسون يرى أنه ينبغى علـــى الغـــرب تحســين علاقاته مع الصين والعمل على استقطابها حتى لا تضطر إلى العودة إلـــى الدوران فى الفلك السوفيتى وهو ما كان يمثل إضافـــة هائلـــة إلـــى قـــوة المعسكر الشيوعى.

وعلى الجانب المقابل كان السوفييت يدركون أن تحسين علاقاتـــهم مع الولايات المتحدة سوف يحد من اندفاع الولايات المتحدة تجاه الصيـــن الشيوعية، ذلك فضلاً عن حاجة السوفييت الشديدة آنذاك للحصول علـــى التكنولوجيا المتقدمة من الولايات المتحدة ومن الغرب لدفع عجلة التنمية.

ويمكن القول – بصفة عامة – أن مرحلة الانفراج فـــى علاقـــات القطبين قد اتسمت بمجموعة من السمات الرئيسية أظهرها ما يلى:

(١)التخلى عن الأساليب العدائية فى إدارة العلاقات بين القطبين واتبـــاع الأساليب التى تقوم على أساس التحاور والتفاهم، وقد عبر نيكســـون عن ذلك – فى معرض وصفه للسياسة الخارجية الأمريكية الجديدة –

بقوله:" الانتقال من المواجهة إلى التفاوض" كما ذكر نيكسون :" أن المنازعات الدولية يمكن أن تسوى وأن تحتوى الصراعات وأن يخف عدم الشعور بالأمن الذى ينشأ عن معظم الصراعات، وسوف نعمل على تشجيع نبرة الاعتدال والحلول الوسط" وهو ما يعكس رغبة الولايات المتحدة فى زيادة الاعتماد على الأداة الدبلوماسية وزيادة الميل إلى التفاوض.

وبالفعل فقد شهدت هذه المرحلة عقد عدة لقاءات قمة بين قادة الدولتين هى:

- قمة موسكو (مايو ١٩٧٢): بين نيكسون وبريجنيف وهى القمة التى أرست دعائم سياسة الانفراج فى علاقات القطبين وتم خلالها إصدار إعلان المبادئ حول العلاقات الثنائية بين القطبين، فضلاً عن التوقيع على العديد من الاتفاقيات فى مختلف المجالات والتى كان من أظهرها معاهدة سولت الأولى SALT I .

- قمة واشنطن (يونيو ١٩٧٣): بين نيكسون وبريجنيف، وقد اتفق خلالها الجانبان على مواصلة الجهود الدبلوماسية الرامية إلى التوصل لمعاهدة مكملة جديدة فى مجال الحد من التسلح.

- قمة موسكو (يونيو ١٩٧٤): بين نيكسون وبريجنيف، وقد تم خلالها التوقيع على اتفاقية للحد من التجارب النووية فى باطن الأرض، وكذا تقليل أعداد الأنظمة المضادة للصواريخ.



الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف



الزعيم الصينى ماوتسى تونج



- ❑ قمة فلاديفستوك (نوفمبر ١٩٧٤): بين فورد وبريجنيف، وقد تم خلالها التفاوض بشأن الإعداد لمعاهدة SALT II للحد من الأسلحة الإستراتيجية.

- ❑ قمة هلسنكى (يوليو/أغسطس ١٩٧٥): بين فورد وبريجنيف، وقد استهدفت المباحثات خلالها تذليل العقبات التى تحول دون إبرام معاهدة سولت الثانية.

- ❑ قمة فيينا (يونيو ١٩٧٩): بين كل من كارتر وبريجنيف، وقد تم خلالها التوقيع على معاهدة سولت الثانية للحد من الأسلحة النووية وتجدر الإشارة إلى أن الكونجرس الأمريكى قد رفض التصديق على هذه المعاهدة، إذ رأى أنها تمثل إخلالاً بالتوازن الإستراتيجى لصالح السوفييت، وعلى الرغم من ذلك فقد التزم بها الطرفان حتى عام ١٩٨٦.

(٢) تراجع أهمية العامل الأيديولوجى كعنصر موجه للسياسات الخارجية للقطبين وقد انعكس ذلك فى إعلان المبادئ الذى صدر عن قمة موسكو ١٩٧٢ والذى ورد فيه:

"إن الخلافات الأيديولوجية والنظم الاجتماعية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ليست عقبة أمام التطور للعلاقات الثنائية القائمة على أساس مبادئ المساواة والسيادة وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية والمصالح المتبادلة".

وقد صاحب ذلك إيقاف الحروب الدعائية والإعلامية المتبادلة بين المعسكرين حيث امتنع كل من الجانبين عن اللجوء إلى أساليب التشهير واستعراض القوة.

(٣) العمل على احتواء الصراعات الإقليمية والعمل على منع تصعيدها فقد ورد فى إعلان المبادئ المشار إليه التزام القطبين بالعمل على منع تصعيد الموقف التى من شأنها أن تؤدى إلى إثارة التوتر الخطير فى علاقاتهما، وقد استلزم ذلك من الجانبين ممارسة ضبط النفس والعمل على تحاشى الانزلاق إلى خطر المواجهات العسكرية والعمل المشترك على احتواء الأزمات الدولية وتنسيق مواقف القطبين خلالها، وقد بدا ذلك واضحاً فى حالتين أساسيتين:

أ- حرب الهند وباكستان (١٩٧١) حيث أحجمت الولايات المتحدة عن التدخل فى الحرب رغم علاقة التحالف التى تربطها بباكستان مخافة أن يؤدى ذلك إلى تدخل السوفيت إلى جانب الهند التى كانت تربطها بهم معاهدة للصداقة.

ب- حرب أكتوبر (١٩٧٣) أو الجولة الرابعة من الصراع العربى الإسرائيلى، حيث استخدم وزير الخارجية الأمريكى كيسنجر دبلوماسيته المكوكية Shuttle Diplomacy بهدف التوصل إلى وقف لإطلاق النار لهذه الحرب.

وكذلك فقد عمل القطبان على فرض حالة من الاسترخاء العسكرى فى العديد من بؤر الصراعات الإقليمية فى مناطق مختلفة من العالم الثالث بهدف تخفيف حدة التوتر الدولى.

(٤) فتح آفاق جديدة للتعاون المشترك بين القطبين وبين الكتلتين في العديد من المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية ومن أمثلتها:

- اتفاقية بشأن إسقاط الديون المترتبة على الاتحاد السوفيتى.
- اتفاقية لقيام غرفة للتجارة الأمريكية - السوفيتية.
- اتفاقية لمنع التصادم بين السفن والطائرات الحربية.
- اتفاقية للتعاون فى مجال مكافحة تلوث البيئة.
- اتفاقية للتعاون فى مجال أبحاث الفضاء.
- اتفاقية للتعاون فى مجال استغلال الموارد الطبيعية وإنتاج المواد الأولية.
- اتفاقية للتعاون فى مجال الطاقة والزراعة والمحيطات.
- اتفاقية للتبادل الثقافى والعلمى.
- اتفاقيات لدعم التبادل التجارى ومنع الازدواج الضريبى.

ويتضح مما سبق مدى التنوع والاتساع الذى اتسم به نطاق التعاون والتنسيق بين الدولتين فى هذه المرحلة وهو ما كان يعكس رغبة الجانبين فى إزالة رواسب مرحلة الحرب الباردة.

(٥) تخفيف حدة التوتر على المسرح الأوروبى، حيث تمت الدعوة إلى مؤتمر للأمن والتعاون الأوروبى عام ١٩٧٣ فى هلنسكى بفنلندا، وقد أسفرت المفاوضات بين دول شطرى أوروبا والتى استمرت لقرابة

العامين عن إصدار ما عرف بإعلان هلنسكى عام ١٩٧٥، وهو وثيقة وقعت عليها خمس وثلاثون دولة أوروبية غربية وشرقية بهدف تسوية العديد من المشكلات والقضايا الأمنية التى ظلت معلقة لسنوات عديدة بين المعسكرين.

ومن أبرز المبادئ التى تضمنها إعلان هلسنكى ما يلى:

- ❖ حظر استخدام العنف فى إطار العلاقات بين الشرق والغرب.
- ❖ احترام مبادئ السيادة الوطنية وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى.
- ❖ احترام الحدود والأوضاع القائمة فى أوروبا والتعهد بعدم محاولة تعديلها أو تغييرها.
- ❖ احترام مبادئ حقوق الإنسان.
- ❖ دعم علاقات التعاون بين المعسكرين فى شتى المجالات.

وعلى الرغم من ذلك فليس من الممكن الحديث عن ذوبان أو اختفاء كامل لتناقض المصالح بين القطبين، إذ ظل كل من الجانبين يؤكد على تمسكه بأهدافه الأساسية وعدم تخليه عن معتقداته المذهبية، فقد ظل عنصر المنافسة هو الجوهر الثابت للعلاقات بين المعسكرين رغم اتساع نطاق ومجالات التعاون بينهما.

وخلاصة القول بشأن سياسة الانفراج، وعلى حد تعبير الرئيس الأمريكى نيكسون فى مذكراته :" إن الانفراج لا يقضى بصورة سحرية على الخلافات فى المواقف، والقيم، والمصالح المتأصلة فى النظريات التى ترثها الأمم، والأيديولوجيات التى تعتنقها، فضلاً عن الحقائق الاقتصادية والعسكرية التى تواجهها، وبدلاً من ذلك يمكننا القول بأن الانفراج هو الوسيلة التى تسعى الأمم من خلالها للتعايش بخلافاتها بدلاً من أن تموت من أجلها".



الفصل الرابع(*)

الحرب الباردة الجديدة New Cold War

١٩٧٩ - ١٩٨٥

" إننا الآن مدعوون إلى إيجاد العزيمة الكافية لتجنب المخاطر التي تواجهنا من جراء طموحات السوفييت وتعاظم قدراتهم العسكرية، إن الحزم هو ما يطلب منا اليوم"

"من خطاب لمارجريت تاتشر"
رئيس وزراء بريطانيا الأسبق
ألقته في الولايات المتحدة ١٩٨١

(*) كتب هذا الفصل د/ أحمد وهبان
نشر بمضمون مقارب في : العلاقات الأمريكية الأوروبية، مرجع سبق ذكره.

الفصل الرابع

مرحلة الحرب الباردة الجديدة New Cold War

١٩٧٩ - ١٩٨٥

شهدت السنوات الأخيرة من عقد السبعينيات العديد من الأحداث التى كان من شأنها تصعيد التوتر فى العلاقات الأمريكية السوفيتية، وقد كان من أبرز هذه الأحداث[1] حدثان، تمثل أولهما فى قيام الاتحاد السوفيتى -فى نهاية عام ١٩٧٧- بنشر عدد من صواريخ س س ٢٠ (SS 20) متوسطة المدى فى أوروبا الشرقية. الأمر الذى اعتبرته الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة - تهديداً خطيراً لميزان القوة فى القارة الأوروبية، نظراً لأن من شأنه إعطاء السوفييت رجحانا فى القوة على حساب الغرب. أما الحدث الثانى الذى أسهم فى تصعيد التوتر فى العلاقات الأمريكية السوفيتية فقد تمثل فى قيام الاتحاد السوفيتى - مع نهاية عام ١٩٧٩ - بالتدخل عسكرياً فى أفغانستان بهدف دعم انقلاب شيوعى أندلع ضد النظام الأفغانى الذى كان قائماً آنذاك. وقد اعتبرت الولايات أن هذا التدخل هو مجرد تمهيد لعملية كبيرة ينتوى السوفييت

(١) من الأحداث الأخرى فى هذا الصدد قيام الاتحاد السوفييتى بتزويد كوبا بطائرات ميج ٢٣، وهى طائرات -كما يرى الخبراء العسكريون- يمكن تطويرها لحمل أسلحة نووية. ومن ثم فإن هذه الطائرات كانت تمثل تهديداً مباشراً لقلب الأراضى الأمريكية ذاتها. وفضلاً عن ذلك فقد أعلن المسئولون الأمريكيون عن اكتشاف وجود لواء عسكرى سوفيتى مقاتل بأكمله على الأراضى الكوبية. وفى نفس الوقت كانت جبهة الساندنيستا الشيوعية على وشك السيطرة على السلطة فى نيكاراجوا. وقد اتهمت الولايات المتحدة كوبا ومن ورائها الاتحاد السوفيتى بالتحريض على الأنشطة الثورية المعادية للمصالح الأمريكية فى مناطق نفوذها التقليدية. راجع فى هذا الصدد: إسماعيل صبرى مقلد، الإستراتيجية الدولية فى عالم متغير، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٣؛من ص ٢٤٨ إلى ص ٢٥١.

القيام بها بهدف الوصول إلى منطقة الخليج العربى، والسيطرة على منابع البترول بتلك المنطقة على نحو يؤدى إلى تحكمهم فى عصب الحضارة الغربية[1].

ولمواجهة هذه التطورات الخطيرة سعت الولايات المتحدة إلى اتخاذ العديد من الإجراءات. فإزاء قيام السوفييت بنشر الصواريخ المتوسطة المدى فى شرق أوروبا أعلنت الولايات المتحدة اعتزامها نشر صواريخ مناظرة فى أوروبا الغربية. وفى ١٢ ديسمبر ١٩٧٩ وافق مجلس حلف شمال الأطلنطى على نشر الصواريخ الأمريكية فى عدد من دول غرب أوروبا. بيد أن العديد من هذه الدول سرعان ما تراجع عن موافقته، وطالب بإرجاء نشر مثل هذه الصواريخ. ولم يقتصر هذا التراخى على موقف الأوروبيين من تلك المسألة فحسب وإنما امتد كذلك إلى موقفهم إزاء الاتحاد السوفيتى على أثر تدخله فى أفغانستان، وذلك على عكس الموقف الأمريكى الذى أتسم ببعض الحسم فى ذلك الصدد. فعلى أثر تدخل السوفييت فى أفغانستان طلب الرئيس الأمريكى آنذاك - جيمى كارتر - من الكونجرس رفض التصديق على اتفاقية الحد من الأسلحة النووية الثانية (سولت٢) Strategic Arms limitation Treaty SALT2 وهى الاتفاقية كان قد تم التوقيع عليها فى يونيو ١٩٧٩، بين الرئيس كارتر والزعيم السوفيتى بريجنيف. ومن ناحية أخرى أعلن الرئيس الأمريكى- على أثر قيام السوفييت بالتدخل فى أفغانستان – عن وقف تصدير ما يقرب من سبعة عشر مليون طن من الحبوب إلى الاتحاد السوفيتى. كما طالبت الولايات المتحدة حلفاءها الغربيين بأن يحذوا حذوها ويتخذوا إجراءات مماثلة فى مواجهة الاتحاد

---

(١) السيد أمين شلبى، قراءة جديدة للحرب الباردة، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨٣ ص ٨.

السوفيتى. ولقد لقيت الولايات المتحدة مساندة كاملة من جـانب بريطانيـا والتى هى أكثر حليفاتها انقياداً لها. أما دول غرب أوروبا فقد اتخـذت - كما أسلفنا القول وكما أعلنت الحكومة البريطانية آنذاك - موقفاً متراخيـاً إلى حد كبير إزاء الاتحاد السوفيتى، فالدولتـان الكبيرتـان فـى حلـف الأطلنطى - أى ألمانيا وفرنسا- كانتا لا تزالان مصرتين علـى انتـهاج سياسات استقلالية، ومن ثم فقد آثرت هاتان الدولتان تأمين مصالحهما لدى الاتحاد السوفيتى، والدول الدائرة فى فلكه آنذاك. وبالتالى فقـد رفضـت الدولتان توقيع أى عقوبات على الاتحاد السوفيتى إثر تدخله فى أفغانستان. حيث أعلن المستشار الألمانى الغربى هيلموت شميت (أنه إذا كـان مـن الضرورى انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان فإنه لا يجب أن يكـون هذا الانسحاب شرطاً مسبقاً لبدء مناقشات يتوقف عليها الأمـن ومسـتقبل السلام)[1]. ويمكن القول أن هذا الموقف كان يضع فـى الحسـبان وفـى المقام الأول الحفاظ على المصالح الاقتصادية الهائلة لألمانيا الغربية لـدى الاتحاد السوفيتى وبلدان شرق أوروبا. وهى المصالح التى جـاءت فـى إطار سياسة الانفتاح على الشرق التى كانت ألمانيا الغربية مسـتمرة فـى انتهاجها حتى ذلك الوقت وذلك على النحو الذى سبقت الإشارة إليـه فـى فصل سابق.

أما بصدد الموقف الفرنسى إزاء الاتحاد السوفيتى على أثر تدخلـه فى أفغانستان فقد أعلن الرئيس الفرنسى - آنذاك- فاليرى جيسكار ديستان أن ما حدث فى أفغانستان لا يستدعى فرض عقوبات ضد موسكو. حيـث قال ديستان " إن فرنسا ستتابع الحوار مع موسكو لاعتقادها بأنه أياً كـانت خطورة الموقف الجديد فإنه لا يصح الرجوع إلى حالة الحـرب البـاردة،

---

(١) محمد على المداح، أوروبا والتدخل السوفيتى فى أفغانستان، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٠.

وترك سياسة الانفراج والتهدئة، ومن ثم فإن فرنسا لا ترى فائدة من اتخاذ قرارات انتقامية سواء اقتصادية أو رياضية ضد الاتحاد السوفيتى، فالعلاقات التجارية بين فرنسا والاتحاد السوفيتى إنما هى علاقات طبيعية لا يصح أن تنقطع أو أن تسوء لأسباب سياسية. وقاعدة فرنسا فى علاقاتها التجارية مع الدول الأخرى هى عدم استعمال هذه العلاقات لأغراض سياسية[1].

وهكذا يتضح أن كلاً من ألمانيا الغربية وفرنسا كانت لا تزال - حتى بداية عقد الثمانينيات - تسير على نهجها الاستقلالى عن حلف الأطلنطى فيما يتعلق بسياستها الخارجية.

ومهما يكن الأمر فإن عام ١٩٨٠ قد شهد حدثاً جديداً أدى إلى إحداث مزيد من التوتر فى العلاقات الأمريكية السوفيتية، ففى أغسطس من ذلك العام بدأت فى بولندا اضطرابات عمالية تتزعمها نقابة تضامن العمالية - المحظورة آنذاك- من أجل المطالبة بالديمقراطية. وقد اعتبر الاتحاد السوفيتى أن هذه الاضطرابات إنما هى بمثابة ثورة مضادة ضد النظام الشيوعى القائم فى بولندا آنذاك. لذلك فقد أوعز السوفييت إلى هذا النظام باستخدام الأساليب العنيفة لمواجهة تلك الاضطرابات[2]. الأمر الذى أثار استياء الولايات المتحدة إلى حد كبير، وفى ظل تلك الظروف وصل رونالد ريجان إلى الحكم فى الولايات المتحدة، على أثر الانتخابات التى أجريت فى نهاية عام ١٩٨٠. وقد تولى ريجان رئاسة الولايات المتحدة ابتداء من ٢٠ يناير ١٩٨١، حيث راح ريجان يتهم إدارة كارتر السابقة عليه بالضعف والتردد فى مواجهة الاتحاد السوفيتى،

---

(١) المرجع السابق ص ١٩.

(2) Geri Lundestad. East West North South: Major developments in international Politics 1945-1986. Norwegian University Press 1986. PP. 232-233.



الرئيس الأمريكي رونالد ريجان



واعتبر أن إجراءات كارتر فى مواجهة السوفييت لم تكن كافية، على اعتبار أن إجراءات أن السوفييت - على حد قول ريجان- لا يفهمون إلا لغة القوة[1]. كذلك فقد راح ريجان ينتقد سياسات الانفراج بشدة، حيث أكد أنها سياسات ليس من شأنها إلا أن تفيد السوفييت وحدهم ولذلك فإنهم -أى السوفييت- لم يضيعوا وقتاً ولم يألوا جهداً فى سبيل تحقيق تفوقهم العسكرى الكاسح، وبسط نفوذهم فى مناطق وأرجاء العالم المختلفة من أمريكا الوسطى إلى أفريقيا إلى الخليج العربى إلى جنوب شرقى آسيا والمحيط الهندى والبحر المتوسط، وذلك كله على حساب امن الغرب ومصالحه الإستراتيجية العليا[2] وأكد ريجان عزمه على انتهاج سياسة متشددة تجاه السوفييت.

وارتباطاً بما تقدم فقد شهدت السنوات الأولى من حكم الرئيس ريجان تصعيداً كبيراً للتوتر فى العلاقات بين القطبين، على نحو أطلق عليه المشتغلون بالعلاقات الدولية اصطلاح الحرب الباردة الجديدة The New Cold War ولعل من أبرز القضايا التى شهدتها هذه المرحلة ما يلى:

أولاً: مشكلة خط أنابيب غاز سيبيريا:

مع بداية الثمانينيات كانت المفاوضات قد بدأت بين الاتحاد السوفيتى وعدد من دول غرب أوروبا بشأن التوصل إلى اتفاق خاص بنقل الغاز الطبيعى السوفيتى من حقول يامال بسيبيريا إلى هذه الدول.

---

(١) راجع فى هذا المضمون: السيد أمين شلبى، قراءة جديدة للحرب الباردة، مرجع سبق ذكره، ص٨،٩.

(٢) إسماعيل صبرى مقلد، الإستراتيجية الدولية فى عالم متغير، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

وقد كان هذا المشروع يقتضى إنشاء خط أنابيب لنقل الغاز يبلـــغ طولـــه حوالى خمسة آلاف كيلو متر، بحيث يمكن من خلاله نقل ما يقـــرب مـــن ٤٠ مليار متر مكعب من الغاز السوفيتى إلى سبع دول أوروبيـــة، علـــى رأسها كل من ألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا. وقد كانت هذه الكمية تعـادل - آنذاك- حوالى ٣٥% من احتياجات تلك الدول من الغاز الطبيعى. وقـد كان على هذه الدول أن توفر تسهيلات مالية ضخمة كان يستلزمها إتمـــام مشروع خط الغاز، كما كان على هذه الـــدول أن تقـدم الآلات والتقنيـة المتقدمة التى تكفل استخراج الغاز، وضخه إلى حيث مناطق استهلاكه فـى أوروبا الغربية.

وقد كان تنفيذ ذلك المشروع يعنى أن يجنى الاتحـــاد الســـوفيتى دخلاً سنوياً يربو على العشرة مليارات دولار، مما كان يمكن للســـوفييت من إعطاء دفعات قوية لاقتصادهم على طريق التقدم والنمو[١] وبالإضافـة إلى تلك المكاسب المادية الضخمة فقد كان من شأن ذلـــك المشـــروع أن يمكن الاتحاد السوفيتى من الحصول على التقنية الغربية المتقدمة. أما عـن دول غرب أوروبا فإن مكاسبها من وراء المشروع - فى حالة إتمامـــه - كانت كبيرة جداً. إذ كان من شأن ذلك المشروع أن يـــزود تلـــك الـــدول بمصدر جديد للطاقة قد يخفف من اعتمادها على الشرق الأوسط كمصـــدر رئيسى لاحتياجاتها من الطاقة. لاسيما وأن أسعار الغاز السوفيتى كـــانت أرخص بكثير من غاز منطقة الشرق الأوســـط وغـــاز منـــاطق العـــالم الأخرى[٢]. ومن ناحية أخرى فقد كان مـــن شـــأن المشـــروع أن يعيـــد

---

(١) راجع فى هذا المضمون: صفاء جمال الدين، صفقة القرن بين المعارضـــة الأمريكيـــة والســـباق الأوروبى، العدد (٦٩) من مجلة السياسة الدولية - يوليو ١٩٨٢، من ص ١٩٢إلى ص ١٩٦.

(٢) راجع فى هذا المضمون: نازلى معوض أحمد، محادثات ستارت والطرف الثـــالث، العـــدد (٧٠) من مجلة السياسة الدولية - أكتوبر ١٩٨٢ ص ٥٧.

الانتعاش إلى قطاع صناعات التعدين فى بلدان غرب أوروبا آنذاك، ذلك فضلاً عن أن المشروع كان سيؤدى إلى خلق عدد كبير من فرص العمل الأمر الذى كان من شأنه أن يخفف من حدة البطالة التى كانت تعانى منها تلك الدول آنذاك. وبالإضافة إلى كل ما تقدم فقد كان من المتوقع أن تحصل الشركات الأوروبية الغربية على صفقات ضخمة من ثنايا مشاركتها فى بيع التجهيزات الهائلة التى كان يتطلبها المشروع وقدرت هذه الصفقات بما يقرب من إحدى عشر مليار دولار. وجملة القول هى أن هذا المشروع كان بمثابة الأمل للأوروبيين فى إنعاش اقتصادياتهم التى كانت تعانى – آنذاك – من آثار الانكماش الاقتصادى. لذلك فقد كان الأوروبيون يطلقون على المشروع "صفقة القرن"[1].

وانطلاقاً من كل ما تقدم فقد قام العديد من الدول الأوروبية الغربية بالتوقيع على اتفاقيات مع الاتحاد السوفيتى لتنفيذ مشروع خط أنابيب غاز سيبريا. وقد كانت ألمانيا الغربية هى أولى الدول الأوروبية التى وقعت اتفاقية مع السوفييت فى هذا الصدد.

ولم يكد يمضى شهران على الاتفاق الألمانى السوفيتى حتى وقعت فرنسا اتفاقاً مشابهاً مع الاتحاد السوفيتى.

وفى الوقت الذى كانت الدول الأوروبية تبرم اتفاقيات الغاز مع السوفييت كانت الولايات المتحدة قد شرعت – مع بداية عام ١٩٨٢ – فى تطبيق بعض العقوبات الاقتصادية ضد الاتحاد السوفيتى وذلك كرد فعل من جانبها على ما أسماه الرئيس ريجان " مسئولية السوفييت العظمى والمباشرة عن ممارسة سياسة القمع فى بولندا". وقد كان من بين تلك

---

(١) صفاء جمال الدين، صفقة القرن بين المعارضة الأمريكية والسباق الأوروبى، مرجع سبق ذكره.

العقوبات حظر بيع قطع التوربينات التى تنتجها الشركات الأمريكية إلـــى الاتحاد السوفيتى[1]. وهى القطع التى كانت تستلزمها عملية إنشـــاء خــط الغاز. كذلك فقد دعا الرئيس ريجان الشركات الغربية إلى حظر تصديـــر التكنولوجيا اللازمة لإنشاء الخط إلى الاتحاد السوفيتى ، كما راح يطـــالب الأوروبيين بالاستغناء عن الغاز السوفيتى، والاســـتعاضة عنـــه بـــالفحم الأمريكى أو الغاز النرويجى[2] غير أن دعوة ريجان هذه لم تلـــق آذانـــاً صاغية من قبل الأوروبيين، الذين أعلنوا اعتزامهم المضى قدماً فى إتمـــام اتفاقياتهم مع الاتحاد السوفيتى، لذلك فقد قام ريجـــان فـــى يونيـــو ١٩٨٢ بزيارة لأربع من الدول الأوروبية الغربية الكبرى هى بريطانيـــا وفرنســـا وألمانيا الغربية وإيطاليا، وذلك بهدف الحصول على تـــأييد تلـــك الـــدول لسياساته المتشددة إزاء السوفييت. وعلى سبيل المثال، فقد ألقـــى ريجـــان كلمة أمام مجلس العموم البريطانى فى ٨ يونيو حمل فيـــها بشـــدة علـــى الاتحاد السوفيتى، وقال أنه لابد من شن حملة دولية من أجل الديمقراطيـــة، ووضع الماركسية واللينينية على كومة رماد التـــاريخ[3]. ولعـــل عبـــارة ريجان هذه تذكرنا - إلى حد كبير - بعبارات نظيره الأســـبق ترومـــان، عندما أعلن عن مبدأه لمواجهة المد الشيوعى فى أولى وأحلـــك مراحـــل الحرب الباردة.

وعلى أية حال فإن الرئيس ريجان راح - غـــداة انتـــهاء جولتـــه الأوروبية وفى ١٨ يونيو ١٩٨٢ - يعلن عـــن توســـيع نطـــاق الحظـــر المفروض على تزويد الاتحاد السوفيتى بمعدات خط أنابيب نقـــل الغـــاز،

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٥.

(٢) انظر شهريات العدد (٧٠) من مجلة السياسة الدولية - أكتوبر ١٩٨٢، ص ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٢.

حيث دعا إلى منع الشركات الأوروبية التى تصنع معدات مماثلة بمقتضى تراخيص أمريكية من تنفيذ العقود بينها وبين الاتحاد السوفيتى. كما أكد ريجان مطالبته لحلفائه الأوروبيين بعدم إتمام الاتفاقات التى وقعوها من السوفييت[١].

وأياً كان الأمر فإن الولايات المتحدة قد هددت بفرض عقوبات على أية دولة تستمر فى إتمام صفقة الغاز مع السوفييت. وعلى الرغم من ذلك فإن الدول الأوروبية لم ترضخ للضغط الأمريكى وأعلنت أنها ستمضى قدماً فى إتمام الصفقة[٢]. ففى ٢٤ يونيو ١٩٨٢ أكد المستشار الألمانى هيلموت شميت رفض بلاده للمطالب الأمريكية. وأعلن عن تصميم بلاده وشركائها الأوروبيين على إتمام اتفاقيات الغاز الطبيعى السوفيتى. وحذر شميت من أن المواجهة التجارية مع الاتحاد السوفيتى قد تؤدى إلى ما أسماه بحرب باردة أخرى[٣] وفى ٢٩، ٣٠ يونيو أعلن زعماء المجموعة الأوروبية فى اجتماعهم ببروكسيل عن استيائهم من السياسة التجارية للولايات المتحدة، واتهموها بتعريض النظام التجارى الدولى لخطر كبير. كما أكد هؤلاء الزعماء أن المجموعة الأوروبية لن تقبل أية قرارات تجارية أمريكية منفردة تضر بالمصالح الأوروبية[٤]. غير أن الرئيس ريجان أكد إصراره على موقفه فى تصريح له فى ١ يوليو ١٩٨٢. وفى نفس الوقت أكدت الدول الأوروبية من جانبها تمسكها هى الأخرى بموقفها الرافض لموقف الولايات المتحدة.

---

(١) نازلى معوض أحمد، محادثات ستارت والطرف الثالث، مرجع سبق ذكره، ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٤١.

(٣) شهريات العدد (٧٠) من مجلة السياسات الدولية، ص ٢٦٨.

(٤) المرجع السابق ص ٢٦٨، ٢٦٩.

ففى ٢٣ يوليو أعلن وزير الخارجية الفرنسى أن فرنسا مستمرة فى إتمام صفقة الغاز مع السوفييت.

وفى ٢٩ يوليو أعلن المستشار الألمانى تحدى الدول الأوروبية لإجراءات الحظر الأمريكية على مبيعات التكنولوجيا للاتحاد السوفيتى. ومن الغريب فى هذا الصدد أن حكومة بريطانيا - المعروفة بموالاتها للولايات المتحدة قد قامت فى ٣ أغسطس بإصدار أوامرها لأربع من شركاتها التى وقعت عقودها مع الاتحاد السوفيتى بأن تتجاهل الحظر الأمريكى، وتحترم عقودها مع السوفييت. وفى ١٢ أغسطس اتفقت دول المجموعة الأوروبية على توجيه احتجاج شديد اللهجة للولايات المتحدة لفرضها عقوبات على الشركات التى تبيع التكنولوجيا المتعلقة بخط الغاز إلى الاتحاد السوفيتى[١].

وإزاء الرفض الأوروبى للموقف الأمريكى راح ريجان يفرض قيوداً على مبيعات الصلب الأوروبية، حيث قام بفرض رسوم جمركية على تلك المبيعات. الأمر الذى أدى إلى ارتفاع أسعار الصلب الأوروبى، ومن ثم فقد تدهور الطلب عليه فى السوق الأمريكى. وقد ردت الدول الأوروبية على هذا الإجراء الأمريكى بإجراء مضاد، إذ قامت بفرض رسوم جمركية على بعض المصنوعات الأمريكية مثل المنتجات الغذائية ومنتجات الألياف الصناعية[٢].

---

(١) المرجع السابق من ص ٢٧٣، إلى ص ٢٨٠.

(٢) فى هذا المضمون: خضر الدهراوى، تصدع العلاقات الأمريكية الأوروبية، مرجع سبق ذكره، ص١٤١.

وفى ١٤ نوفمبر ١٩٨٢ أعلن ريجان رفع الحظر الذى كان قد فرضه على الشركات الغربية المساهمة فى إنتاج وتصدير المعدات الفنية الخاصة بخط أنابيب غاز سيبريا، وبذا يكون الأوروبيون قد نجحوا فى فرض إرادتهم على الولايات المتحدة ولكى يحافظوا بذلك على مصالحهم لدى الاتحاد السوفيتى، على الرغم من مناخ الحرب الباردة الجديدة الذى كان سائداً بين القطبين مع بداية عقد الثمانينات. وكذلك فإنه يتضح من خلال ما تقدم نجاح كل من ألمانيا الغربية وفرنسا فى الحفاظ على سياستها الاستقلالية وتطويرها نحو مزيد الإيجابية، وبمنأى عن الإذعان لإرادة الولايات المتحدة. وفوق كل ما تقدم فإنه بعد عرضنا لمشكلة غاز سيبريا وما ارتبط بها من قضايا اقتصادية أخرى يتضح لنا أنه كان ثمة ما يشبه الحرب الاقتصادية بين الولايات المتحدة من ناحية، ودول غرب أوروبا من ناحية أخرى، وذلك خلال العامين الأولين من عقد الثمانينات.

ثانياً: مشكلة نشر الصواريخ متوسطة المدى فى أوروبا:

ظهرت هذه المشكلة – كما سبق أن أشرنا– فى عام ١٩٧٧، وذلك عندما قام الاتحاد السوفيتى بنشر حوالى مائة صاروخ متحرك متوسط المدى من طراز س س ٢٠ SS 20 فى الدول التابعة له فى شرق أوروبا. وقد عرفت هذه الصواريخ بالصواريخ الأورو – إستراتيجية - Euro- Strategic missiles ويبلغ مداها خمسة آلاف كيلو متر.

كما أدخل الاتحاد السوفيتى إلى مسرح العمليات الأوروبى أيضاً خمسين قاذفة متطورة من طراز ت.يو ٢٢م (باكفاير) والتى يبلغ مداها كذلك خمسة آلاف كيلو متر. وقد أدى ذلك – حسب آراء الخبراء

العسكريين فى الغرب- إلى الإخلال بميزان القوة فى أوروبـــا الوســـطى، ورجحان كفة السوفييت إلى حد كبير. ذلك بأن تلك الصواريخ - فـــى رأى هؤلاء الخبراء- قد أعطت السوفييت القدرة على تغطية مسرح العمليـــات الأوروبى بأكمله، كما كان من شأنها أن تسمح بقيام هجوم سوفيتى مفـاجئ من داخل الأراضى السوفيتية ذاتها[1] ولم تكن القـــوات النوويـــة التابعـــة لحلف شمال الأطلنطى فى أوروبا - آنذاك - تمتلك القدرة الفعلية الكافيـــة لدرء خطر الأسلحة السوفيتية الجديدة، وذلك على حد قول قادة الحلـــف. وإزاء هذا الوضع الخطير أعلنت الولايات المتحدة عن اعتزامها تطويـــر صواريخ مناظرة للصواريخ السوفيتية، ونشرها فى دول غرب أوروبـــا. وفى اجتماع لمجلس حلف شمال الأطلنطى فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٩ وافقـت الدول الغربية على نشر طرازين جديديـــن مـــن الصواريـــخ الأمريكيـــة الأورو - إستراتيجية المتوسطة المدى فى خمس من الـــدول الأوروبيـــة، وهى ألمانيا الغربية وبريطانيا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا. حيث قرر مجلـس الحلف بناء ٤٦٤ صاروخ مجنح من طراز كروز Cruise البـــالغ مـــداه ٣٠٠٠ كيلومتر، و١٠٨ صاروخ من طراز بيرشينج Pershing-2 البالغ مداه ٢٥٠٠ كيلومتر، وذلك لنشرها فى الدول الأوروبية الخمس مع نهايـــة عام ١٩٨٣[2].

---

(١) راجع فى هذا المضمون: حسين أغا وآخران، التحالف الغربى والعلاقات الأطلسية، مرجع ســبق ذكره، ص ١٨،١٩.

(٢) أنظر فى هذا المضمون:

Robert Mc Geehan , Europe and American in the year of the missiles, International Journal, winter 1982-3. PP. 156-157.

J USACHEV, USA: Anatomy of the arms race, progress publishers, Moscow 1986., PP. 116-117.

وعلى الرغم من موافقة مجلس الحلف على نشر صواريخ بيرشنج، وكروز فى الدول الأوروبية الخمس المذكورة، إلا أن العديد من هذه الدول سرعان ما أبدت تردداً كبيراً بصدد موافقتها النهائية على نشر الصواريخ فى أراضيها.

وأياً كان الأمر فإنه مع مجئ ريجان إلى الحكم فى الولايات المتحدة وفى إطار سياسته المتشددة[1] إزاء السوفييت راح الرئيس الأمريكى يعلن عن إصراره على نشر الصواريخ الأمريكية من طرازى بيرشنج وكروز فى أوروبا الغربية، وفقاً للقرار الذى اتخذه مجلس الحلف فى بروكسيل فى ديسمبر ١٩٧٩. كما أكد ريجان " أن السوفييت كانوا سيرتدعون عن دخول أفغانستان فى حالة وجود تفوق إستراتيجى أمريكى[2].

وقد لقيت سياسة ريجان المتشددة إزاء السوفييت تعضيداً من جانب رئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر، فأثناء زيارة لها للولايات المتحدة مع بداية عام ١٩٨١ أعلنت تاتشر عن تأييدها لاستخدام لغة التشدد فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى وقالت: "إننا الآن مدعوون إلى إيجاد العزيمة الكافية لتجنب المخاطر التى تواجهنا من جراء طموحات السوفييت، وتعاظم قدراتهم العسكرية إن الحزم هو ما يطلب منا اليوم[3].

---

(١) فى إطار تلك السياسة أيضاً أصدر الرئيس ريجان أوامره– فى ٩ أغسطس ١٩٨١ – بإنتاج قنبلة النيوترون. وهى القنبلة التى كان سلفه كارتر قد رفض إنتاجها نظراً للا أخلاقيتها. حيث أن من شأن هذه القنبلة فى حالة تفجيرها أن تقتل البشر دون أن تلحق أضراراً بالمنشآت.

- Geraldsegal & others , Nuclear war & Nucleat peace, Macmillan, 1985.pp .96-98 .

(٢) حسن أغا وآخران : التحالف الغربى، العلاقات الأطلسية، مرجع سبق ذكره، ص١٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢.

وإزاء إصرار الولايات المتحدة على نشر صواريخ بيرشنج ركروز في دول غرب أوروبا تكون فى تلك الدول رأى عام قوى معارض لنشر تلك الصواريخ. حيث نشأت فى دول غرب أوربا وبريطانيا جماعات عرفت بجماعات السلام أو الخضر كان هدفها الأول هو الدعوة إلى إلغاء عملية نشر الصواريخ متوسطة المدى فى القارة الأوروبية. وقد امتدت أهداف بعض هذه الجماعات إلى الدعوة إلى إنهاء الوجود الأمريكى ذاته فى القارة. وقد قامت جماعات السلام بتنظيم مظاهرات ضخمة ضمت مئات الألوف من الأوروبيين داخل العديد من الدول الأوروبية، سواء تلك الدول التى كان من المزمع نشر الصواريخ بها، أو بقية الدول الأخرى. ولقد نجحت حركات السلام فى حشد أعداد كبيرة من المؤيدين لها فى كل من ألمانيا الغربية وإيطاليا وبلجيكا وهولندا وبريطانيا وفرنسا والسويد وغيرها من الدول الأوروبية كما شرعت تلك الجماعات فى تكوين أحزاب سياسية عرفت بأحزاب الخضر فى العديد من تلك الدول[1].

أما على المستوى الأوروبى الرسمى فقد راح العديد من القادة الأوروبيين - وعلى رأسهم المستشار الألمانى هليموت شميث - يطالبون الولايات المتحدة بإعادة إحياء مفاوضات سولت مع السوفييت. وهى المفاوضات التى كانت قد جمدت منذ وصول ريجان إلى الحكم، وإندلاع الحرب الباردة الجديدة. وكان ريجان قد شن هجوماً على اتفاقية سولت ٢

(١) أنظر بصدد هذه الظاهرة، ص ١٢.

- إسماعيل صبرى مقلد، الإستراتيجية الدولية فى عالم متغير، مرجع سبق ذكره، من ص ٤١٩ إلى ص ٤٣٠.
- وأيضاً: عبد المنعم سعيد وآخرون، ظاهرة الخضر: المتغيرات الجدية فى السياسة الألمانية، ملف العدد (٨٢) من مجلة السياسة الدولية - أكتوبر ١٩٨٥، من ص ٨٣ إلى ص ١٢١.

وقال:" إن السوفييت وحدهم هم الذين استفادوا منها، ووظفوها لصالحهم. أما بالنسبة لنا فإنه لم يكن من شأنها إلا أنها قد وضعت العراقيل في طريق تنمية القوة الإستراتيجية للغرب، وعملت على تخديره بشعور كاذب من الأمان في الوقت الذي انطلق فيه السوفييت إلى تنمية معاقل قوتهم في كل مكان"[1].

أما عن الأوروبيين فقد كانوا يرون أن أية مفاوضات تجرى مع السوفييت حول مشكلة الصواريخ النووية في أوروبا لا يمكن أن تتم إلا في إطار مفاوضات سولت، باعتبارها الإطار الأشمل لعلاقات التسلح الإستراتيجي، والتوازن العام بين الكتلتين. ومن ثم فإن تحريك قضية الأوروبيين المتعلقة بالصواريخ الأورو -استراتيجية كان - من وجهة النظر الأوروبية - مرهوناً بتحريك محادثات سولت[2]. ومن هنا فقد راح القادة الأوروبيون يلحون على الولايات المتحدة لاستئناف محادثات سولت.

وإزاء تلك الضغوط الأوروبية - الشعبية والرسمية - وبهدف تخفيفها قدم الرئيس الأمريكي رونالد ريجان مشروعاً يتصل بمسألة الصواريخ الأورو - إستراتيجية، عرف بالخيار صفر Zero Option حيث عرض ريجان على السوفييت – بمقتضى مشروعه هذا، أن تصرف الولايات المتحدة النظر عن نشر صواريخ برشينج وكروز وعددها ٥٧٢ صاروخ في أراضي بعض الدول الأوروبية، وإلغاء قرار حلف الأطلنطي الصادر في ديسمبر ١٩٧٩ في هذا الصدد. وذلك في مقابل قيام الاتحاد

(١) إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية الدولية في عالم متغير، مرجع سبق ذكره، ص٢٥٤.

(٢) أنظر في هذا المضمون المرجع السابق، ص ٢٥٥.

السوفيتى بتفكيك عدد مماثل مـــن صواريخــه مــن طــراز س س ٢٠، وطرازى س س ٤، وس س ٥. ومن ثـــم ينخفــض عــدد الصواريـــخ المنصوبة على كلا جانبى أوروبا الغربى والشرقى إلى الصفر[١].

والحق أن المشروع ريجان هذا لم يكن يمثل حلاً معقولاً لمشـــكلة الصواريخ الأورو – إستراتيجية[٢]. ويمكن القول أن الرئيس ريجان كـــان يدرك تماماً أن السوفييت سيرفضون مشروعه هذا. ومع ذلك فقــد قدمـــه بهدف تخفيف الضغوط الأوروبية عليه، والظهور أمام الأوروبييـــن بأنـــه يرغب فى إزالة الصواريخ متوســطة المــدى مــن أراضيــهم، بيــد أن السوفييت هم الذين يرفضون.

وبطبيعة الحال فقد رفض الاتحاد السوفيتى مشروع ريجان كمـــا كان متوقعاً. بيد أن الزعيم السوفيتى أندروبوف[*] راح يقـــدم مشــروعاً بديلاً عرف بالخيار صفر الســـوفيتى. ففـــى ٢١ ديســمبر ١٩٨٢ أعلـــن أندربوف أن الاتحاد السوفيتى على استعداد لأن يخفض عدد الصواريـــخ النووية التى يحتفظ بها فى النطـــاق الوروبـــى ليصبـــح مســـاوياً لعـــدد الصواريخ التى بحوزة كل من فرنسا وبريطانيا. وبهذا يكون توازن القوى بين الشرق الغرب كاملاً فى مجال الصواريخ متوسطة المـــدى المنتشـــرة فى أوروبا[٣].

---

(١) أنظر فى هذا المضمون:

- Gerold segal, Nuclear War & Nucleat peace, Op. Cit., P.108.

(٢) أنظر فى هذا المضمون:

- Robert McGeehan, Europe and and America in the year of the missiles, Op. Cit., p. 159.

(*) تولى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى على أثر وفاة بريجنيف فى ١١ نوفمبر ١٩٨٢.

(٣) انظر فى هذا المضمون المرجع السابق، من ص ٣١ إلى ص ٣٧.

وقد رفضت الولايات المتحدة مشروع أندروبوف، ومضت قدماً في تنفيذ برنامجها الخاص بنشر صواريخ بيرشنج وكروز في الأراضي الأوربية. ومع اقتراب الموعد المحدد لنشر تلك الصواريخ اشتدت حدة المظاهرات الشعبية الرافضة والتي نظمتها جماعات السلام في العواصم الغربية. وعلى سبيل المثال فقد فرض عشرات الآلاف من المتظاهرين حصاراً حول مقر الإمدادات والمؤن للجيش الأمريكي في برلين الغربية[1].

وعلى أية حال فإن الولايات المتحدة قد قامت بنشر صواريخ بيرشنج، وكروز في مواعيدها المحددة في نهاية عام ١٩٨٣، وقد استمرت هذه العملية حتى الشهور الأولى من عام ١٩٨٤.

وقد رد الاتحاد السوفيتي على عملية نشر الصواريخ الأمريكية، بنشر عشرات الصواريخ الجديدة من طراز س س ٢٠ على أراضي كل من ألمانيا الشرقية وبولندا في سبتمبر ١٩٨٤، فأعلنت الولايات المتحدة - من جانبها- اعتزامها نشر صواريخ طويلة المدى من طراز إم إكس MX مع بداية عام ١٩٨٥ وليتصاعد بذلك التوتر بين القطبين خلال تلك الفترة[2].

غير أنه بحلول شهر مارس ١٩٨٥ استجد أمر هام في الاتحاد السوفيتي كانت له آثار كبرى على النسق الدولي والعالمي برمته. ومن ثم فقد كان له أثره على العلاقات الأمريكية الأوروبية. وقد تمثل هذا الحدث

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧.

(٢) عبد المنعم سعيد، العلاقات السوفيتية الأمريكية وقضية الحد من التسلح، العدد (٨٣) سياسة دولية، يناير ١٩٨٦، ص٣٣.

فى وصول ميخائيل جورباتشوف إلى الحكم فى الاتحاد السوفيتى على أثـر وفاة الزعيم السوفيتى قسطنطين تشرنينكو(***) فـى ١٣ مـارس ١٩٨٥. وقد تميز الزعيم السوفيتى الجديد بتوجهاته المغـايرة تماماً للتوجـهات المتشددة لأسلافه، سواء فيما يتعلق بالعلاقات مع الولايات المتحدة أو مـا يتصل بالتطبيق الشيوعى فى الداخل، إنها السياسات الجورباتشوفية التـى تمخضت عن آثار عظيمة الشأن على خريطة توزيع القوى الدولية علـى النحو الذى سنعرض له فى الفصل التالى.

(***) كان تشيرنينكو قد تولى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى على أثر وفاة سـلفه أندروبوف فى ١٢ فبراير ١٩٨٤.

الفصل الخامس(*)

نهاية الحرب الباردة The End of the Cold War

١٩٨٥-١٩٩١

" لقد بدأنا عملية إعادة بناء هامة. ونحن نعيد صياغة مواقفنا وتفكيرنا وكل طريقتنا في الحياة"

" ميخائيل جورباتشوف"
في كتابه "البيريسترويكا"

(*) أعد هذا الفصل الدكتور/ ممدوح منصور.

الفصل الخامس

مرحلة نهاية الحرب الباردة (١٩٨٥-١٩٩١)

شهد النصف الأول من عقد الثمانينيات فترة عدم استقرار بالنسبة للقيادة السوفيتية حيث تعاقب على الزعامة السوفيتية عدة رؤساء، فبرحيل ليونيد بريجنيف عام ١٩٨٢، خلفه يورى أندروبوف الذى توفى عام ١٩٨٤، وقد خلفه قسطنطين تشيرنينكو الذى توفى بدوره عام ١٩٨٥.

وفى أعقاب وفاة تشيرنينكو اختار المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى بالإجماع أصغر الأعضاء سناً وهو ميخائيل جورباتشوف سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعى السوفيتى.

وقد مثلت سنوات حكم جورباتشوف تحولاً جذرياً فى توجهات السياسة الخارجية السوفيتية على نحو فاق كل التصورات، وقلب كل التوقعات. ويرجع ذلك إلى التحول إلى الأفكار الجديدة والثورية التى أتى بها جورباتشوف باعتبارها تمثل رؤية متكاملة لدور بلاده على المسرح العالمى، وتصوراته عن أفضل سبل الإصلاح وأساليب معالجة المشكلات المزمنة والمتفاقمة التى عانى منها المجتمع السوفيتى لسنوات طوال فى كافة القطاعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتى كان من أظهرها: تراجع معدلات النمو الاقتصادى وانخفاض الإنتاجية وانخفاض مستويات المعيشة وتخلف أساليب الإدارة وانتشار مظاهر الفساد الإدارى وتفشى البيروقراطية وانتشار البطالة وتراكم المخزون السلعى وضعف الرقابة على الأجهزة الحاكمة السياسية والإدارية.

وقد ورد الإطار النظرى لهذه السياسة الجديدة التى دعا إليها جورباتشوف فى كتابه الذى أصدره عام ١٩٨٥ والمعنون "بالبيريسترويكا" Perestroika وهى لفظة روسية تعنى إعادة البناء وكان يقصد بها المعالجة الجذرية لكافة المشكلات التى يعانى منها المجتمع بصورة شاملة.

وقد تمثلت أبرز الأفكار التى اشتمل عليها تصور جورباتشوف فيما يلى:

(١)الاعتراف بفشل الأساليب السابقة فى تطبيق الفكر الاشتراكى الماركسى اللينينى، ومحاولة تقديم صياغة جديدة لهذا الفكر وكذلك نموذج تطبيقى أكثر فعالية وواقعية.

(٢)الاعتراف بالأخطاء التى وقعت فيها القيادات السوفيتية السابقة منذ عهد ستالين والتى كانت ناتجة عن تقديس الزعامات، مما أدى إلى جمود القيادة وانخفاض كفاءتها.

(٣)أن عملية إعادة البناء هى عملية ثورية تمثل ثورة من أعلى بدأت بمبادرة من جانب زعامة الحزب وتتم تحت إشرافه، وأن نجاح هذه العملية يتطلب عدم التردد أو تأجيل لحظة الانطلاق لأن الإصلاحات الزاحفة لن تؤدى إلا إلى الركود وإلى الإبقاء على العقلية المحافظة والنظم البالية.

(٤)أن البيريسترويكا تمثل محاولة لتحقيق اشتراكية أفضل وليست تراجعاً أو تخلياً عن الاشتراكية، فهدف البيريسترويكا هو تحقيق مستوى معيشى أفضل والتوصل إلى حلول للمشكلات المختلفة التى يعانى منها المجتمع السوفيتى.

(٥)أن العلنية أو المصارحة Glasnost هى إحدى خصائص هذه الثورة فهى تمثل شكلاً فعالاً للرقابة الشعبية على نشاط جميع الأجهزة القيادية دون استثناء وأنها تمثل الأداة القوية والفعالة للكشف عن النواقص وإزالتها. كذلك يتعين البعد عن تزييف الحقائق وتقنيع الواقع بشعارات زائفة على نحو ما كان يحدث من مطالبة الجماهير بالالتزام بالأخلاق الاشتراكية بينما لا يلتزم بها زعماء الحزب، وكذلك ضرورة مواجهة الحقائق والمشكلات بواقعية بهدف التصدى لحلها بدلاً من التغطية عليها عن طريق تنظيم المناسبات والاحتفالات، ذلك فضلاً عن تشجيع النقد الذاتى.

(٦)أن ثمة تناقضاً بين تزايد كميات الأسلحة النووية المكدسة لدى العملاقين مع تراجع شعورهما بالأمن.

(٧)ضرورة النظر إلى العالم ككل متكامل ومن ثم ضرورة العمل على الحفاظ على بقاء العنصر البشرى والحفاظ على الكون بغض النظر عن أية خلافات أيديولوجية، وأن ثمة مسئولية كبيرة تقع على عاتق القطبين فيما يتصل بالعمل على تجنب فناء العنصر البشرى من خلال الحروب النووية.

(٨)أن ثمة تناقضاً منطقياً بين تحقيق التنمية الاقتصادية وبين الاستمرار فى سباق التسلح النووى والتقليدى وهذا ما يعكسه التباين الكبير بين ما أحرزه السوفيت فى مجال التسلح وبين التخلف الذى يعانى منه المجتمع السوفيتى فى قطاعات عديدة.

(٩)احترام الحوار الدبلوماسى المفتوح بين كل الاتجاهات والرؤى السياسية فى كافة الدول والبعد عن التعصب الأيديولوجى والتحيزات المسبقة وضرورة رسم السياسة الخارجية بمنأى عن الاعتبارات الأيديولوجية، وضرورة تأسيس العلاقات الدولية على أساس توازن المصالح بدلاًمن توازن القوى.

(١٠)احترام حق كل دولة وكل أمة فى اختيار طريقها الخاص للتنمية الاجتماعية الداخلية.

ويتضح من هذه الأفكار التى وردت فى كتاب جورباتشوف كيف أنها تمثل انقلاباً فى الخط الفكرى والسياسى للقيادة السوفيتية، وقد انعكست هذه التحولات على الأوضاع الداخلية فى الاتحاد السوفيتى متمثلة فيما يلى:

١-القيام بالعديد من الإصلاحات الثورية فى مختلف المجالات.

٢-السماح بقدر كبير من الديمقراطية ومن الحريات السياسية على نحو لم يسمح به من قبل للمواطنين السوفييت وكذلك الإفراج عن مئات المعتقلين من المعارضين والمنشقين السوفييت.

٣-تخفيف القيود المفروضة على حرية النشاط الاقتصادى.

٤-الانفتاح الفكرى والثقافى والإعلامى.

ومن ناحية أخرى فقد انعكست هذه الأفكار على توجهات السياسة الخارجية السوفيتية. وقد لاقت تلك التحولات أصداء واسعة وردود فعل إيجابية من جانب الغرب (على الرغم من تشكك البعض فى مدى صدق تلك التوجهات والنوايا الحقيقية والدوافع وراء هذه التحولات).

وقد أدى ذلك إلى تهدئة حدة التوتر فى العلاقات بين المعسكرين وقد تمثل ذلك فى عدة أمور أهمها:

(١) استئناف لقاءات القمة بين زعماء الدولتين حيث عقدت خمسة لقاءات قمة هى:

- **قمة جنيف:** نوفمبر ١٩٨٥ بين كل من ريجان وجورباتشوف.
- **قمة ريكيافيك:** أكتوبر بين كل من ريجان وجورباتشوف.

تم خلالها التوقيع على معاهدة حظر الصواريخ النووية متوسطة المدى.

- **قمة موسكو:** مايو/ يونيو ١٩٨٨ بين كل من ريجان وجورباتشوف.
- **قمة مالطة:** ديسمبر ١٩٨٩ بين كل من بوش وجورباتشوف.

والتى عقدت على متن السفينة السوفيتية مكسيم جوركى قبالة ساحل مالطا والتى تم خلالها الإعلان عن انتهاء حالة الحرب الباردة بين المعسكرين.

(٢) التحولات التى طرأت على علاقة الاتحاد السوفيتى بدول الكتلة الاشتراكية والتى تمثلت فى:

أ- الإعلان عن الإلغاء النهائى لمبدأ بريجنيف، مما كان بمثابة الضوء الأخضر أمام الحركات الثورية والتيارات التحررية والإصلاحية فى دول أوروبا الشرقية للتخلص من ربقة السيطرة الشيوعية، وقد أسفر ذلك عن سقوط معظم النظم الشيوعية فى أوروبا الشرقية تحت ضغط الاندفاع الثورى العارم الذى شهده عام ١٩٨٩.

ب- الإعلان عن بروتوكول بودابست فى ٢٨ يونيو ١٩٩١ الـــذى تـــم بمقتضاه الاتفاق على حل منظمة الكوميكون للمعونـــة الاقتصاديـــة المتبادلة بين الدول الاشتراكية، كذلك فقد تم الاتفـــاق علـــى جعـــل الاعتماد المتبادل من منطلق التكافؤ أساساً للعلاقات بيـــن الاتحـــاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية بدلاً من علاقة التبعية شبه الكاملـــة من جانب هذه الدول على الاتحاد السوفيتى، ذلك فضلاً عن تشـــجيع الاتحاد السوفيتى لدول أوروبـــا الشـــرقية علـــى تنميـــة علاقاتـــها الاقتصادية والتجارية مع دول أوروبا الغربية.

جـ- الإعلان فى أول يوليو ١٩٩١ عن بروتوكـــول بـــراج الـــذى تـــم بمقتضاه الاتفاق على حل حلف وارسو.

ويمكن القول بأن التحولات التى طرأت على السياسة الخارجيـــة السوفيتية قد تركت آثاراً واضحة على العلاقـــات الدوليـــة بوجـــه عـــام، ويمكننا أن نلمس ذلك من خلال عدة مظاهر:

١-أن زوال خطر التهديد الشيوعى السوفيتى من العالم ولاسيما بالنســـبة لأوروبا وآسيا كان إيذاناً بحدوث تحولات جذرية فى صورة علاقـــات القوة الدولية وأنماط التحالفات وعلاقات الصداقة والعداء التى ظلـــت سائدة لفترة طويلة على امتداد سنوات الحرب الباردة وقـــد ظـــهرت بوادر هذه التحولات فى الخلافات التى بدأت تطفو على السطح بيـــن الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين حـــول بعـــض الموضوعـــات الاقتصادية والتجارية، ناهيك عن العلاقات، فى إطار حلف الأطلنطـــى ومدى تماسكه. بالإضافة إلى ذلك فقد انعكست تلك التحـــولات علـــى

علاقات الولايات المتحدة بالصين بدول أوروبا الغربية، وكذلك على علاقات الشمال بالجنوب بوجه عام.

٢-حدوث تحولات جذرية في المواقف الخارجية للعديد من الدول التي كانت تعتمد على مساندة وتأييد الاتحاد السوفيتي في صراعاتها الإقليمية أو في علاقاتها مع دول المعسكر الغربي (سوريا - ليبيا- الفلسطينيون).

٣-تهاوى العديد من الأنظمة الحاكمة ذات التوجه الشيوعي في مناطق مختلفة من العالم الثالث بعدما فقدت الأيديولوجية الشيوعية مصداقيتها كنظام سياسي واقتصادي واجتماعي قادر على التصدي بفعالية للمشكلات التي تعاني منها الشعوب في هذه الدول.

٤-إمكانية التوصل لحلول نهائية للعديد من المشكلات السياسية التي نشأت في ظل أجواء الحرب الباردة بين المعسكرين والتي ظلت معلقة لسنوات طويلة بدون حل نظراً لتوقف إمكانية تسوية أو حل هذه المشكلات على حالة ميزان القوة العالمي. ومن أبرز تلك المشكلات: مشكلة الوحدة الألمانية.

٥-قيام الولايات المتحدة والدول الغربية بجهود كبيرة في مجال استقطاب دول أوروبا الشرقية بعد تحولها عن الشيوعية وذلك من خلال أداة المساعدة الاقتصادية وذلك بهدف ربط هذه الدول بالغرب وبالنظام الرأسمالي العالمي.

٦-تزايد أهمية العامل الاقتصادي في العلاقات الدولية بعد انحسار أهمية العامل الأيديولوجي، وكذلك تراجع أهمية العامل الإستراتيجي إلى حد

ما، مما ينبئ بإمكانية أن يصبح الدافع وراء قيام المحالفات أو التجمعات الدولية هو دافع اقتصادى بدلاً من الدافع الإستراتيجى أو الرباط الإيديولوجى المذهبى ولعل ذلك يبدو واضحاً فى قيام منطقة التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك فى مواجهة السوق الأوروبية المشتركة.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن تلك التحولات لم تقتصر آثارها على السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى فحسب بل أنها انعكست أيضاً على تماسك الاتحاد السوفيتى كدولة تقوم على عدة قوميات متباينة من حيث الأصل العرقى، فقد نتج عن تخفيف قبضة الحكومة المركزية فى موسكو على بقية الجمهوريات السوفيتية أن استغلت هذه الجمهوريات الفرصة للانفصال عن الاتحاد السوفيتى حيث عمت الاضطرابات معظم الجمهوريات السوفيتية وطالبت شعوبها بالاستقلال كما تصاعدت حدة الصراعات العرقية بين القوميات المختلفة مما نتج عنه اختفاء الاتحاد السوفيتى ذاته من على الخريطة السياسية مفسحاً المجال لظهور دولة جديدة تقوم على أساس الانتماء الاختيارى والحر للكومنولث الروسى الناشئ.

وقد آثار تفكك الاتحاد السوفيتى عدة مشكلات حيوية كان أبرزها مشكلة السيطرة على الأسلحة النووية وإمكانية منع انتشارها ذلك فضلاً عن طبيعة العلاقات بين هذه الدول الناشئة وبين الدول الغربية وقد أثر ذلك كله على هيكل النسق العالمى واستقراره.

وقد أدى تفكك الاتحاد السوفيتى وانهياره كدولة قطبية إلى التعديل فى هيكل النسق العالمى حيث أصبح يعتمد على قوة قطبية واحدة هى الولايات المتحدة الأمريكية التى راحت تفيد من ذلك التفوق فى تقرير

صورة علاقات القوة على مستوى النسق العالمى من خلال مـــا يعــرف بالنظام العالمى الجديد ومقنعة تلك السيطرة بإطار من الشرعية الدوليـــة، وذلك من خلال سيطرتها على منظمة الأمم المتحدة. وعلى الرغم مــن أن ثمة من يرون أن صورة النسق العالمى قد تحولـــت - بســقوط القطـــب السوفيتى- إلى صورة النسق أحادى القطبية Unipolar إلا أننا نـــرى أن الوضع الراهن لا يمثل بذاته صورة تاريخية متمـــيزة ومســـتقرة للنســق العالمى وإنما هو يمثل مرحلة انتقالية لم تتبلور فيـــها الأوضـــاع الدوليـــة بشكل واضح ومستقر يسوغ لنا أن نصفها بهذا الوصف (أحادية القطبيـــة)، أى أنها مرحلة تغير وتحول فى صورة توزيع القوة على المستوى العالمى لن تلبث أن تنقشع عن سماء العلاقات الدولية مفسحة بذلك الطريق أمــــام صورة تاريخية جديدة للنسق العالمى تكون أكثر اســـتقراراً واتزانـــاً إمـــا بالعودة إلى صورة النسق ثنائى القطبية من جديد بظهور قطب واحد آخـــر موازن لقوة الولايات المتحدة، وإما بالعودة إلى صورة جديدة من صــــور التوازن متعدد الأقطاب، إذا ما أسفرت الأمور عن ظهور عدة قوى قطبية جديدة، وبطبيعة الحال فإن هذه التحولات لا تتم بين يوم وليلة وإنما هـــى تستغرق عدة سنوات.

هذا وقد عملت الولايات المتحدة وحلفاؤها على الإفادة مـــن هـــذا الموقع المتميز على سلم تدرج القوة الدولى - والذى تـــهيأ لـــها بعـــامل اضمحلال قوة الاتحاد السوفيتى وتفكك إمبراطوريته - فراحت تفـــرض على بقية دول العالم النامى معاييرها السياســـية والاقتصاديـــة والثقافيـــة، فضلاً عن نمط الحياة الأمريكى والأوروبى، فيما يشبه محاولـــة التوحيـــد القسرى للعالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً، وهو ما راح يعبر عنه فى الوقـــت الراهن بمصطلح "العولمة" Globalization .

مصادر القسم الثانى

اعتمدنا فى إعداد القسم الثانى على المراجع التالية:

(١)إسماعيل صبرى مقلد، قضايا دولية معـــاصرة (مؤسســـة الصبـــاح، الكويت، ١٩٨٠).

(٢)إسماعيل صبرى مقلد، الإستراتيجية والسياســـة الدوليـــة (مؤسســـة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥).

(٣)خلدون حسن النقيب، مبارك العدوانى (محرران)، ثـــورة التســـعينات (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١).

(٤)ميخائيل جورباتشـــوف، البرويســـترويكا) (دار الشـــرق، القـــاهرة، ١٩٨٨).

وكذا على:

(5)Hammond, P., The Cold War Years: American Foreign Policy Since 1945 (Harcourt, Brace & World Inc., New York, 1969.

(6) Spanier. J : American Foreign Policy Since World War II (Holt, Rinehart and Winston, New York, 1983).

(7) Weisberger, B., : Cold War – Cold Peace (Houghton Mifflin Co., Boston , 1984).

تعقيب على القسم الثانى

العلاقات الدولية فى إطار النسق ثنائى القطبية(*)

رؤية تنظيرية موجزة

خصائص النسق ثنائى القطبية:

أسفرت الحرب العالمية الثانيــة (١٩٣٩-١٩٤٥) عــن صــورة جديدة لتوزيع القوة فى المجال الدولى، فقد خرجت الدول الكبرى، أقطــاب النسق المتعدد، من الحرب منهكة عسكرياً واقتصادياً، ومن ثم تراجعــت مواقعها على سلم تدرج القوة الدولى، بينما ظهر قطبان عالميان جديــدان من خارج القارة الأوروبية، وهما الولايات المتحدة الأمريكيــة والاتحــاد السوفيتى، وقد أصبحا – فى ظل الوضع العالمى الجديد– وبحكم قدراتــهما الفائقة - هما وحدهما القادرين على تقرير صورة النسق العالمى كله، مــن حيث توازنه ومن حيث نمط التفاعلات السائدة فى إطاره، وهكــذا تحــول النسق الدولى العالمى إلى صورته التاريخية الجديدة، التى راحت تعــرف بالنسق ثنائى القطبية Bipolar System .

وفيما يلى نعرض لأبرز السمات أو الخصائص التى يتمــيز بــها النسق ثنائى القطبية فى مواجهة النسق متعدد الأقطاب السابق عليه:

أولاً: ثنائية أقطاب النسق، فى معنى قيام النسق على مركزين متفوقين مــن مراكز القوة، يحيط بكل مركز منهما عدد من الدول التابعة، والأقــل كثيراً من حيث إمكانات القوة والقدرة، ولذا يكاد يكون حق التوجيــه

(*) كتب هذا الجزء د. ممدوح منصور.

ورسم السياسات والاستراتيجيات العامة واتخاذ القرارات الهامة، قاصراً على هذين المركزين وحدهما[1].

ثانياً: عالمية النسق، إذ لم تعد عضوية النسق قاصرة على الدول الأوروبية وحدها، وإنما راح نطاق هذه العضوية يمتد -جغرافياً- ليشمل كلفة دول العالم، بل إن قطبى النسق العالمى ثنائى القطبية يقعان خارج نطاق القارة الأوروبية، إذ يقع أحدهما فى أوراسيا، بينما يقع الثانى فى أمريكا الشمالية[2]. وترتد هذه الشمولية - فى نطاق عضوية النسق العالمى - إلى حصول العديد من الدول على استقلالها، فى أعقاب تراجع قوة وسطوة الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة، فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولا سيما خلال العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين[3].

ثالثاً: أن النسق الدولى ثنائى القطبية يتسم بعدم التجانس Hétérogène أى أنه يقوم على مجموعة من الدول التى تنتمى إلى قيم وأيديولوجيات متباينة[4]، ومن ثم فهو نسق يفتقر إلى عنصر التوافق المذهبى أو الإجماع Consensus فيما يتصل بالقيم التى يعتنقها أعضاؤه، والتى يرتضونها كأساس لتنظيم العلاقات فيما بينهم سواء على المستوى الوطنى أو الدولى. وقد أدى عدم التجانس إلى انقسام أعضاء النسق بين معسكرين(كتلتين) متعاديين بحكم تلك الخلافات المذهبية، حيث ظهرت الكتلة الغربية

---

(١) إسماعيل صبرى مقلد، قضايا دولية معاصرة (مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٨٠)، ص٤٣٥.

(٢) محمد طه بدوى، مدخل إلى علم العلاقات الدولية (المكتب المصرى الحديث، الإسكندرية، ١٩٧٦). ص ٢٧٧.

(3) Colard, Daniel., **Les Relations Internationals** (Masson, Paris, 1987), P.116-118.

(٤) محمد طه بدوى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٤.

(التى تدين نظمها بالأيديولوجية الليبرالية الرأسمالية)، والتى تزعمها الولايات المتحدة ومن خلفها دول أوروبا الغربية وكندا واليابان، كما ظهرت الكتلة الاشتراكية (التى تدين نظمها بالأيديولوجية الماركسية – اللينينية) والتى يتزعمها الاتحاد السوفيتى ومن ورائه دول أوروبا الشرقية.

رابعاً: هيراركية (تدرج) أعضاء النسق من حيث عوامل القوة والقدرة المتاحة لهم، إذ أن ثمة قطبين مسيطرين على النسق، وقادرين – بحكم تفوق قواهما – على تقرير صورة توزيع القوة على المستوى العالمى ككل، ومن ثم تكون اهتماماتهما ذات طبيعة كونية أو عالمية، وتليهما – فى المرتبة الثانية مجموعة من القوى الكبرى (ولكنها ليست قوى قطبية)، فهى لا تملك أكثر من مجرد العمل على تحقيق ذاتها، وحماية بقائها وأمنها، فهى إطار علاقات القوة فى النسق، وإن كانت غير قادرة على تقرير صورة هذه العلاقات. ثم يجئ العالم الثالث، والذى يضم بقية دول العالم حديثة الاستقلال، ذات الإمكانات والقدرات المتواضعة، والتى لا تملك – بحكم تواضع قواها– أن تؤثر على نحو ملموس فى علاقات القوة فى إطار النسق، ومن ثم التى لا يتصور لها – وهى على ذلك النحو – إلا أن تكون مسرحاً لتنافس اللاعبين القطبيين الساعيين إلى تحقيق عالمية التواجد. وهكذا يتضح أن ثمة تفاوتاً كبيراً بين قدرات أقطاب النسق، وبين قدرات بقية القوى الأعضاء فيه،

ومن ثم فهى لا تستطيع - حتى وإن اجتمعت - أن تكــون حاملــة لميزان القوة بين القطبين[1].

خامساً: تعدد وتنوع وسائل التأثير الدولى، بحيث لم تعد أدوات السياســة الخارجية للدول قاصرة على الدبلوماسية التقليدية أو الاسـتراتيجية فحسب، وإنما ظهرت أدوات جديدة كالأداة الاقتصادية والدعائيــة وغيرها، كذلك فلم يعد من اليسير التمييز بيــن حــالتى الحــرب والسلام فى العلاقات الدولية حيث ظهرت مفاهيم جديدة كــالحرب والسلام فى كالحرب الباردة، كما أصبح من العسير الاتفاق علـــى تعريف محدد وقاطع للعدوان، إذ تعددت صوره وأســاليبه، كمــا تزايد دور المؤسسات والمنظمـــات الدوليـة الحكوميــة وغــير الحكومية، ومن ثم تزايد دورها فـــى مجــال التســوية الســلمية للمنازعات الدولية (وإن كانت لا تزال محدودة الفعالية فيما يتصـل بالصراعات الدولية التى تكــون الــدول القطبيــة أو الكــبرى أو حلفاؤها طرفاً فيها)[2].

سادساً: اتساع نطاق العلاقات الدولية، بحيث لم يعد قاصراً على العلاقـات الدبلوماسية أو الاستراتيجية فقــط، وإنمــا امتــد ليشــمل كافــة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلاميــة والرياضية والبيئية وغيرها، كذلك فلــم تعــد العلاقــات الدوليــة قاصرة على المعاملات الحكومية أو الرسمية وحدهــا، إذ اتســع مجالها ليشمل العلاقات على المستوى غير الحكومى بل والشــعبى

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٦-٢٨١.

(٢) إسماعيل صبرى مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة فى الأصول والنظريات (المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩١) ص ٥٦-٥٧.

أحياناً. وقد ساعد على تحقيق ذلك، النمو الهائل فى وسائل الاتصال والمواصلات - بعامل التقدم التكنولوجى الكبير - مما زاد من تشابك وتعقد العلاقات فيما بين الدول، فضلاً عن تزايد مستوى الاعتماد المتبادل Interdependence فيما بينها على نحو أصبح من المتعذر معه على أية دولة أن تعيش بمعزل عن بقية التفاعلات الدولية.

سابعاً: التحول الجذرى والخطير الذى طرأ على أساليب تحقيق ميزان القوة على مستوى النسق العالمى، إذ ظهرت أدوات جديدة وأساليب وسياسات حديثة، راحت تتبوأ موقع الصدارة فى مجال تحقيق توازن القوى العالمى، وقد استتبع ذلك تراجع أهمية العديد من سياسات ميزان القوة التقليدية التى شاع تطبيقها فى إطار النسق متعدد القوى القطبية.

وترتد هذه التحولات الجذرية فى أساليب تحقيق ميزان القوة، إلى ظهور متغير جديد فى معادلة القوة الدولية، ألا وهو أسلحة الدمار الشامل (الأسلحة الذرية والنووية) التى كان لظهورها القول الفصل فى تحديد نتائج الحرب العالمية الثانية، وفى تقرير صورة توزيع القوة فى المجال الدولى خلال الحقبة التى أعقبتها. وقد كان للولايات المتحدة قصب السبق فى مجال امتلاك السلاح الذرى، غير أن الاتحاد السوفيتى ما لبث بدوره أن لحق بركب التطور التكنولوجى، فتمكن من تفجير أول قنبلة ذرية سوفيتية عام ١٩٤٩، ثم أعقب ذلك إنتاج القاذفات عابرة القارات عام ١٩٥٤، ثم نجاحه فى إطلاق أول صاروخ سوفيتى عابر للقارات عام ١٩٥٧. وقد ترتب على ذلك اتخاذ ميزان القوة العالمى صورة جديدة،

أطلق عليها ونستون تشرشل "ميزان الرعب النووى" Balance of Nuclear Terror[1].

وبدخول العالم عصر السلاح النووى، أصبحت القوة لأول مرة "أداة ذات قيود ذاتية"، فقد أصبح الغرض من امتلاك القدرة النووية هو مجرد التهديد باستخدامها – فى إطار محاولة إنجاح السياسة الخارجية للدولة– دون التورط فى موقف صراعى قد يقود إلى الاستخدام الفعلى للقوة النووية[2].

وفى هذا الإطار ظهر ما يعرف بفكرة " الحرب المستحيلة"، فانطلاقاً من كون غريزة حب البقاء تمثل طبعاً فى الإنسان، فقد ترتب على ذلك – وكما أكدته أحداث التاريخ – ألا يقاتل الإنسان إلا إذا أدرك أن قتاله لن يؤدى إلى فنائه، فالمبرر الوحيد المقبول للحرب – كما يقول ليدل هارت– هو الأمل فى تحقيق حالة أفضل من السلام -"The only valid object of war is a better state of peace"- أما إذا أدرك الإنسان أن قتاله لن يخلف إلا الدمار الشامل والإفناء المتبادل لكل الأطراف المتحاربة، فإنه سيكف – بالضرورة– عن اللجوء إلى الحرب استجابة لغريزة حب البقاء فيه[3].

---

(١) حورية توفيق مجاهد: " سياسة توازن القوى" فى : مجلة عصر المعاصرة (السنة ٦٢، العدد ٣٤٣، يناير ١٩٧١)، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية – الجزء الأول (جامعة بغداد – كلية القانون والسياسة، ١٩٧٩).

(٣) محمد طه بدوى، محمد طلعت الغنيمى، دراسات سياسية وقومية (منشأة المعارف – الإسكندرية، ١٩٦٣)، ص ٣٩١.

وقد ساعد على مزيد من التمكين لفكرة الحرب المستحيلة، ظهور ما يعرف بالقدرة على التدمير بالضربة الثانية Second Strike Capability، إذ إنه فى ظل انفراد قوة قطبية واحدة باحتكار السلاح النووى، كان فى مقدورها أن تشن ما يعرف "بالحرب الوقائية"، بمعنى الاستفادة من تفوقها النووى فى القضاء على قوة الخصم، أو تدميرها نهائياً. إلا أنه حين تأكدت قدرة كل من القطبين على استيعاب الضربة الأولى، وتوجيه ضربة ثانية انتقامية لخصمه - حال تعرضه لهجوم نووى من جانبه-، فقد بات واضحاً أن إقدام أى من القطبين على شن مثل ذلك الهجوم سوف يكون من قبيل الإنتحار المتبادل، إذ سوف يترتب عليه الإفناء الشامل لكافة الأطراف المتحاربة، مما تهون أمامه أية مكاسب متوقعة من وراء مثل هذه الحروب[1]، كما تنعدم معها أية آمال فى تحقيق سلام أفضل، وهيهات لمثل هذه الحروب أن تخلف من ورائها سلاماً اللهم إلا سلام القبور.

وهكذا يمكننا أن نخلص إلى القول بأن القدرة على التدمير بالضربة الثانية، قد أدت إلى نوع من التحييد المتبادل للقوة النووية التى يملكها القطبان نتيجة الخوف من أخطارها التدميرية الرهيبة، وهو ما أدى إلى ما يعرف بحالة الردع النووى المتبادل Mutual Nuclear Deterrence[2].

(١) حورية توفيه مجاهد، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٦-٣٩١.

وكذلك: إسماعيل صبرى مقلد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٣.

(٢) إسماعيل صبرى مقلد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٣ - ٢٨٦.

ويعرف الجنرال أندريه بوفر "الردع" بأنه منع دولة معادية من اتخاذ القرار باستخدام أسلحتها، أو بصورة أعم، منعها من العمل أو الرد إزاء موقف معين"(١).

ويتضح من **التعريف** السابق أن الردع هو حوار بين الإدارات بعيداً عن الاستخدام الفعلى للقوة، رغم وجود القدرة على استخدامها، أو بعبارة أخرى فإن تركيز كل طرف من الأطراف المتصارعة يكون على قابلية الأطراف الأخرى للإدراك والاقتناع بجدية التهديد باستخدام السلاح النووى، وذلك على عكس الحال بالنسبة للدفاع. فالدفاع والردع يتطلبان توفر القدرة ، غير أن استخدامها فعلاً يعنى الدفاع بينما يعنى الردع مجرد التهديد باستخدامها(٢). وهكذا يمكننا القول أن فكرة الردع تقوم على أساس الحفاظ على السلم من خلال التهديد المتبادل بالتدمير Mutual threat of destruction أو ما يطلق عليه أحياناً التدمير المؤكد المتبادل mutual assured destruction(٣).

ولكن ما هى شروط نجاح الردع أو مقومات الردع الفعال؟

يشترط لنجاح الردع توفر عدة شروط، أبرزها ما يلى:

(١)توفر القدرات الفعلية لدى الدول، حيث يتوجب على كل طرف أن يمتلك نوعين من القدرات، أولهما القدرة على مهاجمة خصمه بالضربة الأولى من ناحية، وثانيهما القدرة على استيعاب الضربة الأولى من جانب الخصم – حال تعرضه لها – ثم القدرة على توجيه

---

(١) كاظم هاشم نعمة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٤.

(3) Jones, Walter., **The Logic of International Relations** (Scott, Foresman and Co. Illinois, 1988), P.355.

ضربة ثانية انتقامية تلحق الدمار الشامل بالخصم[1]. ويتطلب تحقيق ذلك أن يحتفظ كل طرف بجانب من أسلحته النووية ذات القدرات التدميرية الهائلة فى أماكن غير معرضة للهجوم invulnerable ، كالغواصات التى تجوب البحار أو الصواريخ العابرة للقارات المحصنة فى منصات إطلاق متحركة تحت سطح الأرض، بحيث يظل قادراً – حتى بعد تعرضه للضربة الأولى- على إلحاق خسارة غير مقبولة unacceptable damage (أى خسائر تفوق من حيث مدى فداحتها أية مكاسب ممكنة التحقق من جراء استخدام الخصم للسلاح النووى). وفى ظل هذه الظروف يكون القرار الرشيد rational الوحيد والمقبول هو عدم الإقدام على اتخاذ قرار استخدام هذه الأسلحة[2].

(٢)ضرورة توفير وسائل الاتصال ونقل المعلومات والمواقف بين الأطراف المتصارعة فى أوقات الأزمات الدولية، بحيث تكون قادرة على نقل الرسائل المتبادلة بين هذه الأطراف سواء أكانت فى صورة إعلانات أو نصائح أو تهديدات، حتى يمكن لهذه الرسائل أن تصل إلى أعلى مستويات صنع القرار لدى الأطراف الأخرى المستهدفة بهذه الرسائل، ويتعين أن تكون الوسائل غير قابلة للعطب أو للتشويش، كما يتعين أن تكون قادرة على نقل هذه الرسائل بدرجة عالية من الكفاءة والدقة والوضوح، بحيث تصل إلى الطرف الآخر،

---

(١) كاظم هاشم نعمة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(2) Coulombis, T. & Wolfe, J., **Introduction to International Relations** (prentice Hall Inc. Englewood Cliffs, New Jersey, 1986) ,.P. 60.

ومن ثم يمكنه أخذ هذه الرسائل فى اعتباره عند قيامه بعمليات الحساب والتقويم فى إطار عملية صنع القرار[١].

(٣)أن تتوافر لحالة الردع هذه درجة عالية من المصداقية Credibility، أى القابلية للتصديق لدى الأطراف الأخرى، أو بعبارة أخرى أن تتوفر لدى الأطراف المستهدفة بهذه الرسائل درجة عالية من الاقتناع بصدق نوايا وعزم الطرف الرادع على إنفاذ تهديداته، حتى لا تستقبل لدى الأطراف الأخرى باعتبارها نوعاً من التهويش Bluffing يلجأ إليه طرف ما دون أن تكون لديه القدرة أو الرغبة الفعلية على إنفاذ هذه التهديدات[٢]. ومن ثم يمكن القول بأن المصداقية[٣] تمثل الركن الركين للردع، أو ما يعرف بجوهر الردع The Essence of deterrence.

ويرى البعض أن فعالية الردع هى بمثابة حاصل ضرب القدرة النووية فى نية استخدامها، فإذا كانت هذه النية منعدمة (أى مساوية للصفر)، فإن فعالية الردع حينئذ تساوى الصفر[٤].

وتعتمد مصداقية الردع مدى التناسب بين حجم التهديدات التى تطلقها الدولة الرادعة، وبين المخاطر التى تتعرض لها مصالحها، أو أهمية موضوع الصراع The object of conflict (أى الموضوع

---

(١) كاظم هاشم نعمة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٨-٢٦٠.

(3)"The possession of power is not an effective deterrent unless accompanied by the will to use it in defined situations. Thus the threat of unclear retaliation must not only be horrifying., it must also be credible."

ورد فى: Jones., OP.Cit., p.363

(4)Ibid.

محل الخلاف بين الدول المتصارعة) وما إذا كان يمثل أهمية حيوية للدولة ذاتها، أم يتصل بمصالح حلفائها، أو يتعلق بمصالح ثانوية، وبطبيعة الحال تكون مصداقية الردع فى أعلى فى أعلى مستوياتها فى الحالة الأولى، وتقل تدريجياً مع تراجع أهمية موضوع الصراع. ويثير هذا الموضوع قلق الدول الأوروبية أحياناً، إذ يتساءل بعضها عن مدى فعالية ومصداقية المظلة النووية الأمريكية لدول أوروبا الغربية، وما إذا كانت الولايات المتحدة جادة فعلاً فى استخدام أسلحتها النووية للرد على أية تهديدات تتعرض لها القارة الأوروبية، وقد كان من جراء هذا التشكك الأوروبى أن شرعت بعض الدول الأوروبية فى بناء قواتها النووية الخاصة بها[1].

(1) Ibid., p.364.

مضامين الكتاب

...ر أحمد وهبان
... جمهورية مصر
١٩...
... على درجة دكتور
... من جامعة

مضامين الكتاب

... ندرية عام ١٩٩٣ .

* عضو هيئة تدريس بقسم العلوم السياسية بكلية التجارة - جامعة الاسكندرية
* عضو مجلس ادارة معهد الدراسات الدبلوماسية .بكلية التجارة .جامعة الاسكندرية
* له عديد من المؤلفات أبرزها :
سياسات التحالف الدولى . والصراع الأمريكى السوفيتى فى الشرق الأوسط . والعولمة " دراسة فى المفهوم والظاهرة والأبعاد .

* عضو هيئة تدريس العلوم السياسية بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية
* حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم الاقتصادية والقانونية - فرع العلوم السياسية لعام ٢٠٠١ م .
* له العديد من المؤلفات فى مجالات العلاقات الدولية والعلوم السياسية أبرزها .
الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر
التخلف السياسى وغايات التنمية السياسية
الماوردى رائد الفكر السياسى الاسلامى
حلف شمال الاطلنطى والعلاقات الأمريكية الأوروبية (١٩٤٥ - ٢٠٠٠)

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب تاريخ العلاقات السياسية الدولية بدءا من مؤتمر فيينا ... أرسيت خلالة أسس هذه العلاقات . مرورا بعصر المؤتمرات الأوروبية. فعصر ... ثم الحرب العالمية الأولى . وفترة مابين الحربين العالميتين فالحرب العالمية الثا... ... الدولى ثنائى القوى القطبية . والصراع الأمريكى السوفيتى وتطوره ... الاتحاد السوفيتى من الخريطة الدولية عام ١٩٩١ .

الدار الج...
84 شارع زكريا غنيم - تانيس ...
ص.ب : 35 الابراهيمية - الاسكندرية
تليفاكس : 5917882 ت : 03/5907466
E-mail:m20ibrahim@yahoo.com